

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين - 2

كلية الآداب واللغات

مقدمة لنيل شهادة

الماجستير

:نقد معاصر وقضايا تحليل الخطاب

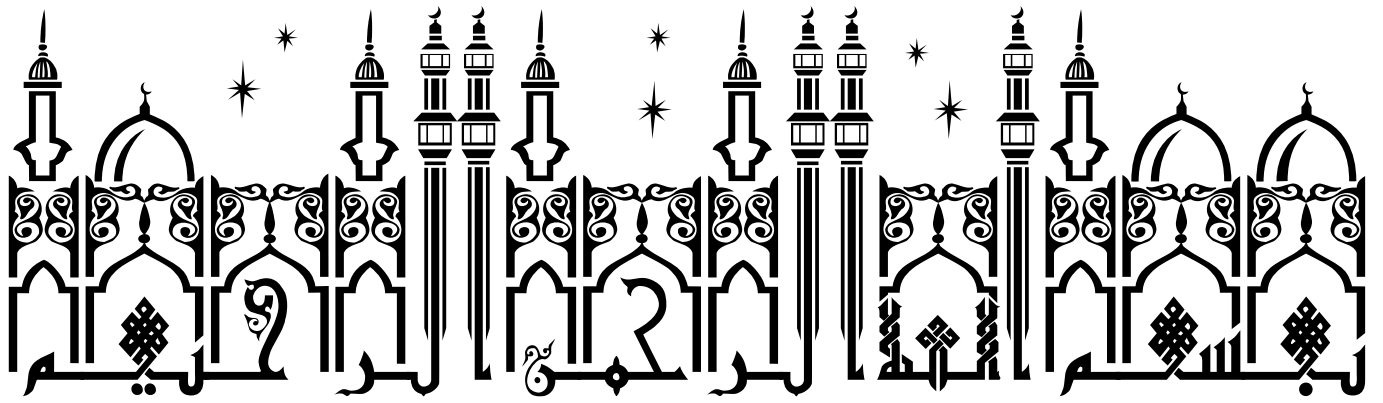
: بو عافية

البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة

من خلال مشروع محمد العمري

:
:
:
:
رئي
2 جامعة سطيف
2 جامعة سطيف
عبد الرحيم عزّ

2015/2014



شكر

الحمد لله الذي وفق عبده

وأعانه وأيده ليصل إلى هذه اللحظة

شكر لكل الأساتذة الفضلاء الذين جلست أمامهم كالمعلم

في جامعة سطيف والمدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة

أرفع من هذا المقام خالص عبارات الشكر لمن تولى رعاية

هذا العمل وأشرف عليه وتابعه وأرشده صاحبه... الأستاذ

الدكتور عبد الغني بارة

شكر للأستاذ الدكتور محمد العمري على توجيهاته

وتوضيحاته الثمينة .

وأخير شكر لكل الذين قرأت لهم الأموات منهم قبل

الأحياء .

والحمد لله وكفى وخير الصلاة على النبي المصطفى

مقدمة

كانت الدراسات الأدبية والنقدية تتوزع عبر أقاليم عديدة من خريطة المناهج والعلوم، تتزاحم فيما بينها ، وكل إقليم يدعي الشرعية أمام الآخر ، ولكن المقاصد المشتركة لهذه الدراسات كانت تنطق بلسان الحقيقة ؛ أن هذه الأقاليم لمملكة واحدة ، تناساها الدارسون ، وغابت معالمها عنهم بفعل الزمن والظرو الفترة الأخيرة ، وبعد تحقيق في مساءلات الدراسات النقدية والأدبية ؛ من أين وإلى أين تسير ركابها ؟ وأين تصب روافدها ؟ ظهرت معالم المملكة القديمة من جديد بفضل أعمال التنقيب والحفر عن تاريخ طبقاتها ، و البحث عن أساساتها ، واتضح أن الاتجاهات المتنازعة حول حمى النص والخطاب ، لا تكتسب شرعيتها إلا من خلال ضبط أصولها وتصحيح علاقاتها مع الإمبراطورية الأم وفي نفسها أمرٌ ، لقد عادت البلاغة ، ليس من أجل أن تقصي الممالك الم قامت نيابة عنها في زمن تهميشها ، إنما من أجل استعادة هذه الأقاليم ، وتصحيح إجراءاتها وضبط علاقاتها وحدودها ، إننا في عصر البلاغة ؛ حيث تهيمن بسلطانها على الخطاب وجودا وإنشاء ، وعلى قراءته تلقيا .

وهذا البحث يستظل بالدراسات التي تريد أن تعطي للبلاغة مستحقها خاصة في لغتنا العربية ، فالدراسات الغربية سارت شوطا بعيدا في توسيع حدود بلاغتها بين الشعري والإقناعي والسردية ، وغيرها من الخطابات التي أصبح لها بلاغتها الخاصة بها ، وتتضوي جميعها تحت بلاغة عامة ؛ تحتضن الأنواع ، و تبني شبكتها على فعاليات اللغة في الحياة الإنسانية تخييلا وتداولاً ، ولم تصل الدراسات الغربية إلى هذا الوعي إلا بعد التنقيب عن البلاغة القديمة ، وإعادة قراءتها ، وفهم جزئياتها والمراحل التي مرت بها ، والتفاعلات التي خاضت غمارها ، وهذا ما صنع نجاح الدرس النقدي الغربي أمام حالة التبعية الشكلية التي يعاني منها جزء لا يستهان به يينا الثقافي والبلاغي ، بالتنقيب عن خلفياته عن أنساقه ، ومحاولة إجراء قراءة داخلية ؛ حيث يفهم السابق

في ضوء اللاحق ،ويطرح سؤال التلقي وبناء العلاقات ،عندها يمكن النهوض بالدرس النقدي والبلاغي ،ويتمكن حينها من محاوره الآخر، والاستفادة منه ،ولم لا إفادته .

إن البلاغة العربية لا تزال ترقص في الأغلال ،خاصة في المناهج التعليمية أو الإجراءات التطبيقية التي تتخذ مقولاتها محورا للتطبيق على اتجاهاتها الفاعلة عبر تاريخها ما تزال مغيبة ،وغير مفهومة ،ولم يكشف عن كثير من مكوناتها ،ومقاصدها التي تسير تبعا لها ،وقد تصدت في العقود الأخيرة دراسات جادة تأخذ من الغرب ،وتعمل على كشف التراث ومحاورته في قراءة متفاعلة لا تتحيز لطرف على حساب الآخر ،وتعمل ع احترام الجديد الوافد بفهم أصوله وتبين خلفياته وتمحيص النظر في مقاصد أصحابه،ولا تقف أمام طود التراث الشامخ لتؤدي الدعوات والابتهالات ،إنما لتؤدي واجب الفهم والبحث عن أجوبة ما يزال الواقع والخطاب ينتظرانها ،ولتقيم حوارا بين الوافد الجديد والقديم العتيق ،هكذا نتبين للقارئ أعمال جادة في الساحة النقدية والبلاغية العربية ؛مثل أعمال عبد الله صولة ،وحمادي صمود ،ومحمد مفتاح،ومحمد مشبال ،ومحمد العمري ،وغيرهم ممن أخلص للبحث والتفقيب ومتابعة التطور الذي شهده الدرس البلاغي العربي بمكوناتها الغنية ،هذه الدراسات التي خذت على عاتقها مهمة تعد الخطوة الأساسية في بناء صرح الفهم والبيان وتأسيس المعرفة التي تتناسب مع هويتنا ومنطقتنا .

وكان اختيار الموضوع مؤسسا على متابعة حركة البحث التي تتسارع حاليا في مجال الدراسات البلاغية ، تحقيقا ،ودراسة ،وكشفا للأنساق ،والإمكانيات التطبيقية ، وبرز محمد العمري من خلالها بأعماله التي تتراوح بين التنظير والترجمة والتطبيق عبر مختلف الخطابات والجبهات ،فكان البحث يدور حول البلاغة العربية ،ومحاولة الكشف عن أنساقها ومنابتها الأولى التي كونت مقولاتها واتجاهاتها في ضوء البلاغة الجديدة بمفهومها المعاصر الذي يجمع بين

الأنواع والتخييل والتداول ، ولم يكتف البحث بذلك بل كان من الضروري أن يقدم قراءة لمشروع أخذ على عاتقه إعادة قراءة البلاغة العربية مستعينا بمعطيات الدرس الجديد ، فكان اختيار مشروع محمد العمري نموذجا نكشف من خلاله خلفيا وآلياتها والنتائج المحصل عليها ، وكان هذا الاختيار نابعا كذلك من الميول إلى الدراسات التي تحقق توازنا بين الوافد الجديد والتراث القديم ، وفضول يستهوي لاختراق آفاق المعرفة البلاغية .

وسيكون الإشكال الرئيس الذي يحرك البحث : ما هي الجوانب التي تمّ الكشف عنها في البلاغة العربية في ضوء الدرس البلاغي الجديد من خلال مشروع محمد العمري؟ وما هي الخلفيات النظرية والآليات التطبيقية لتحقيق ذلك؟

وترافقه إشكالات فرعية أهمها : ما لبلاغة العامة؟ وهل يمكن أن تستوعب الوافد الجديد وتطور التراث القديم؟ عنها هل عربية جديدة النظرية والآليات التطبيقية ما هي الجوانب المغفلة في مشروع العمري وكيف يمكننا أن نواصل البحث عنها والتحقيق فيها؟

وتستند القراءة على عُدّة بنيوية تبحث في الأنساق وتكشف عنها الأدوات الناجعة للوصف والتحليل والتركيب وإقامة العلاقات مفاهيم نظرية التلقي في شقها التاريخي ، للكشف عن تفاعل اللاحق مع أعمال السابق، وطريقة فهمه وتلقيه لها ، وكيف بُني عمل لاحق على قراءة عمل سابق؟ وما هي مستويات تلقيه؟ لقد اعتمدنا قراءة متعددة الاختصاصات تجمع ما هو بنيوي مع نظرية التلقي ، وكذلك جانب من التأويل تدعو الضرورة العلمية لوجوده .

وقد تم تصميم البحث على نحو يتضمن مدخلا وفصلين وخاتمة جمعت نتائج البحث المتوصل إليها .

أما المدخل فقد خصص لعرض مفهوم البلاغة الجديدة، والتقرب من أسئلة البلاغة العربية، والبحث عن الروافد التي قامت على أساسها، وحاول المدخل قدر الإمكان الحفاظ على التتابع والتطور الذي عرفه الدرس البلاغي

أما الفصل الأول فقد تطرق لمفهوم المشروع، وإلى المراحل التي مر بها مشروع العمري، وكان الحديث عن مرتكزات مشروعه وخلفياتها، باعتبار ينطلق من قراءة بنيوية تعتمد كذلك مفاهيم التلقي، وتبحث عن الأنساق، وتكشف عن المركز والهامش في تطور الدرس البلاغي وفي بناء مشاريعه.

أويا لرؤية العمري في تطبيق عدته النظرية لقراءة

البلاغة العربية، مستعرضا آراءه حول روافد البلاغة العربية وما هي البلاغة بين مختلف التيارات؟ امتداداتها الكبرى إلى خلفياتها والتلقيب عن المنجز ضمنها، وبيان أسئلته وعلى حوار المشاريع وتلقي اللاحق للسابق.

وقد كانت مصادر هذا البحث تركز على أعمال العمري، خاصة "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها" بالإضافة إلى مصادر التراث العربي البلاغي وما يمت بالصلة إليه من قريب أو بعيد، ولأن الدراسة تنجز في ضوء البلاغة الجديدة، كان من الضروري الاعتماد على المراجع الغربية / الفرنسية أو المترجمة.

المدخل:

قراءة البلاغة العربية في ضوء البلاغة

الجديدة سؤال في النشأة والمفهوم

- 1- بلاغة جديدة أم بلاغات نوعية؟ سؤال في جديد البلاغة .
 - 2 -تاريخ البلاغة العربية ومساءلات الراهن للقديم.
 - 3- مقومات البلاغة العربية نشأة وتطورا وامتدادا:
 - أ/نشأة البلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع .
 - ب/الحدث القرآني والمساءلات البلاغية الأولى
 - ج/تطور البلاغة العربية والانتقال من الملكة الفطرية إلى العلم الواصف:
 1. الخلافات العقيدية والجدل الكلامي.
 2. تطور البحث اللغوي وتأسيس النظرية اللغوية العربية .
 3. فهم القرآن الكريم وأسئلة الإعجاز .
 4. الحركة الشعرية ومذاهب الفن .
 5. الوافد الأجنبي وفهم العرب للبلاغات الأخرى .
- 4- مفهوم البلاغة بحث في المشترك وتبيين للفروق بين الموروث والوافد الجديد.

نقف على أرض مملكة البلاغة العربية المترامية الأطراف ،نجوب مسالكها،ودروبها ، في رحلة تبدأ ولا تنتهي ؛لاكتشاف المجهول والمغمور من مدائنها، وإعادة التحقق مما تُعرف عليه منها ، متخذين مطايا البحث العلمي الذي تحدوه الخلفية المعرفية التراثية حارسا وضابطا ، وتشرف على سلامة ما يجنيه قراءة ،عمادها النظريات البلاغية الجديدة ،التي دخلت الدرس البلاغي المعاصر،رغبة منها في إعادة تأريخ ،وقراءة ،وتنظير البلاغة العربية في ضوء معطيات الدرس الجديد.

وليس من الغريب أن تعود الدراسات المعاصرة إلى الميدان البلاغي ،لأنه كان غائبا حاضرا ،فالآليات التي اهتمت بها الاتجاهات النقدية المعاصرة ،كانت تنتمي بشكل أو بآخر إلى جزء من جزئيات الدرس البلاغي ،وتقع ضمن اهتمامه،ونجد ذلك عند الغرب كما نجده عند العرب ، فالبلاغة الأرسطية أعيد اكتشاف متنها من جديد ،ورجع الدارسون إليها ، ليتبينوا المرجعية الشاملة لتطبيقاتهم وبحوثهم الشعرية،والتداولية ،أما الجانب العربي فقد كانت البلاغة مخزنا تؤخذ منه الإجراءات التطبيقية وتنتزع منه الأفكار والمنطلقات ،تؤخذ جزئيات منه دون مراعاة انتمائه إلى نسق معين ، ومع التناسي أو الجهل بخلفياته و

المفاهيم وتتضارب المشاريع البلاغية ، ويضاف إليها مزج غريب مع المناهج النقدية المعاصرة ،هذه الظواهر استدعت الدراسات العربية البلاغية تسير سير الدراسات الغربية في إعادة استكشاف المجهول

والمغيب من بلاغتنا العربية ،دون أن تكون نسخ

تطبيقاته،أو أحكامه على تاريخ البلاغة أو ظواهرها ،فلكل فريق لغته ونصوصه النابعة من أصول ثقافية ،ومرجعيات تتكاثف عديد الروافد لبنائها .

1- بلاغة جديدة أم بلاغات نوعية؟ سؤال في جديد البلاغة :

ومن المهم أن نشير في بداية بحثنا إلى أن المقصود من البلاغة الجديدة (La nouvelle rhétorique)، أو الدرس البلاغي الجديد قد مر بمراحل منذ دخوله إلى البحوث العربية المهمة بهذا الشأن ، إذ نجد جماعة من النقاد المعاصرين وعلى رأسهم عبد السلام المسدي الذي اعتبر الأسلوبية (stylistique) وريثة للبلاغة التي ماتت أو رحلت ، وأصبحت مفاهيمها لا تصلح لمقاربة الخطابات ، وفي ذلك يقول : "وإذا تبينا مسلمات الباحثين والمنظرين وجدناها تقرر أن الأسلوبية وليدة البلاغة ، ووريثتها المباشرة ، معنى ذلك أن الأسلوبية قامت بديلا عن البلاغة"¹

كما هو واضح من كلام المسدي ، فإن البلاغة لا تضطلع سوى بدور تاريخي في تأصيل الأسلوبية ، ومعرفة أصلها ، ونلمس من عباراته تلميحا خفيا بأن الأسلوبية بلاغة جديدة ؛ باعتبار أنها وريثتها ، أو بديل عنها ، وهذه المرحلة التي نجد فيها الدارسين العرب يقدمون الأسلوبية ؛ باعتبارها بديلا عن البلاغة ، أو بشكل ضمنى بلاغة جديدة ، وهذا ما نلمسه عند محمد عبد المطلب إذ يقول : "...البلاغة لم تعد قادرة على الاحتفاظ بكل حقوقها القديمة التي كانت تناسب فترة معينة من ماضينا ، والتي يجب على الباحث في الأسلوبية وضعها في اعتباره"²

وهذه العبارات فيما بعد تداولتها الدراسات التمهيدية التي هلت للأسلوبية ؛ باعتبارها بلاغة جديدة تقوم مقام البلاغة القديمة ، وهذه المرحلة تميزت باتساع التناول الأسلوبي للنصوص تحت تأثير اتجاهات البحث ضمن هذا الميدان ، ونحن لن نعتمد هذا المفهوم للبلاغة الجديدة لأنه مفهوم ضيق إن لم يكن مجحفا في حق البلاغة ، بل ولا تويده مؤهلات الأسلوبية هذا ما يقوله محمد العمري : "وقد اعتقد بعض الباحثين ، إلى حين ، أن الأسلوبية يمكن أن تقدم بديلا حديثا للبلاغة

¹ عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس ، 1977 : 48.

² محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان ، ط 1 1994 : 354.

العربية الجديدة والمفهوم :

... غير أن الأسلوبية ما إن حاولت تثبيت كرسيتها على الدكة التي كانت تستقر فيها البلاغة باطمئنان حتى اهتزت من تحتها ومال على جانبه لانكسار إحدى قوائمه
1"

ونحن إذ نحقق مفهوم البلاغة الجديدة ونرصد تطوره التاريخي نريد من خلال ذلك تحديد المفاهيم ، والخلفيات النظرية ، والآليات التطبيقية ، والمقاصد التي حركت الدراسات المعاصرة وجعلتها تعيد النظر في البلاغة العربية .

إذن فالأسلوبية لن تكون البلاغة الجديدة التي في ضوئها تم النظر إلى الموروث البلاغي العربي وإن كنا لا ننكر أعمال الدارسين الأسلوبيين في الكشف عن جوانب من الدرس القديم ، بل واعتماد المفاهيم الأسلوبية كطرف مهم في تناول البلاغي الجديد وهذا ما نجده في مقولة ² حول صنيع هنريش بليث (Heinrich plett) إذ يقول معلقا على الاتجاه البلاغي الذي يرمي إلى اصطناع بلاغة عامة، تهتم بما هو تخييلي، وتداولي معا: "وقد تدعم هذا المنحى بدراسات قيمة من قبيل دراسة لهنريش بليث بعنوان: البلاغة والأسلوبية³، أعاد فيها إلى الواجهة البعد التداولي الحجاجي للبلاغة القديمة، هذا البعد الذي تفتقده الأسلوبية الحديثة"⁴.

¹ محمد العمري، الحجاج مبحث بلاغي فما البلاغة؟ ، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 1 الحديث إربدا 2010 1 : 21.

² محمد بن عبد الله بن حمو العمري، من مواليد سنة 1945 بقرية الحارة على ضفاف وادي درعة جنوب المغرب، تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم على يد والده، وعند استقلال المغرب التحق بالمعهد الإسلامي، حصل على شهادة البكالوريا والتحق بجامعة محمد الخامس، حيث حصل على الإجازة في الأدب العربي واشتغل بالتدريس في الثانوية، وفي سنة 1989

، وبعدها أستاذا للتعليم العالي، تقاعد مبكرا ابتداء من أوت 2005م، بدأ مشروعه بالبحث النقدي حول مندور، ثم اتجه إلى تحقيق التراث (المسلك السهل للإفراني) وبدأ انشغاله بالدرس البلاغي مع تحليل الخطاب الشعري والموازنات الصوتية، واشتغل على الخطاب الإقناعي (في بلاغة الخطاب الإقناعي) وجاء عمله (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها) متوجا لمشروعه حول قراءة البلاغة العربية، ويعمل حاليا على قراءة الخطاب السياسي في ضوء معطيات ومفاهيم البلاغة الجديدة خاصة في آخر منجز له (تحليل الخطاب الأصولي) (2015).

³ هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، تر محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب / بيروت لبنان، 1999 .
⁴ النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، المغرب الدار البيضاء، ط1

العربية الجديدة والمفهوم :

وهذا ما نجده مع التيار الجديد الذي يهدف إلى الاستفادة من الأسلوبية والشعرية مع التداولية ومباحث الحجاج لمقاربة الخطاب وتحليله .

مرحلة كانت الدراسات العربية المعاصرة على اتصال بالتيار التداولي ودخل مفهوم الحجاج والإقناع والخطاب التأثيري وغيرها من المفاهيم ويقف العمري على رأس الدارسين الذين استفادوا من الكتاب الرئيسي : مصنف في الحجاج (البلاغة الجديدة) (La nouvelle)Traité de l'argumentation (rhétorique).

هذه العبارة الأخيرة التي انتشرت بين الدارسين وسارعوا مثل الغرب إلى اعتبار نظرية الحجاج (L'argumentation) بلاغة جديدة ، وهناك من قصر تسمية البلاغة الجديدة عليها من قبيل ما صنعه عبد الله صولة في دراسة قدمها ،ضمن : مفهومه ومجالاته ونستطيع أن نقرأ قوله في هذا الصدد : "البلاغة الجديدة في العصر الحديث بلاغات كما يقول روبرول لكن يمكن أن نعتبر البلاغة التي جاء بها بيرلمان وتيتيكا هي هذه البلاغة الجديدة"¹

(1430هـ) يعترف بأن البلاغة الجديدة بلاغات وهذا ما نريد نحن دراسته وبيان طاقاته وإمكانات البلاغة العربية في ضوءه ؛ لأن اعتبار البلاغة الجديدة محصورة في الحجاج يحد من فعاليات أقطاب كثيرة كالفعالية التأويلية والشعرية كذلك ، بل إن ما ستفصح عنه دراستنا في هذا المدخل هو كشف عن هذه الفعاليات في الدرس البلاغي العربي القديم ،وفي ضوء مباحث البلاغة الجديدة .

واعتبارنا البلاغة الجديدة بلاغات متعددة لا يعني تنازعها ،أو تنافر أقطابها ،بل على العكس من ذلك ،نجد تداخلا وتعاضدا بين هذه البلاغات لتأسيس صرح بلاغة عامة مؤهلة لتشكل الخلفية النظرية ،والعدة التطبيقية لتزود الدراسة

¹ عبد الله صولة ،البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)،ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ،ج1 عالم الكتب الحديث ،إربد الأردن ، 2010 1 28:

العربية الجديدة والمفهوم :

النقدية بما تحتاج إليه لمقاربة الخطاب التداولي والتخييلي ، ويذكر محمد مشبال بأن المنجزات الشكلانية والدراسات الأسلوبية لا يمكن أن تحل محل البلاغة بل تعتبر داخلية في دائرة البلاغات المتشكلة على مدى تاريخ الانسانية¹.

بل ويزيد على ذلك قائلا : "فالبلاغة - كما يرى معظم المفكرين البلاغيين المعاصرين - ماثلة في كل النصوص ، بل إنها مكون طبيعي في أشكال التواصل الإنساني ... هذا هو موضوع البلاغة ، الذي قد يتجسد أحيانا في مجموعة من البنيات الإقناعية (البلاغة الحجاجية) ، وأحيانا في مجموعة من الصور والوجوه الأسلوبية ذات الوظيفة التحسينية (بلاغة المحسنات) وأحيانا أخرى قد يتجسد في مجموعة من الصيغ التعبيرية والتصويرية التي تفرزها مختلف الأجناس والأنواع والأشكال والنصوص الأدبية ... (البلاغة الأدبية)".²

وعلى هذا المثال نجد في الدراسات المعاصرة المتأخرة منها عناية بالبلاغات الخاصة مثل بلاغة الرواية وبلاغة المسرح مثلما قدمه محمد مشبال عن بلاغة النادرة ، باعتبارها نوعا سرديا قديما ، لم تكشف عنه نظرية البلاغة العربية، لكن يمكن استنتاج الكامن من خلال النصوص الواردة وسياقاتها التي جاءت فيها³، ووجود هذه البلاغات النوعية تحت مسمى البلاغة الجديدة ضروري لألا يحصر معناها، ومفهومها في مجال يضيق الخناق على الآفاق التي تريد اكتساحها ، وبناء بلاغة عامة ترجع إليها البلاغات الخاصة ، وتستمد منها مبادئها النظرية ، مدها كذلك بالخصائص النوعية المشتركة ، والتي تسهم في بناء كليات البلاغة كعلم

كلي شامل يمس علوم الإنسان واللسان ، وقد نبهت جماعة مو (Groupe MU) هذا الأمر ، إذ اعتبرت مؤلفها البلاغة العامة غزوا لمناطق غير مكتشفة وجديدة تدخلها بلاغة تطبق على كل أصناف العبارة⁴.

¹ ينظر : محمد مشبال ، البلاغة والأصول ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2007 ، 7.

² المرجع نفسه ، ص: 8.

³ ينظر : محمد مشبال ، بلاغة النادرة ، أفريقيا الشرق المغرب ، 2006.

⁴ ينظر : Groupe Mu , Rhétorique générale, Édition du seuil, paris , 1982, p:158.

ولهذا أردنا أن نضبط مفهوم البلاغة الجديدة؛ باعتباره مصطلحا يجمع عديد البلاغات، مثلما سبق وأن أشرنا، لكننا سنركز على الفروع الأكثر نضجا

ضوئها سنيين مؤهلات درسنا البلاغي القديم، وإمكاناته النظرية التطبيقية وخصائصه المميزة له عن النظرية الغربية، ونتخذ نموذج دراسات العمري كمثال تطبيقي للدراسات العربية المعاصرة التي وسعت مفهوم البلاغة لتتناول شتى أصناف الخطاب، وتعيد قراءة الموروث البلاغي في ضوء الواقد الجديد، وهذا النوع من سة يستهدف قراءة المشاريع، لا علاقة له بتقييمها، والمفاضلة بينها وبين المشاريع الأخرى، لكن قراءة المشروع من ورائها تحقيق في النتائج المتوصل إليها، وتحقق من الدرس البلاغي، وتوسيع لنقاط مهد لها المشروع قيد الدراسة .

2- تاريخ البلاغة العربية ومساءلات الراهن للقديم :

كانت عملية التنقيب عن التراث العلمي، والأدبي العربي قد بدأت منذ عصر النهضة والإحياء، لكن المتتبع لهذه الحركة، يرى بأن من وقف على إحياء التراث نشره وتحقيقه، ما كان بإمكانه أن يتجاوز هاتين العمليتين؛ بسبب الظروف المحيطة به، ونجد في أحسن الأحوال دروسا وشروحا لكتب بلاغية بعينها مثل التلخيص و عقود الجمان والإيضاح... إلخ، مع غياب النظرة الشمولية التي تتناول تاريخ الدرس البلاغي عند العرب، وكذلك غياب التحليل المعمق الذي يربط بين الاهتمام البلاغي، وبقية الانشغالات والمجالات العلمية، والمعرفية القديمة، ناهيك عن الحديثة، أما التنبه لبلاغة الغرب في هذه الفترة (عصر النهضة والإحياء) فإننا نجد أثره عند الطهطاوي (ت1290هـ) في تخلص الإبريز¹، الذي بين اهتمام الغرب بالبلاغة وأن لها اسما هو: الريثورقي، وهذه الفترة لم تؤرخ للدرس البلاغي العربي إلا في نهاياتها، ونجد ذلك مع ما كتبه المراغي (ت1370هـ) في علوم البلاغة² وغيره ممن أولوا بعض العناية التاريخية بالبلاغة العربية مع الاهتمام بالخط الذي

¹ ينظر: الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، موفم للنشر، الجزائر، 1991، 359.
² أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2005 .

العربية الجديدة والمفهوم :

ينطلق من الجاحظ مرورا بالبديع وصولا عند الجرجاني ثم المفتاح وما يعقبه من تلخيص وشروح ،وعملية التأريخ مهمة لاكتشاف الأنساق التي البلاغية وامتداد كل مدرسة وطريقة تطبيقها وتناولها للنص ، وهذه الفترة كشفت جزءا ضئيلا من التاريخ البلاغي ، بل وساهمت في ترسيخ نموذج واحد هو نموذج القزويني(ت739هـ) ومن تابعوه بالشروح والحواشي ؛على أهميتها إلا أن تناولها باعتبارها نموذجا أوحدهم للبلاغة، جعل هذه الأخيرة ، تتصف بصفة الجمود متنا، وشرحا ، وشاهدا .

ثم جاء مؤلف الدكتور شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ الذي يعلن من خلال مقدمته أن ما سيقدمه هو استعراض لحياة البلاغة على منازل التاريخ في درس منظم بحيث تتضح معالم تطورها في كل منزلة من جيل إلى جيل .¹

وكذلك كان الكتاب إذ نلمس فيه جدية العمل ، والرغبة في المسح التاريخي، ودراسة المؤلفات البلاغية ، وتصنيف تياراتها ، وتحديد منشأ البلاغة العربية، والعوامل المساعدة على ذلك ضمنا .والعمل الذي قام به شوقي ضيف ، جاء من توجه إليه برؤية جدلية بين التراث والمعاصرة وهو الأستاذ حمادي صمود في مؤلفه: التفكير البلاغي عند العرب ، وصاحب هذا المشروع يقر بأسبقية غيره لكنه ينتقد طريقتهم بالقصور "وسبب هذا القصور يعود، من وجهة نظرنا، إلى غياب جدلية التراث والحدثة في هذه المؤلفات وتصديها لدراسة التفكير البلا

2،

وقد جعل حمادي صمود من الجاحظ مركزا يرصد من خلاله الدرس البلاغي قبله وبعده ، باعتباره شخصية معلمية تأثرت وأثرت في هذه البلاغة .

إن عملية تأريخ الدرس البلاغي تكشف عن الاتجاهات الكبرى التي ميزته وأثرت فيه ، كذلك تفتح المجال أمام دارسي الخطاب لمعرفة نوافذ أخرى لمفاهيم

¹ ينظر : شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة مصر ، ط3 ، 13 : 5 .
² حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، دار الكتاب الجديد 2010 ، بيروت لبنان ، ط3 : 12 .

العربية الجديدة والمفهوم :

بلاغية ؛ إن تناولناها من وجهة واحدة أصابها الجمود والتكلس مثلما ما حدث للبيان والبديع والمعاني ، هذا التقسيم الذي جنى على نظرية البلاغة العربية ، وسد الآفاق ، وحبس وجهات نظر قدمت تقسيمات أخرى انعكست على ممارسات تحليل الخطاب بالإيجاب ، ولهذه الاعتبارات وغيرها نرى ضرورة إعادة قراءة البلاغة العربية دون تهميش أو استثناء تيار من تياراتها ، خاصة إذا كانت هذه القراءة تعتمد مفاهيم مستقاة من البلاغة الجديدة التي سبق وأن أعلن أصحابها عن تعدد وجهاتها ، بل إن هذه القراءة يجب أن تراعي المهد التاريخي الذي نشأت فيه هذه البلاغة ، والسياق الحضاري الذي ترعرعت فيه ، وظل يرافقها كالظل ، لكن كثيرا من الدارسين لم ينتبهوا إليه ، وسنعود إلى هذا خاصة في قضية الإعجاز والبحث في المفاهيم الحقيقية لهذا المصطلح ، هذا العمل يجعلنا نجابه عديد والتساؤلات منها :

ما أصول البلاغة العربية ؟ وما هي كلياتها النظرية ؟ كيف سترتسم أمامنا صورة البلاغة العربية إذا حاولنا اكتشاف أبعادها المترامية باعتماد الدرس الجديد ؟ هل حقيقة ترجع البلاغة العربية إلى علوم ثلاث (معاني ، بيان وبديع) ؟ من أين جاءت هذه المصطلحات ؟ وما علاقتها بالخطاب الإنساني والقرآني ؟ هل تم بالفعل تقييم كل الأعمال البلاغية بما يتناسب مع مقاصد أصحابها ومشاربهم وسياقهم التاريخي ؟ ألم تهمل مؤلفات بأكملها في التأريخ البلاغي ، بدعوى أنها ليست من البلاغة في شيء ؟ أليس من الغريب اليوم أن نجد الاختيارات الشعرية مثل : الحماسة ، والمفضليات ، والتشبيهات تمثل اتجاهها بلاغيا له مقوماته ، وأسسها النظرية

هذه التساؤلات نجدها بدأت تتنامى في العقود الثلاث الأخيرة ، ومن بين الأعمال المهمة ما قدمه محمد العمري في كتابه : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، هذا العمل الذي رصد من خلاله ما استطاع من المشاريع البلاغية ومعتمدا مفاهيم بنيوية كالنسق ومفاهيم التلقي ، وسنعود في الفصلين القادمين لتعميق

العربية الجديدة والمفهوم :

الرؤية في كامل مشروع العمري ، كذلك نجد محمد مفتاح في كتابيه مجهول البيان والتلقي والتأويل¹ قد تعرض للكشف عن اتجاهات بلاغية تناساها درس البلاغي العربي ؛ كالمدرسة المغاربية التي نجد ضمنها أسماء مثل السجلماسي (ت ق 8هـ) (684هـ) وابن خلدون(ت808هـ)

وفي مدخلنا هذا سنحاول قراءة أصول البلاغة العربية ، محاولين بذلك إضاءة أجزاء من المنجز البلاغي العربي وتصحيح الرؤية – اجتهادا منا – المواقع التي رأينا إجحاف الدارسين في أحكامهم على مراحل بلاغية بعينها ، هذا ما سيدخلنا في خلاف مع دارسين آخرين سبقونا إلى هذا الميدان لكن عمادنا في هذا العمل هو قول الإمام أبي حنيفة : " هذا الذي نحن فيه رأي لا نجبر أحدا عليه ، ولا نقول يجب على أحد قبوله بكراهية " ونحسب أن الدارسين السابقين يسرون على هذا النهج العلمي في الانفتاح ، وقبول الرأي الآخر المؤسس على دعائم علمية .

3- مقومات البلاغة العربية نشأة وتطورا وامتدادا :

/نشأة البلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع :

لا نريد أن يكون تتبعنا لنشأة البلاغة العربية من منظور ظهور الإسلام وتأثر العرب به ، إنما نريد أن ننقب عن الأصول الأولى محترمين ملابسات الفترة التاريخية ، والملاحظ أن البلاغة كغيرها من العلوم اللسانية والإنسانية لم تكن مقننة وموضوعة في زمن الجاهلية ، لكن العرب كانت تمتلك هذه المعرفة اللغوية، كقدرة كامنة ضمنية يتوارثونها جيلا عن جيل مثلما يقول ابن خلدون : "...فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم ،يسمع كلام أهل جيله ، وأساليبهم هم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم ؛كما يسمع الصبي استعمال المفردات

¹ ينظر : مجهول البيان والتلقي والتأويل خاصة في ربط محمد مفتاح الآليات البلاغية بالمفاهيم المنطقية وكذلك علاقة التراث البلاغي في تياراته المغاربية بالرياضيات ومفهوم البيان والبلاغة ومقاصد التأويل وامتدادات مشاريع البلاغيين نحو غايات شرعية وسيدسية وكذلك كونية إنسانية .

العربية الجديدة والمفهوم :

في معانيها ؛فيلقنها أولا ، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك [...] إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم¹

ويسبق كلامه هذا حديثه عن البلاغة وأنها بلوغ المتكلم الغاية من إفادة مقصوده للسامع حيث يقول : " كلها شبيهة هي وجودتها وقصورها نقصانها. وليس هو التراكيب.

تركيب للتعبير بها التآليف يطبق حينئذ الغاية وهذا هو²، فالقدرة اللغوية هي التي تمكن الإنسان من التعبير عن المعاني ، وهذا الأمر لا يتعلق بالمفردات ، وهنا نلاحظ شيوع فكرة أن البلاغة لا تتعلق بالمفردات لوحدها ، فالتركيب الذي يراعي قوانين التآليف، الذي بدوره يعمل على اتباع قاعدة المقاصد وتطبيق الكلام على مقتضى ؛أي مراعاة المناسبة التداولية ، إذا توفرت كل هذه المواصفات تم معنى البلاغة، وانكشفت حقيقتها.

وملاحظات ابن خلدون تسلط الضوء على العصر الجاهلي باعتبار البلاغة ملكة فطرية تنشأ بالسماع فطرة ثم النسج على منوالها ، وتكرار استعمالها ؛ هكذا عند العرب قبل الإسلام هي ملكة للتواصل ؛ لأنها ارتبطت بمفهوم الوصول والإيصال وهذا ما نجده عند صاحب اللسان إذ يقول : "بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا : وصل وانتهى ؛ وأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا ، وقول أبي قيس بن :

قالت ولم تقصد لقل الخنى : مهلا فقد أبلغت أسماعي³

¹ عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق سوريا ، ط 1 2012 : 622.

² المرجع نفسه ، ص : 622.

³ ، القاهرة مصر ، () .

العربية الجديدة والمفهوم :

ويقول في موضع آخر : "وتقول له في هذا بلاغ وبلغة وتبلغ أي كفاية . وبلغت
1".

فالبلاغة والبلاغ والجزر اللغوي لهذه الكلمة تجتمع فيه خصائص الإيصال وبلوغ النهاية والكفاية في الكلام وغيره ، ومن هنا ندرك حقيقة العلاقة بين مفهوم البلاغة وبين بقية العلوم اللسانية وهي حقيقة التواصل إذ نجد عنصر التركيز على الإيصال وتحقيق الكفاية فيه ، وليست أمرا يأتي بعد إنشاء الرسالة اللغوية ، إنما هي أصل هذه الرسالة إنشاء ومقصدا ولا تهتم فقط بالوظيفة التزيينية أو الجمالية كما هو كثير .

ولا نزال مع أصل نشأة البلاغة ، هذا الأصل الذي نلتمسه من المعجم الذي جمع عن الفترة الجاهلية لأننا ننطلق منها وهو أول مرجع ينبغي المرور به لتحقيق جذور هذه النشأة التي سنراها تتواشج مع الروافد التي ستحملها مستقبلا ، هذا ما لا البلاغة العربية ، وسنشير إلى ذلك في موضعه ، والعرب في زمن الجاهلية أخص ميزة وسمتهم هي أسنتهم وإجادتهم فنون القول والخطاب ، فكان الشعر ديوانهم والخطابة ميدانهم ، حتى ليصل أحد علماء اللغة وهو ابن فارس ليقول: "الشعر شعر العرب ديوانهم وحافظ مآثرهم"².

وهو هنا يريد الإشارة إلى اختصاص العرب بالقول الجميل وصناعته ، وأن بقية الأمم ليست هذه ميزتها ، بل نجد في العديد من النصوص التراثية كلاما عن اختصاص العرب بالشعر وملازمته لها ، ونحن ما يهنا هو علاقة هذا الخطاب بفعالية البلاغة التي عرفها العرب في الجاهلية ؛ باعتبارها ملكة فطرية عمودها التواصل وبلوغ الكفاية في القول ، والشعر أحد مسالك التعبير التي اتضحت فيها هذه البلاغة وقد أكسب لهذه البلاغة العديد من الخصائص ستظهر في العصور اللاحقة .

1 ()
2 أحمد بن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ط2
43: 2007

العربية الجديدة والمفهوم :

ونجد عبد الكريم النهشلي(ت ق5هـ) يورد نصوصا في مقام الشعر عند العرب: "وقال الحجاج لمساور بن هند :لم تقول الشعر ؟قال: أسقي به الماء ، وأرعى به الكلاً وأقضي الحاجة فإن كفيّتي ذلك تركته"¹، فالشعر يدخل في جزئيات الحياة عند العربي في الجاهلية ، والبلاغة كما بينها في هذا العصر كانت قدرة كامنة فطرية عندهم ملازمة للتواصل ، والشعر شكل من أشكال هذا التواصل ، سواء كان خاضعا للتداول اليومي أم كان متعديا نحو أغراض أخرى ، مثلما نجد عديدا من القصائد تبدأ مطالعها بكلمة تتفق في جذرها اللغوي مع البلاغة كقصيدة اللقيط بن يعمر :

أبلغ إيادا وخلل في سراتهم إني أرى الرأي إن لم أ²
أو قصيدة ربيعة أخت عمرو ذي الكلب :

أبلغ هذيلاً وأبلغ من يبلغها عني رسولا وبعض القول تكذيب³

فالشعر كان الشكل الأبرز للتواصل من خلال هذه القدرة والملكة الفطرية وهي ملكة البلاغة.

ونجد عند أبي حيان التوحيدي(ت400هـ) كلاما ينقله عن ابن المقفع حول المعرفة الفطرية عند العرب ومن ضمنها فطرية الإجابة في الكلام : "...حتى إن الرجل منهم وهو في فج من الأرض يصف المكارم فما يبقي من نعتها شيئا ، ويسرف في ذم المساوي فلا يقصر ، ليس لهم كلام إلا وهم يتحاضون به على اصطناع المعروف ثم حفظ الجار وبذل المال وابتناء المحامد ، كل واحد منهم يصيب ذلك بعقله، ويستخرجه بفطنته وفكرته فلا يتعلمون ولا يتأدبون ، بل نحائر مؤدبة وعقول⁴ فأغراض الكلام ومقاصده يبلغ فيها العربي الكفاية والنهائية فلا يقصر وهذا

¹ عبد الكريم النهشلي القيرواني ، الممتع في صنعة الشعر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 1983 :20.

² أبو الحسن البصري ، الحماسة البصرية ، تح عادل سليمان جمال ، الخانجي ، القاهرة مصر ، ط1 1999 :280.

³ أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط1 22 :507.

⁴ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، ط1 2004 :47.

العربية الجديدة والمفهوم :

معنى كون البلاغة هي الكفاية وبلوغ المنتهى ، وهذه الملكة فطرية يستخرجها فطنة

إذن في العصر الجاهلي كانت البلاغة ملكة ملازمة للتواصل لكننا نجدها تكتسب مواصفات أخرى منها الإمتاع بالقول والدفع نحو الفعل .

الشعر عند العرب ، وطربها لسماعه ، وتغنيها به ، وتسمية

:

تغنّ بالشعر إما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار¹

وليس من الغريب أن نجد ابن رشيق يخصص بابا للإنشاد ، والحديث عن غناء العرب في جاهليتها ومرافقة الشعر له ، بل وتأصيل الشعر منه ، وما للغناء من أثر على فعل الإنسان وانفعاله² .

ونجد الدفع نحو الفعل في قصيدة اللقيط بن يعمر الإيادي –وليست الوحيدة إنما مثال عن غيرها- والتي دفع بها قومه لمجابهة كسرى وإبلاغهم ودفعهم نحو الفعل ، وغيرها كثير كقصيدة عمر بن الكلثوم التي يقول عنها بعض الشعراء :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كاثوم

يروونها أبدا مذ كان أولهم يالرجال لشعر غير مسؤوم³

ولم يكن الشعر لوحده دافعا نحو الفعل بل كانت الخطابة كذلك

التي زاحمته وخالطته فأعطته من خصائصها الإقناعية وأخذت منه الطاقات التخيلية في سبيل الاستهواء ، ونجد نصا جديرا بالاهتمام في البيان والتبيين يخص الشعر

¹ ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده ، تح محمد عيد الحميد محيي الدين ، دار الطلائع ، القاهرة ، 2009 : 272.

² ينظر : المرجع السابق ، 270 : 273.

³ أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي بيروت 11 : 36.

العربية الجديدة والمفهوم :

والخطابة على السواء؛ إذ يذ (255هـ): "وقال أبو عمرو بن العلاء: كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم. فلما كثر الشعر

الخطيب عندهم فوق الشاعر.¹

هذا النص يبين وظيفة كل من الطرفين لكنه يخص الخطيب في التقدم لما ضاعت مصداقية الشاعر، وتفوق الشاعر على الخطيب ترجع إلى أسباب عديدة إذ من لوازم السيادة والرئاسة وطريق لإقناع القوم وحملهم على الفعل أو تركه .

هكذا تتضح صورة البلاغة في الجاهلية باعتبارها ملكة فطرية لصيقة بالتواصل الذي أخذ شكلين : الإمتاع والإقناع ، وهذان الشكلان بمقومتهما سيبرزان هم اتجاه ، مع العلم بأنهما قد يتداخلان كما نجد في عبارة صاحب الأغاني لما يذكر معلقة عمرو بن الكلثوم إذ يقول : "وكان قام بها خطيبا بسوق عكاظ ، وقام بها في موسم مكة"²

وسنرى في مراحل قادمة للبلاغة تداخل الخطاب مع ما هو شعري لتصل إلى حد اعتماد أحدهما على الآخر ضرورة .

من جانب آخر نرى بأن البلاغة الغربية لا تبتعد كثيرا عن البلاغة العربية

الإمتاع والإقناع ، وهذا ما يؤهل مكوناتها لاحتضان الأنواع ، فإن البلاغة الغربية نشأت إقناعية محضة ، ولا يعرف عما قبل الفترة الكوراكسية إلا شذرات حول الأصل اللغوي اليوناني لكلمة ريطوريق (Rhétoriké) يقول في هذا الصدد أوليفي

¹ الجاحظ، البيان والتبيين ، ج1، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، ط1 2010 : 175.

² لفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، ج11 : 36.

Olivier Reboule: "البلاغة كما يؤكد ذلك رولان بارت نشأت من قضايا الملكية ونستطيع القول كذلك بأنها نشأت من الحرية"¹

فالصراعات التي نشأت حول الملكية التي خلفها الغزو في صقلية هي التي (Corax) وتيسياس (Tisias) إلى إيجاد طريقة تعليمية في أساليب في حين نجد البلاغة العربية تتأصل في فرعين (إن لم تكن هناك فروع أخرى ستظهر تباعا) شعري وخطابي منذ البداية، والبلاغة الغربية تأخرت دعوات إدماج الشعري والخطابي إلى فترات متأخرة من عهود البلاغة، بالإضافة إلى أن البلاغة الغربية نشأت خطابة والبلاغة العربية نشأت باعتبارها ملكة للتواصل إمتاعا وإقناعا وتشارك في الحياة العامة والخاصة، لسنا هنا في صدد المقارنة التي اعتاد عليها بعض الدارسين لبيبنوا فضل ما هو عربي وسبقه بل نريد القول بأن ظروف النشأة تحمل جذور الاختلاف بين البلاغتين، مما يتيح للبلاغة العربية إمكانيات لا توجد في البلاغة الغربية، وهذا لا يزري بهذه الأخيرة ولا يحط من قدرها، فمثلا كانت الأسس الإقناعية والشعرية في بلاغتنا العربية فطرية ضمنية في المرحلة الأولى (الجاهلية خاصة)، في حين نجد البلاغة الغربية تحظى بالتأسيس والتقنين منذ أول مرحلة لها، أما ما يذكر عن الفترة السوفسطائية فلا تعدو كونها رافدا أو عاملا في هذه البلاغة، وليس أصلا للنشأة، أو صورة نبني عليها تصولا للدرس البلاغي والأکید أن الصراع الفلسفي /السفسطائي جعل من البلاغة الغربية إقناعية حجاجية²، ومن المبكر التطرق لهذه القضايا لأننا لم نلج بعد قضية الحجاج والتخييل في البلاغة العربية .

وقضية كون بدايات البلاغة العربية كانت معرفة فطرية كامنة عند العرب في إنشاء الكلام هو مفهوم بلاغي ينبغي استثماره لفهم جذور بلاغتنا فمحمد العمري

¹ Olivier reboule ,la rhétorique ,puf paris france,1^{er} edition 1986,p:9 .
² ينظر :هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب منوبة من ص:49: 89.

العربية الجديدة والمفهوم :

يشير إلى أن البلاغة بلاغتان ؛ إذ يجعل المفهوم الأول خاصا بالبلاغة باعتبارها كفاءة تعبيرية ، والمفهوم الثاني باعتبارها علما واصفا لهذه الكفاءة¹.

ونحن نقف مع محمد العمري في هذا التقسيم ونشدد على أهميته لكننا نأخذ به في رصد تاريخ البلاغة العربية وعدم جعل المفهوم الأول موضوعا للثاني وحسب بل وأصلا له سنتحدد أهم معالم الثاني من خلاله .

ب/الحدث القرآني والمساءلات البلاغية الأولى :

بعد أن بينا جذور البلاغة العربية وأصولها في الجاهلية ،نقف الآن على عتبة مهمة في التاريخ العربي ،وتاريخ العربية ؛ تتمثل في ظهور الإسلام ،ونزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ،هذا الحدث القر العر ، فأدركت بسليقتها ،وفطرتها اللغوية والبلاغية أنه خارج عن مستوى نظمهم؛ لا يشابهه ،ولا يستطيعون له نظيرا ،وقد تحداهم إلى ذلك فلم يأتوا بالبينة وذهبوا إلى سبيل الحرب والمقاطعة .

: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة، الآية: 23-24]

: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود، الآية : 13-14]

¹ ينظر محمد العمري ،أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ،أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء المغرب ،ط1
2013 : 18.

فالمشركون من قريش لما سمعوا القرآن الكريم كانت لديهم معايير بلاغية فطرية يعرفون من خلالها محل الجودة و

يكون دليلا على صدق صاحبه ، ونجد في الأثر ما يدل على ذلك فنجد عند الباقلاني "ما روي في الحديث أن جبير بن مطعم ورد على النبي صلى الله عليه وسلم في معنى حليف له ، أراد أن يفاديه ، فدخل والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سور

﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور، الآية: 1-2]

انتهى إلى قوله ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور، الآية: 7-]

[8]، قال: خشيت أن يدركني العذاب . فأسلم . وفي حديث آخر : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع سورة طه فأسلم¹

من خلال تعريجنا على هذا النص ، وعلى موقف العرب من القرآن الكريم، وهو موقف الانبهار وكذلك موقف يكشف عن معرفة العرب بأنه نص خارج عن نطاق قدرتهم ، رغم أنه يلتقي مع أساليبهم ، لكنه يفوقها ، ونحن نريد الفحص عن المعيار الذي احتكموا إليه للوصول إلى هذه النتيجة التي نجدها معبرا عنها فيما نقل إلينا من مواقفهم ، وهذا المعيار لا شك أنه ذو علاقة وشيجة بالملكة التي تحدثنا عنها، لكن في هذا المنعرج هي ملكة فاحصة ، و وصفية للكلام المنتج ، وليست ملكة لإنتاج الكلام إقناعا وإمتاعا ، هذه القدرة النقدية الواصفة مارستها العرب في الموازنات الشعرية التي كانت تجري بعكاز تحت إشراف النابغة ، وأخبار حكومته بين الشعراء ذائع صيتها ، لكن ههنا نجد الأحكام الواصفة للغة ، وأساليبها ليست بين شاعرين² ، بل بين نصين من مصدرين مختلفين ، ويسعى المتلقي للفحص عن أسباب جودة الثاني وتفوقه على الأول .

¹الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، القاه 7 2009 :27.

²نجد محمد العمري يجعل من النقد أحد الروافد التي ساهمت في بناء الدرس البلاغي العربي ويجعل الوعي بالخصوصية بلاغة أما الإجراء فهو نقد ، ينظر : محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، إفريقيا

العربية الجديدة والمفهوم :

إن الأسئلة التي طرحت ضمناً في قرارات العرب الذين سمعوا القرآن يم ، تتوزع بين أسئلة عقائدية ، ومعرفية ، لكن أهم سؤال هو السؤال البياني، والأجوبة التي تحصل عليها العرب تمكننا من الكشف عن المعيار الذي احتكموا إليه في تبيان علو القرآن الكريم وتفوقه على ما ألفه العرب من شعر، وخطب، وسجع كهان ، وهذا المعيار الذي نتكلم عنه هو أول بالبلاغة باعتبارها معرفة فاحصة وعلماً وصفيًا من شأنه التأطير النظري للمفهوم تخيلاً وتداولاً ، ففي الفترة الجاهلية كانت البلاغة ملكة إنشائية منتجة للكلام المخيل أو المقنع ، لكن مع نزول القرآن الكريم ، ومساءلة العرب ، واحتكامهم ضمناً إلى معيار معين ، نجد أن هناك جانباً آخر من البلاغة نشأ وهو جانب البلاغة باعتبارها

وفيما يخص المعيار الذي تكلمنا عنه ، فهو مركب من معطيات المعرفة اللغوية ، والأدبية للعرب ، ونستطيع العثور على هذا الأمر في أقوال العرب ، وموقفهم من القرآن الكريم ، ونحن مصرون على النظر في نشأة البلاغة من صميم المحيط الذي نمت فيه ، بعيداً عن تأثيرات العصور الموالية ؛ لأننا ألفنا الرأي القائل بأن الدرس الإعجازي ، بعد ما أحدثه القرآن الكريم ، هو الذي أسهم في إنكفاء جذوة الدراسات البلاغية ، لكننا نتناسى الأسئلة التي بنت هذا الدرس الإعجازي .
تلقي للعرب ، وسماعهم لهذا القرآن الكريم .

يمكن العثور على جوانب هذا المعيار الذي احتكموا إليه ، من خلال العودة إلى النصوص الناشئة عن الفترة التي مثلت الاحتكاك الأول بين العرب ، والقرآن الكريم ، وحيرتهم الشديدة إزاءه .

فمن بين أهم النصوص المتداولة في حديث الإعجاز ما روي عن رأي الوليد بن المغيرة ، "فقد اجتمع إليه نفر من قريش ليجمعوا على رأي واحد يصدر عن يده يقولونه للناس في الموسم فقال بعضهم : شاعر ، وقال بعضهم كاهن ، وقال

العربية الجديدة والمفهوم :

بعضهم :ساحر ،وقال بعضهم :مجنون ،فكان يرى هذه الأقوال ويفندها ثم قال :والله إن لقوله حلاوة وأن عليه لطلاوة وإنه ليعلو وما يعلى عليه "1

إن الاضطراب الذي وقع فيه العرب لما سمعوا القرآن الكريم يكشف عن جزء من المعيار الذي تحدثنا عنه ،فقد أرادوا نسبة القرآن الكريم إلى أقوال الكهان فأول ما قم به العرب البحث في الأنواع التي سبق وأن تلقوها وحكموا عليها بخصائصها ،لكن يبدو أن هذه الأنواع لا يمكنها أن تحمل الخصائص الموجودة في القرآن الكريم ،ولهذا يأتي رأي الوليد بن المغيرة ليحدد مواصفات النص القرآني يتان الأولى والثانية تشتركان في ميزة الاستهواء ،والجذب ،والتأثير على السامع ،أما الخاصية الثالثة وهي ما عبر عنه بالعلو فهي الميزة الإقناعية التي تجعل من القرآن الكريم خطابا موجها للعقل يصارع ماضي الأفكار ويصحح الاعتقادات .

خلاله ما تبقى من المعيار الذي تلقى العرب من خلاله القرآن الكريم ، ونسوق ما أورده السامرائي ناقلا إياه عن ابن كثير وابن هشام:"كان كل من أبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن شريق يأخذ نفسه خلصة لسماعه (القرآن) في الليل والرسول في بيته لا يعلم بمكانهم ولا يعلم أحد منهم بمكان صاحبه حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض :لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا جمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا .حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض :لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا "2

1 ،التعبير القرآني ،دار عمار ،عمان الأردن ،ط8 2012 . :8.

2 المرجع نفسه،ص:8.

وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء، الآية: 47].

فبعد أن رأينا الجزء الأول من المعيار الذي تلقى به العرب القرآن الكريم وهو عرضه على الأنواع التي سبق وأن تلقوها ، نجد في هذا النص ومن خلال الإشارة القرآنية فعالية سحر البيان والاستهواء ، فعجزهم ثلاث مرات عن مقاومة سماع القرآن يعد طاقة جذب غير عادي وآثرنا كلمة طاقات الجذب وسحر البيان عوض الاستهواء لأنها لا تتلاءم مع المعجم القرآني الذي اقترنت فيه بشحنة سلبية ، هذا أكد لهم أن القرآن الكريم له من الطاقات البيانية ما يجعل كل العرب يتبعون أمر هذا الدين والرسول صلى الله عليه وسلم ما كانت بيده معجزة أكبر من معجزة القرآن الكريم.¹

وقد حاولت قريش أن تجابه هذه الطاقة الموجودة في القرآن الكريم بأسلوب مشابه لما هو فيه ، مما يكشف عن فهم العرب للاستراتيجيات الموجودة في القرآن الكريم ، والتي من خلالها يجذب أسماع المتلقين ، ويتمكن من التأثير عليهم ، وإذا رجعنا إلى قوله تعالى :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة لقمان، الآية: 6]

فيذكر القرطبي(ت671هـ) أنه : "قيل: نزلت في النضر بن الحارث لأنه اشترى كتب الأعاجم: رستم واسفنديار فكان يجلس بمكة ، فإذا قالت قريش إن محمدا

¹ نستخدم مصطلح الآية والمعجزة والتحدي دون تفصيل في الفروق أو الملابس التاريخية حتى نصل إلى

العربية الجديدة والمفهوم :

قال كذا ضحك منه ،وحدثهم بأحاديث ملوك الفرس ويقول حديثي هذا أحسن من حديث محمد"¹

وهنا تظهر فعالية السرد ،وقدرتها على الاستهواء ،وتفطن السليقة العربية لهذا الدور الذي تؤديه ،بالإضافة إلى الشعر والخطب ،فالقص بما يحتوي عليه من احتواء زمني،واستبداد بالتخييل من خلال فعاليات الوصف الغرائبي ، والمعتمد على النادرة والخبر العجيب ،كان في رأي المشركين ،من شأنه أن يصرف أسماع العرب عن القرآن ، وكانوا يعتمدون على فعاليات السرد لمجابهة النص الجديد الذي سيقبله حياة الجاهلية ونظامها ،وقد تنبه الجاحظ(ت255هـ) بعد قرنين إلى تلازم الإقناع مع السرد ،مما جعل محمد مشبال يتخذ في دراسته له اتجاها يقر "بأن ثمة تلازما بين التصوير والحجاج ليس في أدب الجاحظ فقط ولكن في مطلق النصوص الأدبية"² .

ما نلاحظه كذلك ،هو العنصر الإقناعي الذي يحويه النص القرآني ،وهو ما جعل مشركي العرب في صراع مع استدلالاته ،وحججه الساطعة البراهين؛ إذ يطالبهم في كل مرة بالبرهان ،هذا ما سيدفع بالخطابة العربية ،وكذلك الشعر إلى اتخاذ وسائل الحجاج مطية للدفاع عن المواقف.ولنا عودة إلى الحديث عن الحجاج القرآني لما ستحتضن الدراسات الإعجازية درس البلاغة العربية .

الجاهلي؛باعتبارها ملكة فطرية متصلة بفعالية الاتصال ،فكانت ملكة تظهر في إنتاج الكلام إمتاعا وإقناعا ،ولما ظهر الإسلام ،ونزل القرآن الكريم تحولت هذه الملكة إلى وظيفة الوصف ،بالاعتماد على النصوص السابقة ،ومقارنة النص القرآني بها،وكذلك محاولة مجابهة القرآن الكريم بعد أن أدرك العرب قدرة كامنة فيه لها

¹ القرطبي،الجامع لأحكام القرآن،المكتبة التوفيقية،القاهرة مصر،ط10 2012 14 :38.
² محمد مشبال،البلاغة والسرد،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة عبد الملك السعدي ، تطوان المغرب،2010 :6.

العربية الجديدة والمفهوم :

هذه الفترة الممتدة من الجاهلية إلى نزول الوحي ، فترة مهمة في التاريخ لبلاغة العربية؛ لأنها لم تأت من عدم ، وأصول الحجاج والشعرية وحتى السرد موجودة في أصل الملكة الفطرية المنتجة ، والواصفة وهذا ما ستعمل العصور القادمة على اكتشافه وتنميته وإخراجه في شكل نظرية بلاغية متعددة المشارب والاتجاهات .

والفترة التي تلي نزول الوحي مما يصطلح عليه بصدر الإسلام نجد مع كل خليفة وصحابي موقفا بلاغيا في فهم القرآن الكريم ، وفي إسلام من يتعرض لسماع كلام الله تعالى ، بل إن هذه الفترة كانت ميدانا لتطور الجانب الإقناعي في الخطابة العربية مما سيمد الدرس البلاغي المعنتي بهذا الجانب بمادة تمكنه من استنباط خصائص الحجاج في الخطابة العربية، وما سيأتي من صراعات في عهد عثمان، واختلافات حول فهم النص القرآني ، والخلافات السياسية ، والعقدية في العصر الأموي، سيذكي نيران المساءلات البلاغية ، ويدفع نحو التأسيس للعلوم اللغوية العربية ، ومن بينها البلاغة ، لتظهر مع مصطلحات أخرى بتعريفات متنوعة غير محددة، شأنها في ذلك شأن العلوم الحادثة في بداية نشأتها الأولى .

ج/تطور البلاغة العربية والانتقال من الملكة الفطرية إلى العلم الواصف :

خلال العصر الأموي نمت مؤهلات البلاغة العربية وكذلك توسعت طاقات اللغة العربية جراء الحوادث الطارئة ، ونحن نسلط الضوء على الصراعات السياسية التي برزت في العصر الأموي وكانت السبب الرئيس في بروز الخطابة كفن للتوجيه والإقناع يتمسك كل طرف بحججه ويدافع عن موقفه السياسي هذه المادة الخطابية التي سيستثمرها بلاغيو القرن الثالث لتأسيس اتجاه بلاغي ترك بصمته في بلاغتنا .

ومحمد العمري لما خصص الفصل الثاني من مؤلفه في بلاغة الخطاب الإقناعي لدراسة مقام الخطاب في القرن الأول الهجري تحدث عن مقامات وأحوال

العربية الجديدة والمفهوم :

الخطب بين الوعظ والسياسة ، واستنتج في مقامات الخطابة السياسية نوعين أحدهما الخطب المتعلقة ببناء الدولة وإرساء أركانها وخطب الصراع حول الحكم¹.

ويصنف الخطابة السياسية إلى نوعين حسب نوعية العلاقة بين المتحاورين :

- حوار بين الأنداد .

- حوار بين الراعي والرعية .

والملاحظات التي أوردها العمري في غاية من الأهمية لأن بفن القول عموما هي التي أعطته القالب الإقناعي والجدلي الذي نراه بارزا في الخطابة ومقنعا بالتخييل في الشعر السياسي مفعما بالعصبية والشعبية في النقائص .

إن النص في العصر الأموي هو الذي حمل الخصائص التي ستؤهل بي لبناء أصوله النظرية إقناعا وتخيلا ، لأننا نجد بلاغي العصر العباسي يعتمدون على الميراث الأموي خاصة الاتجاه الذي اهتم بفعاليات الخطاب الإقناعي فأغلب معتمداته النصية مبنية على العصر الأموي ، وهكذا نجد بأن هذا العصر له أثر بارز على أحد أهم اتجاهات البلاغة العربية ، ولما يشارف العصر الأموي على الانتهاء يكون أمامنا مجموعة من الحوادث والتغيرات البارزة على المستوى العقائدي والمعرفي واللغوي ستؤثر في ظهور اتجاهات الدرس البلاغي العربي وتخطط معالم وجهه .

وسنحاول تلخيص هذه الظروف والعوامل التي أحاطت بالدرس البلاغي وأ نشأته مع بدايات العصر العباسي .

¹ ينظر : محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، الدار البيضاء ، ط2 2002
57 50:

1- الخلافات العقدية والجدل الكلامي:

نجد نصا مميزا عند البغدادي (ت429هـ) يعرض من خلاله كيفية اختلاف الأمة، إذ يقول: "كان المسلمون عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه، غير من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا"¹

ثم يورد البغدادي خلافات جرت بين الصحابة رضوان الله عليهم وهذا لا يغطي الفترة التي نحن بصددنا إلى أن يصل إلى قوله: "ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال الروم والعجم، وفتح الله لهم الفتوح، وهم في أثناء ذلك على كلمة واحدة، في العدل والتوحيد، والوعد والوعيد، وفي سائر أصول الدين، وإنما كانوا يختلفون في فروع الفقه [...] ثم اختلفوا

زمن المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني وغيلان الدمشقي، والجعد بن درهم، وتبراً منهم المتأخرون من الصحابة، ثم اختلفت الخوارج بعد ذلك فيما بينها [...] ثم حدث في أيام الحسن البصري خلاف واصل بن عطاء الغزال في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين، وانضم إليه عمرو بن عبيد فطردهم الحسن عن مجلسه، فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد ال فقيل لهما ولأتباعهما: معتزلة"²

هذه الاختلافات التي عاشها الفكر الإسلامي، وعاشتتها الأمة العربية الإسلامية، أثرت على اللغة العربية، وكذلك على العقلية المبدعة في هذه اللغة، ودخل تأثيرها على أحد أهم اتجاهات البلاغة العربية، وهو الاتجاه الإقناعي/البياني والاتجاه الإعجازي النصي؛ لأن من مثل هذا الاتجاه كان في الأغلب ينتمي إلى فرقة كلامية، وعلم الكلام حجاج عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية والمنطقية.

ليس هذا فقط بل إن الصراعات الكلامية كانت قد اتخذت القرآن الكريم تدور حوله مسائلها وهذا الجدل الدائر حول القرآن الكريم يمكن تقسيمه إلى:

¹ عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1 2005 :14.
² المصدر نفسه، ص: 17.

- جدال حول مضامين القرآن وأحكامه .
- جدال حول القرآن الكريم باعتباره معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم .
- جدال بين القرآن الكريم والأفكار الأجنبية .

والجدال الثاني هو الذي دفع بلاغة الإعجاز، وتفرعت عنه العلوم التي تهتم بوجوه البراعة في القرآن الكريم والتفوق على ما عده من المنجزات اللغوية، وسيتطور منه اتجاه نشأ من التنقيب والبحث في أسباب التفوق بجانب البحث عن الأسلوب والنظم ليكون بلاغة نصية، تهتم بجزئيات النص القرآني وتناسب آياته، وأسماء سوره مع مقاصد أحكامه، بل وتبحث عن الانسجام والاتساق والمناسبة بين آخر السورة، و بدايتها، بل نجد من يجعل هذا الأمر مدار البحث الإعجازي، وهذا ما يقرره السيوطي (ت911هـ)، وينقل عن غيره ما يثبت ذلك، فأبو بكر النيسابوري الذي كان كثير العلم في الشريعة والأدب، كان يزري على علماء بغداد عدم علمهم بالمناسبة، وينقل السيوطي قول "الإمام الرازي في سورة البقرة: ومن تفكر في لطاف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته"¹.

لبحث في التناسب بين سور القرآن الكريم وآياته، من ناحية اللغة والمقام الذي نزلت فيه، اهتم به أحد الروافد المهمة في نشأة الدرس البلاغي، وهو درس التفسير، وعلومه التي انصب اهتمامها على القرآن ونشأت منه، والذي يرجع إلى كتب علوم القرآن سيجد بأن أكثر من نصف هذ والبلاغي، أو في أحسن الأحوال ترجع إليهما في ضبط نتائجها وتحقيق مبادئها .

كذلك نجد علم الكلام والصراعات العقائدية والسياسية التي أشار البغدادي سابقا إليها قد ساهمت في دفع اتجاه بلاغي معتبر وهو الاتجاه الإقناعي البيدي، ويربط محمد العمري بين البيئة الكلامية وتنامي مباحث الإعجاز والمجاز؛ لأن كلا

¹ جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 1988
44:

منهما كان يدخل ضمن الجدل القائم حول حجج النبوة وحجج القرآن وأنه مباين لكل
1.

والمتكلمون حملوا راية الدفاع عن العقائد الإسلامية، فرجعوا إلى القرآن
الكريم، وبينوا الأسس العقلية التي بني عليها هذا النص، "وستستفيد البلاغة العربية
من ذلك فائدة كبرى وستكون بيئة المعتزلة خاصة والمتكلمين عامة إحدى البيئات
الرئيسية التي ينشأ في ظلها التفكير البلاغي ويترعرع"²

لن نحاول استقصاء تاريخ علم الكلام، ولا الفرق الإسلامية، لكننا نبحت عن
تأثير هذه الظروف في تدعيم البحث البلاغي، وتطويره، وسنرى بأن كل عامل من
العوامل، أثر في ظهور اتجاه بلاغي معين مع وجود مناطق اشتراك في التأثير

2- تطور البحث اللغوي وتأسيس النظرية اللغوية العربية :

مع نهاية العصر الأموي، وبداية العصر العباسي، كانت الحاجة ملحة
لجمع اللغة، ورصد الفصح منها، وجمع الأشعار ذات العلاقة بالمفردات
القرآنية، وتأسيس المعجم العربي؛ أما تقعيد اللغة فقد كان واجبا يمليه الشرع، ومن
أولويات الحاكم مثلما تدل المصادر في رواية قصة نشأة النحو العربي.³

وازدهرت سوق اللغويين والنحاة، وبدأت تظهر معالم الاتجاهات اللغوية
والنحوية، بفضل الصراعات التي كانت تحكم منطق المدارس النحوية
وأعلامها، والمناهج التي اتخذوها مطية لتقعيد اللغة، لكن ما يهم هو علاقة ذلك
بالدرس البلاغي، واتجاهاته التي ستثمر فيما بـ

¹ ينظر : محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب
1 2013 :115.

² حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، دار الكتاب الجديد المتحدة
بيروت لبنان، ط3 2010 :35

³ ينظر : محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط1 2005
13: 14.

العربية الجديدة والمفهوم :

يستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب "1 ، فإنه يهتم بمعايير الصحة، والسلامة اللغوية في مستوى التركيب ، وهذا ما نجده عند سيبويه عندما يحكم بالاستحالة على كلام منافٍ لمرجعية الواقع، في قوله : "أما المحال الكذب فإن

2،

:

هذا الاهتمام الذي أولاه علماء النحو للدلالة نجده في عديد من المواضيع، وهذا ما جعل أصول البلاغة تتماس مع مباحث النحو وتأخذ بطرف منها، والنحويون كما هو معلوم اتخذوا من بين ما اتخذوه ، المدونة الشعرية نصا لأصل سماعهم الذي وثقوا به قواعد العربية ، و"في الشعر تصبح الكلمات غاية في ذاتها، ولأجل ذلك كان التركيز فيه على النسيج اللفظي الذي يملك نوعا من السحر أو

3،

ولذلك يقوم الشعر باختراق قواعد يهتم النحو بترسيخها فإذا كان النحو العربي يؤسس قواعده على أصل ا - وليس آخرا- ويمثل الشعر في هذا الأصل حصة لا يستهان بها فكيف تعامل النحاة مع انحراف الشعر عن هذه المعايير؟

ههنا نكتشف السؤال البلاغي الذي أسهم النحاة واللغويون ، من خلاله ، في تنمية جزء لا يستهان به من أجزاء اتجاه بلاغي عريق الصلة بالفن " شك في أن إدراجهم القرآن والشعر في عداد المصادر اللغوية قد نبههم إلى بعض خصائصهما النوعية ودفعهم ، في نطاق مشاغلهم النحوية ، إلى جملة من الملاحظات البلاغية المفيدة خاصة وأنهما يخرجان عن معهود الكلام ويستعملان اللغة استعمالا خاصا لمقاصد فنية واضحة "4 .

¹ محمد بن الطيب الفاسي ، فيض نشر الإنشراح من روض طي الإقتراح وفي أعلاه الإقتراح في أصول النحو وجدله للسيوطي ، تح محمد يوسف فجال ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي الإمارات العربية 2002 : 237.

² سيبويه ، الكتاب ، تح عبد السلام هارون ، دار التاريخ بيروت لبنان ، ص: 49.

³ محمد مشبال ، البلاغة والأصول ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب ، 2007 : 30.

⁴ حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت لبنان ، ط3 2010 : 47.

العربية الجديدة والمفهوم :

إذ نجد علماء النحو واللغة أرجعوا كل مالا يتوافق مع القوانين النحوية المستنبطة من استقراء كلام العرب (المنثور والشعري) ،إلى أمرين هما :التوسع والضرورة ،وما سمي عند البعض الآخر بالمجاز، لأنهم كانوا مضطرين إلى مجابهة مسألة كانوا على وعي كبير بها ؛ فالشعر كلام مباين للكلام العادي على المستوى الأسلوبي ،وهي الحقيقة التي عبر عنها كوهن بقوله :"
اللغة الشعرية ظاهرة أسلوبية بالمعنى العام للمصطلح ،القاعدة العامة التي سيبنى عليها هذا التحليل هي أن الشاعر لا يتحدث كما يتحدث كل الناس وأن لغته غير عادية"¹

ويقول محمد العمري في هذا الصدد :"**وبذلك قبل النحاة مقاسمة المكان مع البلاغة حيث خرج أول جيل بلاغي من صفوف اللغويين .فكان من أوائل الأماكن التي احتلتها البلاغة سكنا مؤقتا :مجاز القرآن وضرورة الشعر [...]** وهذه أول لبنة قوية نظرية في البلاغة العربية ،بلاغة الشعر ،أو الشعرية"²

ولو رجعنا إلى النصوص الأصلية ،لوجدنا الخير يقينا ،فسيبوية يقول في باب خصصه لحالة الشعر تحت مسمى :"**هذا باب ما يحتمل الشعر "** إذ يقول :
"**اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف ،يشبهونه بما ينصرف من الأسماء ،لأنها أسماء كما أنها أسماء "**"³

إذن ،فلشعر قوانينه ،والواجب على النحو أن يأخذها بعين الإعتبار ، هذا الأمر جعل المباحث البلاغية تتنامى عند النحويين ومن أمثلة ذلك ما نجده في الكتاب:"هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام ،والإيجاز والاختصار :[...].ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى ،
: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

¹جون كوين ،بناء لغة الشعر ،ت أحمد درويش ،دار المعارف القاهرة ،ط3 1993 :24.
²محمد العمري ،أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ،أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء المغرب ،ط1 2013 :113.
³سيبويه ،الكتم 1 ،تح عبد السلام هارون ،دار التاريخ ،بيروت لبنان ،ص:49.

¹[يوسف، الآية: 82]، إنما يريد أهل القرية فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملا في الأهل لو كان هنا ومثله ﴿مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، إنما المعنى: بل مكرهم في الليل والنهار ²

وتوجد نماذج أخرى، توضع تحت باب الاتساع والضرورة، وهو المجال الذي فتح للشعراء وللغتهم التي تعدل عن القاعدة المتداولة لتأسس لنفسها اتجاها جديدا يضطر النحو / القاعدة الصناعية، أن تأخذه بعين الاعتبار، ونجد مصطلحا آخر، نما عند اللغويين الذين اشتغلوا بالقرآن الكريم، ثم أخذ هذا المصطلح طريقا آخر مع الدراسات الإعجازية وهو مصطلح المجاز .

3- فهم القرآن الكريم وأسئلة الإعجاز :

تتفق المصادر على أن القرآن الكريم لما نزل على الرسول صلى الله عليه وتلقاه أهل ذلك العصر فهموه دون اللجوء إلى قواعد ونظريات وآليات لأن الفطرة كانت سليمة حينئذ، يقول محمد سعيد رمضان البوطي: "مزيتان اتصف بهما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم اختلفتا تدريجا من العصور التالية، [...] هما اللتان أغنتا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا سيما في ن الاحتكام إلى أي منهج علمي يتبع [...]، هاتان المزيتان هما :

– السليقة العربية الخالصة عن شوائب العجمة .

ثانيا – الفطرة الإسلامية النقية، الداعية إلى التسليم ³.

هذه المعطيات تغيرت مع تقدم العهد خاصة وأن المسلمين (العلماء منهم) وجدوا أنفسهم في مواجهة عقائد وحوادث متجددة توجب عليهم النظر في القرآن الكريم نظرة استنباط واجتهاد ونظرة تبرير ودفاع .

¹يوسف: 82.

²سيبويه، الكتاب، ج1، تح عبد السلام هارون، دار التاريخ، بيروت لبنان، ص: 194.

³محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، دار الفكر، دمشق سوريا، ط12 2014 : 37.

العربية الجديدة والمفهوم :

وهذا العامل من العوامل في نشأة درس البلاغي العربي ،يبين فعالية الفهم، والإفهام ،والإقناع باعتبارها أجزاء قارة في البلاغة العربية ،لأننا عندما نقرأ مشاريع كل من الجاحظ (ت255هـ) ،وابن سنان الخفاجي (ت466هـ) (684هـ)، وغيرهم ستواجهنا قضايا تمتد جذورها إلى هذه العوامل التي كانت في القرن الأول والثاني الهجريين، ونجد علماء المسلمين بدأت تتنامى عندهم ملكة الاستنباط، وممارسة عملية الفهم على النصوص القرآنية ،بالاستعانة بالإستراتيجيات اللغوية كما هو الحال عند الشافعي (ت204هـ) في الرسالة ،لما يتحدث عن البيان وأصنافه.¹

وأصبح التفسير تتنازعه الأهواء والنحل ،ف نجد ابن عباس يرجع إلى ديوان العرب، لمعرفة المقاصد ،والمعاني ،وتابعه في ذلك الفراء ، فلا يـ المعاني إلا وأورد عليه بيتا من أشعار العرب ،يستشهد به ويتخذة عمدة في إصدار تفسيره والإعلان عن رأيه إزاء آية قرآنية .

هذا العمل له أهميته من وجهة نظر بلاغية ، فالنص يتعاقب مع نصوص سابقة ،وتحدد معانيه بالرجوع إليها ؛ لأنها ذخيرة اللغة ،وإذا قيل لغة العرب، فالمقصود كذلك شعرها ،ولفهم القرآن واستنباط الأحكام منه ،ينبغي معرفة خصائص هذا اللسان الذي يأخذ منه الشعر مكانة مميزة صبغت خصائص هذه اللغة، والأصوليون الأوائل تنبهوا لهذا الأمر ،يقول الشافعي : "وإنما بدأت بما وصفت لعرب دون غيره :لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب

أحد جهل سعة لسان العرب ،وكثرة وجوهه ،وجماع معانيه وتفرقها ،ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها .[...]فإنما خاطب الله بكتابه العرب

بلسانها ،على ما تعرف من معانيها	معانيها	لسانها
فطرته يخاطب منه ظاهرا يراد به	الظاهر ويستغني	هذا
منه ظاهرا يراد به ويدخله	فيستدل	هذا

¹ ينظر : الشافعي محمد بن إدريس ،الرسالة ،تح أحمد محمد شاكر ،مكتبة دار التراث ،القاهرة مصر ،ط3 2005 : 111.

العربية الجديدة والمفهوم :

به فيه	ظاهرا يراد به	وظاهر يعرف	سياقه أنه يراد به
غير ظاهره	هذا علمه	وسطه	[...]
اجتماعها	أهل	منها به	هذه
1''			معرفتها

فما نجده عند الشافعي، هو كلام عن خصائص هذه اللغة، وهي خصائص غير اعتيادية، لا يمكن أن توجد في الكلام العادي، ووجودها في كلام العرب دليل على شدة ارتباط التداول بالتحليل، وهذه مسألة ناقشناها في الحديث عن كليات البلاغة العربية، كذلك بحث الشافعي في هذه الخصائص النوعية (الأسلوبية) للعربية ضرورة لا مفر منها لفهم القرآن الكريم، ولهذا كان وضعها واحتسابها ضمن العوامل المهمة في نشأة درس البلاغي، والتأثير في تياراته، يكتسي أهمية مضافة .

وظهر مصطلح المجاز عند أبي عبيدة(ت209هـ) لكنه يحمل مفهوم الـ وطرق الخطاب أو كما قال فؤاد سزكين محقق الكتاب: "كلمة المجاز عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة المجاز فيما بعد"² فلا نجده يحمل المفاهيم التي سنجدها عند اللاحقين، فالمجاز عنده أقرب لمسالك الخطاب، وطرق تأدية المعنى من اختصار، وحذف وغيرها، وقد علق العمري على عمل أبي عبيدة قائلا: "بعد عملية استقصاء للأمثلة الدالة، (بغض النظر عن الشروح المعجمية عن طريق المرادف أو التفسير) بدا لنا أن إشكالات المجاز عند أبي عبيدة تدرج في ت التالية :

- 1- تداخل الضمائر وتبادلها المواقع
- 2- اختلاف أوجه الإعراب والقراءات

¹ الشافعي محمد بن إدريس، الرسالة، تح أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة مصر، ط3 2005 134: 135.

² محمد فؤاد سزكين، مقدمة تحقيق مجاز القرآن لأبي عبيدة، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ص:19.

- 3- استعمال اللفظ في غير موقعه المتوقع ومخالفة ظاهر القول .
- 4- الزيادة والنقصان في تركيب الكلام .
- 5-¹.

ومع أهمية العمل الذي قدمه أبو عبيدة خاصة من الوجهة الأسلوبية في رصد أشكال العدول التي تميز القرآن الكريم ؛ إذ حاول الرجل تقديم تفسير لقرآن الكريم ، وفهما مغايرا لطبيعة تفاسير عصره ، والدليل على ذلك سخط غيره من العلماء عليه، وعدم رضاهم على صنيعه ، وليس ذلك إلا لأن الإمكانيات اللغوية جعلت أبا عبيدة يتلقى القرآن الكريم ، ويفسره بحسب معطيات اللغة ، والسنن التي تجري عليها .

لكن العمل الأبرز أثرا والذي كان لديه صلة وثيقة بالدرس البلاغي هو البحث عن إعجاز القرآن ، والدفاع عن القرآن الكريم ، ورد مطاعن الزاعمين ، ونجد أوضح صورة لهذا الأمر مع ابن قتيبة (ت276هـ) في كتابه تأويل مشكل القرآن .

فابن قتيبة يضع كتابه في الرد على الطاعنين في القرآن الكريم والمنكرين لإعجازه والمدعين بوجود الخلل في نظمه دون برهان أو دليل أو بتدليس وجهل منهم .

لكن ابن قتيبة يجعل المتلقي للقرآن الكريم متلقيا خاصا لديه معرفة سابقة بالنصوص الإبداعية السابقة للقرآن الكريم وله دراية بالتقاليد الأدبية لهذه النصوص وهذا مانجده في بلاغة التلقي عند ياكوبس Hans Robert Jauss عندما يتحدث عن أفق التوقع ومكوناته خاصة خبرة الجمهور المسبقة بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه الأثر وشكل ومحتوى آثار سابقة يفترض معرفتهما ففي الأثر الجديد خاصة عندما يصرح قائلا : "فالتجربة الأدبية الجديدة التي يزودنا بها أثر لم يكن معروفا قبل الآن تتضمن ، مثلها

vorzissen

¹ محمد العمري ، البلاغة أصولها وامتداداتها ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب ، ط2 2010 97.

اتها بدونها لا يمكن للجدة التي نتعرف عليها في هذا الأثر أن تصبح

1»

ونجد ابن قتيبة يقرر بأن معرفة فضل القرآن أي بدائعه، وتفوقه على ما سبقه من النصوص، إنما يكون بمعرفة السابق من بديع الكلام عند العرب، وفهم طرقهم وأساليبهم، يقول: "وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب وما خص به لغتها دون جميع اللغات" 2

فمن أجل بيان فضيلة كلام ما ينبغي النظر إلى ماسبقه وخبرة المتلمها، وهذا ما سنجده مع اتجاه بلاغي عريق في المغرب العربي .

كذلك ضمن هذا العامل المهم في دفع الدرس البلاغي يمكننا تتبع خطوات ابن قتيبة في الدفاع عن القرآن الكريم، فقد رد شبه المنكرين لانسجام القرآن الكريم فبين مواضع الاتصال بين آياته، والفوارق الدقيقة بين معانيه وتحدث عن مفهوم المجاز وعرفه بقوله: "وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذها" 3

ثم اعتمد عليها في بيان فضل القرآن على سائر الكلام، وقد خطا خطوة مهمة في الرد على الطاعنين على القرآن بالمجاز بقوله: "وأما بالمجاز فإنهم زعموا أنه كذب؛ لأن الجدار لا يريد، والقرية لا تقصم. وهذا من أشنع جهالاتهم، وأدلها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم، ولو كان المجاز كذبا، وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلا، كان أكثر كلامنا فاسدا" 4

وهذه خطوة في تبرير ضرورة المجاز سنجد أثرها في المشاريع البلاغية اللاحقة، فابن قتيبة يصرح بضرورة التفريق بين المجاز والكذب، لأن معيار الكذب

¹ هانس روبرت ياوس، نحو جمالية للتلقي، ترجمة وتقديم محمد مساعدي، منشورات الكلية جامعة سيدي محمد بعة الأفق فاس، المملكة المغربية، ص: 60.

² ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح سعد بن نجدت عمر، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق سوريا، ط1 2011: 39.

³ المصدر نفسه، ص: 49.

⁴ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح سعد بن نجدت عمر، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق سوريا، ط1 2011: 145.

العربية الجديدة والمفهوم :

والصدق ،معيار الواقع ومطابقتها ،أما المجاز فهو عدول في اللغة ليس بالضرورة أن ينتهك حرمة الحقيقة في الواقع .

لكن البيئة التي احتضنت أكبر قدر من الاهتمام بالسؤال الإعجازي هي بيئة المتكلمين، التي بدورها ستولد اتجاهها بلاغيا نصيا ، يعتمد على مفهوم

بين الآية ، والمعجزة ، ليصلوا إلى وصف موقف مركب ،يعبر عن التحدي ،والعجز هو كنه الإعجاز عندهم ،ثم سعى رؤوس المعتزلة ،والأشاعرة في تبرير وجوه هذا الإعجاز ،وتوسعوا في باب بيانه ،وبلاغته لأنه تحدى العرب في الخاصية التي برعوا فيها .¹

هذه المباحث دفعت بالسؤال البلاغي بعيدا وأثرت عليه ،بل وساهمت في اتجاهاته .

فقد طرحت أسئلة من قبيل :كيف يكون القرآن الكريم معجزة ؟ وأين يكمن إعجازه؟ والعديد من الأسئلة التي سنحاول الكشف عنها في تبيان أحد أهم التيارات البلاغية ، ولتفسير القرآن الكريم بمختلف اتجاهاته أثر عميق على الدرس الحقيقة إذا قررنا بأن للبلاغة كذلك أثرها الملموس على فعاليات التفسير وتطور اتجاهاته ، والزمخشري (ت538هـ) من أبرز النماذج الممثلة لهذا الأمر ،من خلال تفسيره الكشاف ،"إذ استطاع أن يقدم فيه صورة رائعة لتفسير القرآن ،تعينه في ذلك بصيرة نافذة تتغلغل في مسالك التنزيل وتكشف عن خفاياه ودقائقه،كما يعينه ذوق أدبي مرهف يقيس الجمال البلاغي قياسا دقيقا وما يطوى فيه من جمال وجلال ."²

فالزمخشري معتزلي ،يعرف ذلك القاصي والداني ،وتتبع مؤلفي (471هـ)،الدلائل والأسرار ،مطبعا نتائج الجرجاني في علمي المعاد

¹ ينظر :محمود محمد شاکر ،مداخل إعجاز القرآن ،مطبعة المدني ،المؤسسة السعودية بمصر ،ط1 2002.
² شوقي ضيف ،البلاغة تطور وتاريخ ،دار المعارف ،ص:219.

العربية الجديدة والمفهوم :

والبيان على القرآن الكريم ، والملاحظ أن الجرجاني أشعري ، والزمخشري نظر إلى القرآن بعيون تأويل اعتزالية ، مما يوحي بمفارقة استطاع الرجل تجاوزها لأن

رية النحوية وقواعدها مع المقاصد

البلاغية، فتفسيره مثلا لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة، آية: 5] ، يراعي فيه مسألة الفصل بالضمير المنفصل

عند النحاة ، ويجعل له غرضا ومقصدا ، لأن " فائدته الدلالة ع

لا صفة ، والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره [..] ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون

[...] وتعريف المفلحين وتوسيط بينه وبين لييصرك

هم ويرغبك وينشطك لتقديم ويثبطك

تفتضيه حكمته به كلمته .¹

وكلامه عن مقاصد التعريف ، والفصل بالضمير هو تطبيق لما هو موجود

عند الجرجاني ، مما يبين أن الرجل تمثل نظرية الدلائل ، وأحاط بكلياتها وجزئياتها معطيا الأولوية للنظر اللغوي والبلاغي ، مخلصا آراء الجرجاني من الحمولة المذهبية التي بنيت عليها ، مكسبا لها بعدا يحكم اللغة ومقاصد الخطاب على مستوى المنجز اللغوي ، مع أن الزمخشري قد تدخل على مستوى النص التفسيري ، محملا إياه بالنظرة الاعتزالية التي ظل محافظا عليها ، ومفتخرا بها طيلة حياته .

¹ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، 3 ط 2009 : 40.

4- الحركة الشعرية ومذاهب الفن :

ننتقل إلى أحد العوامل المهمة التي تركت بصمتها على نشأة البلاغة ،إنها مذاهب القول الجميل أو مذاهب الفن في الشعر والنثر ،فالمضطلع على كتاب البديع لابن المعتز يدرك بأن الرجل يتكلم عن مذهب محدث في الشعر يعتمد مقومات فنية ي ظهرت بوادر اتجاه شعري جديد يعتمد خصائص شعرية جديدة يستغربها رواة الجاهلي القديم وفي هذا الصدد يقول البهيتي عن الحركة الشعرية الجديدة التي بدأت تظهر أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي ،وكان قد حمل لواءها أهل الصبوة كما سناهم مطيع بن إياس : "أن هذه صبوة كان من رأي أصحابها الاتصال بالحياة اتصالا مباشرا ،وجعل الشعر أداة للتعبير عن الحياة الجديدة ،والبعد به عن الأساليب التقليدية التي انتزعت أصولها من جزيرة العرب"¹

فمذاهب الشعر الجديدة ،وخاصة مدرسة البديع جعلت الوعي البلاغي يفتح يده تتطلب قراءة ،وتصنيفا بلاغيا خاصا ،ونجد في ما نقله الأمدى من رأي أهل الصنعة والبلاغة حول مذهب أبي تمام دليلا عاضدا لهذا الأمر إذ يقول: "إن أهل الصنعة يفضلون كل ما قاله أبوتمام [...] والمطبوعون وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعاني والإغراق في الوصف وإنما يكون الفضل عندهم في الإمام بالمعاني ،وأخذ العفو منها ،كما كانت الأوائل تفعل ،مع

2،

ومجموع الخصائص الشعرية الجديدة هي التي شكلت أحد المنابع التي استقى منها الدرس البلاغي العربي ،ويسمى أدونيس هذا المذهب الفني الجديد بشعرية الكتابة ،لأنها مخالفة للشفوية الجاهلية ،ويقول ملخصا رأي (335هـ) في طريقة أبي تمام :

¹ نجيب محمد البهيتي ،تاريخ الشعر العربي ،دار الفكر ،بيروت لبنان ،ط4 1970 :320.
² الأمدى ،الموازنة ،تح السيد أحمد صقر ،دار المعارف القاهرة مصر ،ط5 2006 1 :524.

العربية الجديدة والمفهوم :

"تتمثل خصوصية الطريقة المحدثّة في ابتكار معان لم تعرفها الشفوية الجاهلية، وتتمثل هذه الخصوصية كذلك في ابتكار لغة شعرية جديدة"¹.

هور الجديد على مستوى النص الشعري يجعل الآلة البلاغية تعيد النظر في معاييرها وآلياتها التي سيستفيد منها العمل النقدي في التقييم بالجودة أو بالرداءة .

(296هـ) يقف ليبين أن ما سمي جديدا ومحدثا على

ي كلام العرب والقرآن والحديث يقول :

وأحاديث	هذا	عليه	البديع ليعلم	يسبقوا	هذا	ولكنه	أشعارهم	زمانهم	تقيلهم	سبيلهم
				عنه	عليه" ²					

هذه المحاولة في رصد وجوه البديع واستخدامات اللغة في مستواها الأدبي حققت لابن المعتز سبقا بلاغيا لكنها لم تؤثر على مستوى الحركة الشعرية والجديد الذي أحدثته .

وليس من الغريب أن تقف الحركة الشعرية الجديدة وراء تطور الدرس اعتبرنا منجزات الشكلانيين بلاغة ترمي إلى وصف الخطاب مثلما يقول محمد مشبال : "الدراسات الأسلوبية والشكلانية التي تبلورت في بداية القرن العشرين لا يمكن إخراجها من دائرة البلاغات المتشكلة على مدى تاريخ الإنسانية"³ لشكلانية، كانت نصوص الحركة المستقبلية في الشعر، والتي اعتمدها الشكلانيون لدراسة، وتطبيق آلياتهم الجديدة، وهذا عينه ما حدث مع هذا العامل المهم في نشأة بلاغتنا العربية .

¹ أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب بيروت لبنان، ط1989 2 :43.

² عبد الله بن المعتز، البديع، تح سميح شمس الدين، دار صادر بيروت لبنان، ط2013 1 :17.

³ محمد مشبال، البلاغة والأصول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2007 :7.

5/ الوافد الأجنبي وفهم العرب للبلاغات الأخرى :

كانت حركة الترجمة التي ازدهرت في العصر العباسي ، عاملا مهما في دخول كم معرفي بلاغي ، لا يستهان به إلى الدرس العربي ، وقد أسهم هذا الوافد الجديد في نشأة البلاغة العربية ، ومعرفة جزئيات جديدة ، ونجد على رأس الوافد البلاغة اليونانية والهندية ، وللأولى الحظ الأوفر من التأثير ، ويلاحظ حمادي صمود أن الدرس البلاغي العربي في نشأته ، بين أواخر القرن الثاني الهجري ، وأوائل القرن الرابع الهجري ، صادف حركة نشطة للترجمة عن اليونانية "زد على ذلك أن الترجمة وقعوا على كتب لها علاقة مباشرة بمشاغل البلاغة وهما كتابا الـ والشعر لأرسطو ، وقد لقي هذان المؤلفان رواجا كبيرا آنذاك وعكف العرب على ترجمتهما وشرحهما وتلخيصهما".¹

ونجد الأمر واضحا عند الشيخ الرئيس ابن سينا والفارابي ، خاصة الأول الذي نجد عنده كتاب الشعر والخطابة يدخلان ضمن الموسوعة التي تضم معارف صر وهو كتابه الشفاء أين يخصص جزءا لخطابة والشعر .

(595هـ) فقد مثل تلخيصه للشعر والخطابة فهما عربيا خاصا وخالصا لنظرية الشعر والمحاكاة عند أرسطو .

أما ما نراه من تأثير كتب اليونانيين في صناعة البلاغة والشعر فنجد عند بن جعفر وحازم القرطاجني وقبلهما الجاحظ .

ففي البيان والتبيين نجد مواصفات الخطيب ومواصفات الخطبة والتعامل مع المستمعين مما يحيلنا على قضية الإيطوسات عند أرسطو.²

وقضية الإقناع عند الجاحظ تحتل مركزا مهما في مشروعه ، ولا نجد فرقا كبيرا بين ما يعرضه الجاحظ مشتتا حول إقناعية الخطيب وحجاجية قوله وأساليبه

¹ ير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت لبنان ، ط3 2010 : 59.

² ينظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ط 2010 1 : 96.

العربية الجديدة والمفهوم :

وبين ما يقوله بيريلمان وتيتيكا حول مشروعه في الحجاج باعتباره : "مصنفنا لا يهتم سوى بالآليات الخطابية التي تنتج الإقناع في النفوس ، ووحدها التقنيات التي تستخدم اللغة للإقناع والإقناع هي الـ¹"

وهذا ما نلاحظه على ما جاء به الجاحظ عندما يتكلم عن مواصفات كلام الخطيب ، ومراعاته للمقامات في لغته فلا يكلم الخاصة بكلام السوق ولا العامة بكلام الخاصة ، بل إن الجاحظ يتجاوز اللغة إلى المظاهر النفسية للمتلقي والخطيب وكذلك مظاهر الخارجية والمحيط بالخطباء .

وسنرى في قراءة العمري لمشروع الجاحظ الجوانب الجديدة ضمنه وسنحاول توسيع قراءة هذا المشروع بامتدادات أخرى .

ونجد قدامة بن جعفر يطبق الكليات النظرية الموجودة عند أرسطو على بلاغة الشعر العربي ويحاول حصر الجزئيات المكونة للنص الشعري وإرجاعها إلى مبادئ عامة يمكن تقنينها يقول جابر عصفور في هذا الصدد : "إن قدامة ناقد شكلي يرد على الجمال في الشعر إلى ما ينطوي عليه الشعر من تجانس بين العناصر والأجزاء ، وهو يحاول بالتركيز على الصياغة – تبرير قيمة الشعر ؛ تلك القيمة التي ترتد إلى صورة القصيدة ، والتي لا يمكن أن تفهم منفصلة عن عناصرها [...] ومن المؤكد أن قدامة كان يعرف أرسطو معرفة لا بأس بها ، فقد شرح بعض كتبه ، وتأثر به في نقده للشعر .

لقد علمه أرسطو أن أول خطوة في دراسة الشعر هي تحديد العناصر الأساسية المكونة له²"

¹ Chaim perelman, Olbrechts-tyteca, traite de l'argumentation, editin de l'université de bruxelles, 5Ed, 200, p:10

² جابر عصفور ، مفهوم الشعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط 1995 ، 5 : 101 .

العربية الجديدة والمفهوم :

وأهم ما يطلبه قدامة هو التناسب ومواجهة المعنى للغرض المقصود مع مراعاة قاعدة التوسط للحفاظ على الفضيحة، وكل هذه الأفكار ذات منبع أرسطي، وهدفه كان الوصول إلى علم يقضي على فوضى الأذواق .

لا تبتعد كثيرا انشغالات قدامة عن انشغالات حازم
انتفاء كتابه إلى علم البلاغة وأجزاء الكتاب توحى بالرغبة في بيان جزئيات القول
البلوغ خاصة منه الشعري بين ألفاظ ومعاني ومباني وأسلوب .

يقول حازم في معرض حديثه عن مقومات الشعر والخطابة: "ولو وجد هذا
الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم
،وتبحرهم في أصناف المعاني [...] لزيد على ما وضع من القوانين الشعرية"¹¹

قوله هذا يثبت أن حازما اطلع على أرسطو في كتابيه الشعر
منهاج يعج بأدلة ذلك وحازم لم ينقل فقط، بل حاول أن يتجاوز النموذج
الأرسطي، وذلك لوعيه بخصوصية النص العربي وخلفياته ومؤهلاته.

ويبدو أن كتاب حازم كان مخصصا للنظرية الشعرية عند العرب مع
المحافظة على الكليات التي تجمع العمل الشعري، وقد حضرت الخطابة في الحديث
عن الإقناع، وتداخل الأخير مع التخيل الشعري .

رأينا في هذا العنصر باختصار عوامل ساهمت في نشأة الاهتمام البلاغي
وأطلقت العنان لمشاريع بلاغية مؤسسة ولها خلفيات و مقاصد واهتمامات تضعها
ضمن نسق تأليفها، وسنرى من خلال قراءة العمري لهذه المشاريع البلاغية
المتطورة عن هذه الأصول والعوامل خلفياتها النظرية وآلياتها والكليات النظرية
التي تحتكم إليها، وقرأتنا لمشروع العمري ستضيء جوانب هذه المشاريع من
زاويتين :

¹¹، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2 1981

العربية الجديدة والمفهوم :

الأولى :متابعة تطور البلاغة العربية وتحولها إلى اتجاهات وامتدادات كبرى بعد أن رأينا أصولها وعوامل نشأتها .

الثانية : رصد الآليات المتبعة في قراءة الدرس البلاغي العربي في ضوء الدرس الجديد نظريا وتطبيقيا .

وقد حاولنا التوسع في نقاط وجدناها عند التوغل في مشروع العمري ، لنصل هذه النتائج المتوصل إليها برؤية العمري لامتدادات البلاغة العربية الكبرى،وسنعمل على التوسع في الجزئيات التي نرى ضرورة هذا العمل فيها ،أو الإشارة إلى المشاريع التي لم تحظ برؤية واضحة في مشروع العمري ،كل هذا بالاستعانة باستراتيجيات الكشف الجديدة التي تتيحها البلاغة المعاصرة .

لنا هذا إلى عنصر يبحث في مفهوم البلاغة عند العرب وكيف تشكل وما مقاصده ؟ بعد أن حاولنا رصد العوامل الكامنة وراء نشأة الاهتمام البلاغي باعتباره ملكة واصفة للخطاب بعد أن كان ملكة فطرية .

العربية الجديدة والمفهوم :

4- مفهوم البلاغة بحث في المشترك وتبين للفروق بين الموروث والوافد الجديد:

إن تحديد مفهوم البلاغة خاصة بعد أن رأينا المسار الذي قطعه الوعي البلاغي باعتباره أولاً: ملكة فطرية وثانياً باعتباره ملكة صناعية مكتسبة ، والعوامل التي ساهمت في نشأتها ، لنرى الآن تصور العقل العربي لمفهوم البلاغة وكيف خرج هذا المصطلح وبدأ انتشاره والتحويلات الطارئة عليه ، والسؤال حول البلاغة يطرح دائماً وأبداً وهذا نراه حتى عند رواد البلاغة الجديدة الذين يلحون عليه وما يفرضه هو سوء فهم هذا الميدان ¹.

سنستفيد من الرصد التاريخي الذي قدمه حمادي صمود حول ظهور مصطلح البلاغة العربية ومفهومها عبر خط تاريخي يبدأ من سنة 40 هـ ، إذ يلاحظ صمود ورودها عن علي بن أبي طالب باعتبار البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة وإبانة عن مشكل ، ثم نجد المفهوم يتطور خاصة مع قول ابن المقفع بأنها كشف ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل ، ومع قول خالد بن صفوان بأنها إصاب ² ، إذ نجد ههنا البلاغة تتحول إلى مواصفات واقعة في القول ، أو في القائل ، مع توفر عنصر الإقناع وتوجيه الرأي .

(145 هـ) ، كذلك قول في مفهوم البلاغة عنده ؛ إذ يذكره

فوهي : يفسر تفسير

كثيرة، فمنها

يكون ومنها يكون ومنها يكون
يكون ومنها يكون ومنها يكون
ومنها يكون ومنها يكون
فيها، والإيجاز، هو ³

¹ ينظر : Kibedi Varga, Rhétorique et Littérature, Didier paris ,1970,p:19.

² ينظر : حمادي صمود ، التفكير البلاغي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت لبنا 2000 3 103: 101.

³ الجاحظ ، البيان والتبيين تح عبد السلام هارون ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ط 2010 1 : 94.

العربية الجديدة والمفهوم :

هذه الملامح التي قدمها ابن المقفع، والتي سنجد أبا هلال (395هـ) يشرحها، تعطي التصور الأول بوجود وجوه متعددة للبلاغة، وهذا ما سيستثمره البلاغيون في تعداد مشاريعهم وتنوعها، بين البيان اللغوي، وغير اللغوي وبين بلاغة الإقناع، وبلاغة الشعر، والأنواع الأدبية ...

وورد قول للخليل بن أحمد (ت170هـ) في الرسالة العذراء لأبي اليسر الشيباني (ت298هـ) حول البلاغة يقول فيها: "كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة، فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا، ولتلك الحال وفقا، وآخر كلامك لأوله مشابها، وم

1"

إن هذا النص يجعل من البلاغة ميدانا لدينامية التداول والاستعمال والمنفعة، ثم يخصصها بالفعل اللغوي والظروف المحيطة به ويختم الأمر بالفعل وكأنها إشارة إلى المتكلم والمتلقي بين الفعل والانفعال .

وليس بعيدا عن الخليل نجد الجاحظ، الذي يدخل مرحلة التأثر بالوفاة اليوناني، والاستفادة من التراث الفارسي والغريب الهندي، ونجد نصه الشهير حول البلاغة الذي يقول فيه: " الرُّبِير

- قيل :
الوصل، وقيل لليوناني: :
واختيار الكلام، وقيل :
البداهة، :
واللهدي: :
أهل الهند: :
بها

¹ أبو اليسر الشيباني، الرسالة العذراء في موازين البلاغة، تحقيق يوسف عبد الوهاب، دار الطلائع، القاهرة 2005 :83.

العربية الجديدة والمفهوم :

الكناية عنها، طريقة، عنها

1"

هنا نلاحظ أن الخبر ينقله الجاحظ عن غيره ،مما يبين أن هذه المفاهيم دخلت إلى العقلية العربية ،وتماست مع ما يريده العرب المسلمون بالبلاغة، وستتشارك هذه المفاهيم الأجنبية في صياغة المشروع البلاغي العربي بين بلاغة تركز على الجانب الإقناعي والتخييلي ،والأمر وهنا ليس بعيدا عن البلاغة اليونانية التي يعرفها أرسطو في كتابه الخطابة قائلا : " وإذن فلنسلم بأن الخطابة هي قوة أو ملكة نستطيع أن نكتشف بها على وجه نظري أو تأملي ما يمكن أن يكون شأنه ²" وهذا يفهم من خلال عنصر البصر بالحجة فهو تأمل في سبل الإقناع الممكنة والتي توصل المتلقي إلى الأخذ برأي الخطيب أو المناظر .وأخرى تسعى للاستهواء ،وبلاغة ترى أن مدار الأمر على التأثير الجمهوري والاستهواء العاطفي .

من هذه المرحلة المهمة ،نرصد التحديدات الواقعة في تاريخ بلاغتنا العربية ،وهي تحديدات تسعى إلى الدقة ،والضبط على عكس السابق منها ؛حيث نجد الرسم موسع ليضم غيره ،أو يضع القارئ على الخيار بين المفاهيم ، وسنرى مصطلحين آخرين يزاحمان البلاغة هما البيان .

إذا رجعنا إلى ما كتبه الرماني(ت386هـ) حول إعجاز القرآن الكريم ،حيث بين وجه إعجازه من خلال بلاغته وحسن نظمه ،ويعرف البلاغة قائلا : "وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى النفس في أحسن صورة من اللفظ ³ ."

¹ الجاحظ ، البيان والتبيين تح عبد السلام هارون ،مكتبة ابن سينا ،القاهرة ،ط 2010 1 77

² أرسطو ،الخطابة ،ترجمة :عبد القادر قنيني ،أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء المغرب ،2013 :15.

³ الرماني ،النكت في إعجاز القرآن ،ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ،تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول ،دار المعارف ،القاهرة ،ط6 :76.

العربية الجديدة والمفهوم :

هذا التعريف الذي سنجده يتكرر بعبارات مختلفة عند من سيأتي بعده، خاصة عند أبي هلال العسكري: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"¹

ثم فخر الدين الرازي (ت606هـ) حيث يذكر حد البلاغة في نهاية الإيجاز بقوله: "البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل"² وليس من الغريب أن تقترن البلاغة بمهمة التواصل، وقد سبق وأن أشرنا لذلك في حديثنا عن مرحلة المعرفة الفطرية والتصاق جذرها اللغوي بالتواصل، وهذا ما يقرره كيبيدي فارغا kibedi varga إذ يقول موضحا التداخل الواقع بين ما هو تواصلية وما هو بلاغي قائلا: "في أساس كل بلاغة توجد رغبة"³ وينقل تعريفات للبلاغة تجمع بين فن القول الجميل والجيد وبين الإقناع .

لسنا نبحث عن وجوه التطابق بين البلاغتين، لكن الأمر يستدعي أن البلاغة في أيامنا هذه، أصبحت منطلقا لرؤية العالم، والإنسان، هذا الأخير الذي أعيد تعريفه باعتباره حيوانا بلاغيا .

إذن، مفهوم البلاغة الجامع بين التواصل، وحسن صورة اللفظ، هو من بين المفاهيم التي سارت مع البلاغة، بالإضافة إلى وجود لفظ آخر، كان يسير إلى جانب البلاغة، وهو الفصاحة؛ إذ نجد أبا هلال العسكري يفرق بين البلاغة والفصاحة قائلا: "ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ، والبلاغة تتناول المعنى أن الببغاء يسمى فصيحاً، ولا يسمى بليغاً، إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه"⁴

¹ أبو هلال العسكري، الصنائع، تحقيق علي محمد الجاوي وأبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، 2013، ص: 16.

² فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت 2004، ص: 31.

³ Kibedi Varga ,rhétorique et littérature , Didier paris ,1970,p:20

⁴ أبو هلال العسكري، المرجع السابق، ص: 14.

العربية الجديدة والمفهوم :

وهذا الأمر نجده كذلك عند ابن سنان الخفاجي في حديثه عن الفصاحة ، أما الجرجاني فالأمر عنده مختلف ، فالرجل يساوي بين هذه المصطلحات ويجعل مدارها على الكشف عما في النفس وإعلام الآخرين بما يجول في خاطر المتكلم ويزيد معها :

يعبر به	القائلين	حيث
السامعين	يعلموهم	نفوسهم،
ويكشفوا لهم	لهذه	
يجري مجراها	وينسب فيه	والمزية إليه
يفرد فيه	وتاممها فيما له	تبرجها
غير		
هي أبهى وأزين،	هو	
ميل	وتطيل	
جهة .	غير يؤتى	الجهة هي
لتأديته، ويختار له	هو به، عنه	له، وأخرى
ويظهر فيه مزية ¹ .		

فالجرجاني يرفض كون الفصاحة لتألف الحروف أو تنافرها في اللفظ بل يجب النظر كذلك للنظم ، وندرك من كلامه حقيقة الواقع الذي كان عليه الدرس البلاغي وقتئذ ؛ إذ كانوا يقصرون الفصاحة على اللفظ والبلاغة على اللفظ والمعنى معا ، أو الثاني دون الأول وهذا ما يأ مدارهما على النظم ، وهذا ما جعله لا يعترف بالخط الفاصل بينهما ، بل رأى أنه من الخطر أن يوضع هذا الخط في التعامل مع إعجاز القرآن الكريم .

وللبیان والبلاغة قصة مغايرة في المغرب العربي ، إذ إن ابن البناء (721 هـ) يوضح بأن علم البيان أعم من البلاغة ومن البديع ، هذا

¹ عبد القاهر الجرجاني ، دلالات الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاکر ، مطبعة المدني ، ط3 1992 : 43.

العربية الجديدة والمفهوم :

الأخير الذي يرجع إلى صناعة القول ودلالاته على المعنى المقصود ويستند إلى علم البيان¹.

غة عنده، فهي محصورة بالأغراض، والمقاصد التي يتوخى المتكلم تحقيقها، وإيلاغاها للسامع، فيعرفها قائلا: "والبلاغة هي أن يعبر عن المعنى المطلوب عبارة يسهل بها حصوله في النفس متمكنا من الغرض المقصود"²

فتعريف ابن البناء للبلاغة، يذكرنا بتعريف فخر الدين الرازي لها، فعنصر التعبير عن المطلوب حاضر عندهما، والمطلوب إشارة من ابن البناء إلى أن الكلام البليغ ليس لغوا، إنما هو كلام ترجى منه الإفادة، ويرجى من خلال هذا القول التأثير في الآخر، ويشترط لذلك أن يكون ملائما للمخاطب الذي يُتوجه نحوه بالكلام، أما التمكن من الغرض المقصود، فهو الأثر النهائي، والتوجيه الذي يريد المتكلم البليغ أن يصل إليه.

"وتكمن أهمية هذه البلاغة البناوية في الخروج عن التقسيم الذي سنته البلاغة المدرسية، وكذلك في عدم حصر البديع في المحسنات (اللفظية أو المعنوية)، بل الرجوع به إلى دلالاته الأولى عند العرب، حيث البديع هو البلاغة"³، فالبديع هو أوجه الكلام، وأفناه وأساليبه التي درج العرب على استعمالها للتعبير عن معانيهم، حيث يكون المعنى اللفظ موافقا للمعنى، والمعنى مواجها

حديثنا عن المقاصد، يستدعي الأمر الحديث عن المقام الذي تحدد من خلاله هذه المقاصد، وهنا تحضرنا تعريفات السكاكي (622هـ) والقزويني (739هـ)، يذكر السكاكي تعريفا للبلاغة يقول فيه: "هي

تأدية له بتوفية التراكيب لها وإيراد التشبيه والكناية وجهها، ولها

¹ ينظر: ابن البناء المراكشي، الروض المريع في صناعة البديع، تحقيق رضوان بنشقرون، ط 1985 : 87.

² المرجع نفسه، ص: 87.

³ عمر أو كان، اللغة والخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط 2011 : 196.

العربية الجديدة والمفهوم :

متباينان تباينا يتراءى له ناراها وبينهما
وهو منه
شبهناه به الحيوانات التزايد
وهو يقرب منه.
عجيب يدرك يمكن وصفه يدرك يمكن وصفها
هو ليس وطريق هذين
العلمين¹

والسكاكي خلص إلى هذه النتيجة، بعد كلامه عن العلوم الأدبية التي أسس مشروعه عليها، وهذا ما سنراه في قراءة العمري للسكاكي المتكلم من تأدية المعاني، وطرق أساليب متعددة وأوجها تخدمه في بلوغ مقاصده، ثم يحول اتجاهه إلى طرفي البلاغة بين الإبانة والإفهام، وبين بلوغ حد الإعجاز الذي لا يكشف عنه إلا بخدمة هذين العلمين (التركيب والبلاغة).

الإيضاح، فقد اتخذ مسلكا تداوليا في تحديد معنى البلاغة، وربطها بالسياق والظروف المقامية التي ترافق إنجاز القول أو الفعل الكلامي قائلا في تعريفها ما نصه: "أما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"²

وقد قسم القزويني البلاغة إلى وصف للكم المنشئ، وقد كان لرؤية القزويني مميزات، تخدم الدرس البلاغي، لو أحسن من جاء بعده استثمارها، وقرائها وتوسيعها، خاصة كلامه عن المقام، والمقاصد، والأغراض التي تؤديها العبارة البلاغية إمتاعا وإقناعا.

لنصل إلى الرؤية الشاملة مع حازم القرطاجني، في حديثه عن البلاغة؛ باعتبارها علما كليا يهتم بما هو تخيلي وتداولي شعري، ثم يتقاطع كلا

¹ أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ص: 526.
² جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1 2003 20.

العربية الجديدة والمفهوم :

السبيلين ليستفيد كل من الآخر ،وهنا نصح في صميم النظرية الحجاجية المعاصرة التي تبحث عما هو حجاجي إقناعي ،ضمن النص الشعري التخيلي¹.

نجد اهتمام القرطاجني بمفهوم التناسب بين المسموعات والمفهومات، وأن طرق معرفة هذا التناسب هو العلم الكلي المعبر عنه بالبلاغة ، يقول حازم : "ومعرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل إليه بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك وهو علم البلاغة الذ تفاصيل كلياته ضروب التناسب والوضع"²

فالتناسب بين أجزاء القول الشعري ومدلولاته علة الاستحسان ،والعلم الذي يضبط هذا الأمر هو علم البلاغة ،وسنقف مع حازم القرطاجني العمري له ،ومحاولته الجريئة المتمثلة في إتمام الضائع من كتابه.

إذن تحديد مفهوم البلاغة ورصد العوامل التي أسهمت في نشأة الدرس البلاغي العربي والبحث عن جذوره الأولية يخدم قراءتنا لمشروع العمري ويوضح العديد من النقاط التي سنصادفها ويبرر اختيارات مشروع ، وسعينا من خلال هذا المدخل إلى استنتاج ما رأيناه خافيا في درسنا البلاغي ووضع مشروع العمري باعتباره أساسا يبني عليه نتائجه ،ويوسع نطاق امتداداته واهتماماته لينظر في منجزات الآخر وعلى ضوءها يصوغ مباحثه .

فالمدخل يعكس رؤيتنا الخاصة لمسائل النشأة والأصول ويعزز دراستنا لمشروع العمري ،ويضعنا على الطريق لنقارب منهجه والنسق الذي اعتمد عليه .

¹ ينظر :حازم القرطاجني ،منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،تحقيق الحبيب بن خوجة ،دار الغرب الاسلامي 1981 2 :226.

² المرجع نفسه :ص :226.

الفصل الأول

مفهوم البلاغة وخلفيات القراءة في

مشروع العمري

- 1- الجديد :
 - / تحقيق
 - / مفهوم
 - /
 - /
 - /
- 2- ومقوماته :
 - / وتوسيع
 - /
- 3- خلفيات وموجهاتها المنهج :
 - / خلفيات غربية :
 - :بنيوية
 - ثانيا :تداولية / حجاجية
 - :نظرية
 - /خلفيات عربية .

لا نستطيع الخوض في إحدى أهم قراءات البلاغة العربية في ضوء الدرس الجديد، دون التساؤل عن مفهوم البلاغة عند محمد العمري.

وإن السؤال عن ماهية البلاغة، يتكرر مع كل مشروع، ومع كل بلاغة، لأن مكونات الدرس البلاغي وموجهاته واتجاهاته تفرض مفهوما متغيرا من مشروع لأن في المفهوم كثيرا ما تحدد المنطلقات، والخلفيات النظرية، والمقاصد ولهذا يتحتم علينا التساؤل: ما مفهوم البلاغة عند العمري؟ وما هي الخلفيات التي تقف وراء تعامله مع التراث البلاغي العربي؟ وما المقاصد التي يريد تحقيقها؟

وإذا تتبعنا رحلة العمري بلاغيا، مع وجود علاقة وطيدة بين نشاطه النقدي والبلاغي وبين كتاباته السياسية الداخلية والخارجية، البداية مع عمله الموسوم بـ: "في بلاغة الخطاب الإقناعي"، الذي كان ثمرة ونتيجة للاحتكاك، وإعادة قراءة فن نثري عربي قديم وهو الخطابة، ترجمة بنية اللغة الشعرية مع محمد الولي¹، والمطالع لكتابه هذا يجد رؤية جديدة لفن الخطابة العربية وتجديدا للرؤية النظرية البلاغية المؤطرة لها، وكذلك نوعا جديدا للتحليل وآلياته.

ثم توجه اهتمام العمري نحو الخطاب الشعري الذي بدأ معه في مشروع إعادة صياغة البلاغة العربية انطلاقا من تصور لساني، في كتبه:

- تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية².
- اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم.

¹ ينظر: <http://medelomari.perso.sfr.fr/entree.htm>

² محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية، الدار العالمية، الدار البيضاء المغرب، 1990.

- الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية¹.

وكانت هناك أعمال تسيير بالموازاة مع الاهتمام البلاغي كتتحقيق التراث والترجمة والإشراف على الدوريات المختصة في تحليل الخطاب، ثم ظهر العمل الذي بين من خلاله العمري نظرتة للبلاغة العربية وهو كتابه: "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"² ه عمادا لدراسة قراءة العمري للبلاغة العربية في ضوء معطيات الدرس الجديد، وما سيأتي بعده من مؤلفات ك: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، و كتبه الأخير: أسئلة البلاغة لا تعدو أن تكون رؤية مكملة أو شارحة لما وضعه في البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، لكنها ذات أهمية في تناول مشروعه ومعرفة دقائقه.

ونحن إذ نقف على أعمال العمري، نسعى لاستكشاف وجه البلاغة العربية ما تراءت في مرآة الدرس الجديد، بعد أن حاولنا توضيح الرؤية فيما يخص أصولها، فقرأتنا ذات بعدين:

مباشر يسعى للبحث في أصول البلاغة العربية مستعينا بمعطيات الدرس الجديد، و غير مباشر يتلمس معالم البلاغة وطرق البحث فيها وعنهما المشاريع المعاصرة ومن بينها المشروع العلمي لمحمد العمري، فالبعد الأول يمكن من التعامل مع البلاغة العربية بشكل مباشر؛ حيث نثير مسألة النشأة ات، ومفهوم البلاغة الذي تطور وداخلته عناصر جديدة نابعة من البيئة الداخلية، أو وافدة من الأفكار الأجنبية، والبعد الثاني يمكننا من أن نطل من شرفة العمري على روافد الدرس البلاغي واتجاهاته وامتداداته الكبرى، في ضوء البلاغة الجديدة.

¹ محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، دراسات سال، الدار البيضاء، 1991 .
² محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2 2010

1- المشروع البلاغي الجديد :

أ/ تحقيق في معنى المشروع :

إن كلمة مشروع تحمل معاني التخطيط والتحقيق وتوحي بمفهوم التكامل

المشروع، إذا كانت بيئة الأهداف تحقق التواصل بين الأعمال التي ينجزها وتسير أعماله ضمن مقصد واحد، وإن تعددت طرقه الفرعية التي ترجع دائما إلى هذا

فالمشروع "يعني تصورا نظريا لعمل قابل للإنجاز"¹، وهذا ما ينطبق على عمل العمري، فالرجل يقدم منذ البواكير الأولى تصورا نظريا لما يتصور عليه البلاغة، ويدعمه بالجانب التطبيقي والانجازي، ونجد عنصر النسق والتواصل موجودا بحيث لا يمكن أن نصنف عملا من أعمال العمري خارج نطاق مشروعه البلاغي، حتى تحقيقه للمسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل للإفراني، فإن الرجل يرجعه إلى عمل بلاغي يرصده ضمن بلاغة النص التي تهتم بجزئيا والتماسك النصي وتركز على وحدة النص الكامل دون اجتزاء أو تقطيع للأوصال

وأعمال العمري تأتي في نسق واحد، حتى أعماله في تحليل الخطاب السياسي تندرج ضمن الرؤية البلاغية الموسعة، وهذا الأمر سينعكس على رؤيتنا لرجل، فلا يمكن أخذ عمل من أعماله بعزلة عن سابقه أو لاحقه، أو حتى بعيدا عن النسق الذي يعمل عليه الرجل، أو المقاصد التي وضعها لمنجزاته.

وتركيزنا على مفهوم المشروع وعنصر التواصل فيه والمقصدية الموحدة، يضعنا أمام نقطة مهمة وهي عدم الخلط بين أ

¹ محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، دار الأمان الرباط، ط1 2014 :249.

مفهوم وخلفيات

غيره في موضوع قد يشترك فيه معه ،لأن العمري باعتباره صاحب مشروع ستكون نظرتة موجهة في إطار الخلفيات والمنطلقات التي وضعها والمقاصد التي حددها .

ب/مفهوم البلاغة والبلاغة العامة ،مساءلات القديم والجديد :

اهتم العمري بتحديد مفهوم البلاغة وعرض لهذا الأمر في العديد من المواضع في مؤلفاته ،فالبلاغة مفهوم تاريخي يتغير بحسب الثقافات والحقب سواء في الثقافة العربية الإسلامية أو الغربية القديمة والحديثة¹ ،لكنه بعض طوافه بالنظريات الغربية والتراث العربي يقول:"أما بعد هذه التمهيدات ،فمن حق من درس في جامعاتنا ، من المحيط إلى الخليج ، أن يسألني الآن :عن أي بلاغة تتحدث؟"²

هذا السؤال الذي رأى العمري أنه من الضروري أن يكون حاضرا في الدراسات العربية لأنه محرك البحث الذي دفع الدراسات الغربية إلى البحث عن غات متنوعة ومنه تطوير درسهم النقدي .

ويجيب العمري عن هذا التساؤل مقسما البلاغة إلى كفاءة تعبيرية لأن الكلام البليغ هو الكلام الفعال المعجب ، وإلى العلم الذي يصف هذه الكفاءة وهذا الحسن ،ويوضح بأن تركيزه سيكون على المعنى الثاني مع عدم تغييب الأول ،ليصل في الأخير إلى قوله : "ومن هنا نقول :البلاغة هي علم الخطاب المؤثر القائم على

3"

والخطاب المؤثر القائم على الاحتمال يتوزع عبر نوعين :

-1

-2- الخطاب التخيلي الشعري .

¹ ينظر :محمد العمري ،أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ،أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء المغرب ،ط1 2013 11.

² المرجع نفسه :ص 17.

³ المرجع نفسه :ص18

لكن أليس من الضروري التساؤل عن الخلفية المرجعية التي حدد من خلالها العمري مفهوم البلاغة؟ ألم يتأثر تحديده هذا بالخلفية الأرسطية؟ وبلاغة الحجاج؟ وما محل التراث العربي في المفهوم الذي قدمه للبلاغة؟

ألا نلاحظ بأن المفهوم الذي قدمه العمري يرمي إلى بناء بلاغة مغايرة للتصور القديم؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هو التصور الذي يريد العمري ترسيخه؟ في دراسة متأخرة منشورة له في كتاب مشترك أعده محمد مشبال يوضح العمري أن البلاغة التي يرمي إليها هي بلاغة عامة تؤسس موقعها بدراسة كلا النوعين من : ي والشعري، ويناقش من خلاله عرضه هذا مسألة البلاغة و

الخطابة بين الوجهتين: العربية والغربية؛ موضحاً بأن مفهوم (rhétorique) الغربيين حديثاً يطابق الرؤية العربية التراثية التي ترى بأن البلاغة هي بلاغة عامة تتناول جميع الخطابات، والبلاغات الخاصة بكل خطاب.¹

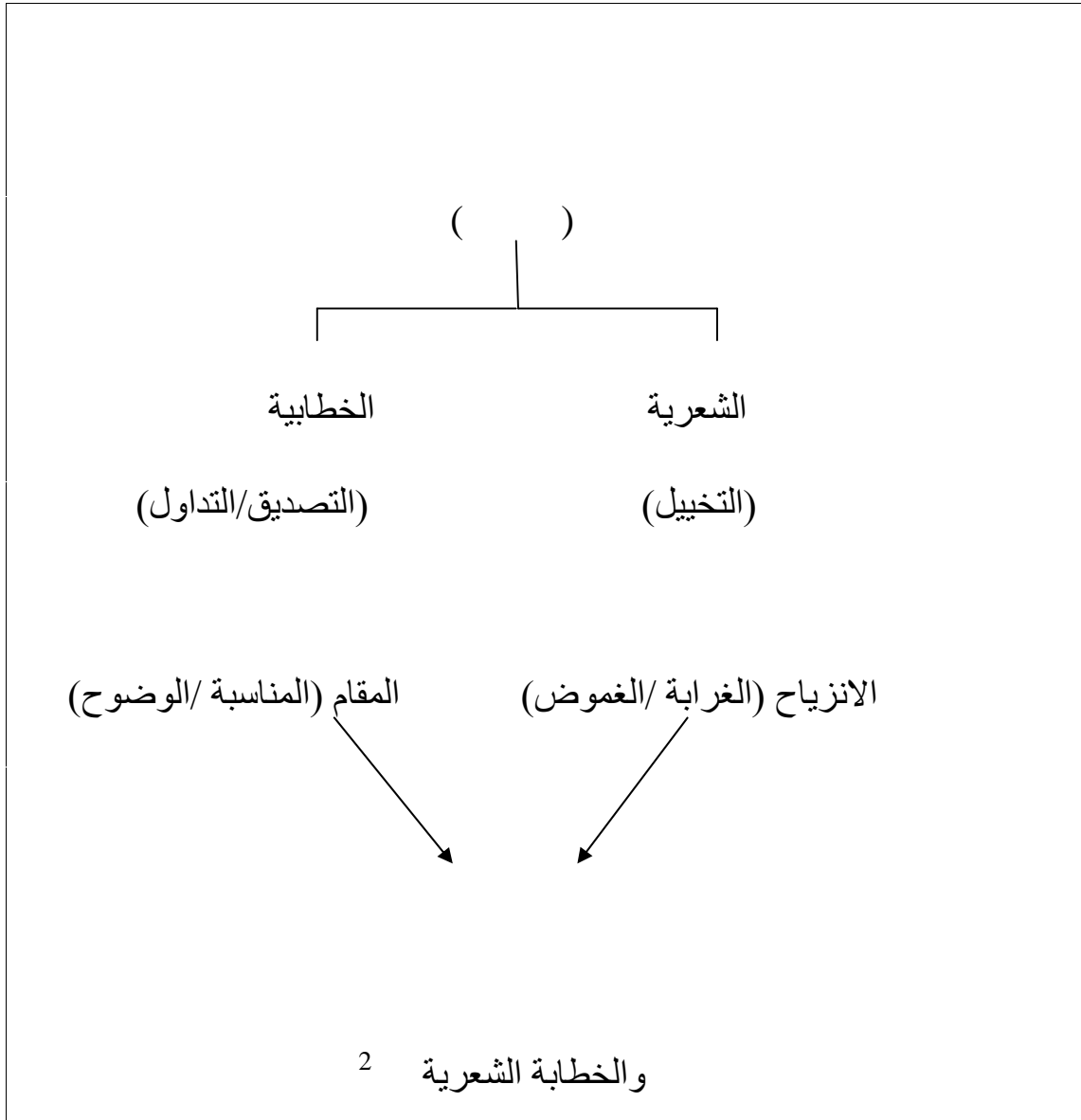
ويشرح مسألة الريطورية التي ينظر إليها باعتبارها تتناول الخطاب الإقناعي، وقد ساهمت الدراسات التداولية في إعادتها إلى الساحة تحت مسمى البلاغة الجديدة أو الحجاج، لكن الاستخدام المتكرر لكلمة بلاغة بين المعنيين السابقين خاصة في الدراسات الغربية، والترجمات العربية يحدث نوعاً من الاضطراب، أبقى العمري متردداً لمدة عقدين من الزمن ليصل في النهاية إلى أن البلاغة علم يتناول الخطابين مع التخيلي والتداولي حيث يطلق على الأول الشعرية، وعلى الثاني خطابية محافظاً على المفهوم الأرسطي، وكلا المنتجين يرجعان إلى إنشاء المتكلم، أما الخطابة فقد جعلها خالصة للمنتج الكلامي الذي يقصد به الإقناع والتصديق، وقد أشار إلى استيعاب التراث العربي لهذه التقسيمات، كما أن النسق الحديث يتقبل ما يقدمه من تفريعات، يقول في ذلك: "فالبلاغة باعتبارها العلم الذي

¹ ينظر: البلاغة والخطاب، محمد مشبال، دار الأمان، الرباط المغرب، ط1 2014، ص42.

مفهوم وخلفيات

يتناول الخطاب الاحتمالي المؤثر تنقسم إلى شعرية تتناول كل المخيلات، وخطابية تتناول كل المصدقات (أو التداوليات)¹

ثم يقدم خطاطة تجمع رؤيته للبلاغة كما يراها بلاغة عامة تتناول



¹ المرجع نفسه: ص: 44.
² 42.

لكن العمري لم يصل إلى نتيجة البلاغة العامة دون كفاح وأخذ ورد بين الأمر يحتاج إلى مشروعية الوجود، ولا تنبني المفاهيم والحدود والميادين العلمية عفو الخاطر، فما هي جذور البلاغة العامة وما مشروعية وجودها؟ خاصة وأن العمري يشير إلى التداخل بين الشعري والخطابي كما نلاحظ ذلك في مخططه .

يناقش العمري مسألة البلاغة العامة ومشروعية وجودها ضمن مختلف أعماله التي تهتم بالبلاغة الجديدة والتراث العربي البلاغي، فالبلاغة العامة يتقاطع فيها التخيل والتداول، وهي عبارة عن الوصل بين الشعرية والخطابية وقد " بذل بلاغيون محدثون جهدا فلسفيا ومخبريا، إن صح التعبير، في بيان مدى صلاح الأساس العلمي لقيام بلاغة عامة . البلاغة باعتبارها "علما كليا" يستوعب ثمارا¹، هكذا تظهر رؤية العمري للبلاغة العامة والمرتكزات التي يريد تأسيسها ودعمها من خلالها، فهي العلم الكلي والمصطلح حازمي بحت، ثم يعتمد الأسس الحديثة ليبرر قيام هذه البلاغة .

إن مسألة قيام بلاغة عامة عند الدارسين المحدثين مثل أوليفي روبول (Olivier reboule) تستدعي إجراءين :

-1

-2- التقريب بين التخيل والإقناع .

ذلك يبين روبول (Reboule) بأن البلاغة تتقاسمها كل من نظرية الحجاج المطورة من طرف بيرلمان (Perelman) عن أرسطو والمهتمة بالحجج على حساب الصور والأسلوب خاصة منها ما لا يؤدي وظيفة حجاجية، والبلاغة

¹ محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، أفريقيا الشرق، المغرب، 2012، 21.

الأدبية (La rhétorique littéraire) والتي تشق طريقها لتكون علما للأسلوب
1.

وه ان القسمان سيطرا على الدراسات البلاغية ،إلى أن ظهر وعي
بالمشترك بين المجالين اللين تتحرك فيهما النظريتان السابقتان ،ه
يركز عليها العمري عمله ،وسيحاول رصد معالمها – فيما بعد-
العربي ،محاولا رصد الاهتمامات به ،و التفريق بين المشاريع الجادة
والمحاولات التلفيقية .

ي أورده روبول عقب حديثه عن المجالين
الذين يسيطران على الدرس البلاغي إذ يقول : " هل يجب علينا الإختيار بين الحجاج
والأسلوبية ؟ وهل يتوجب علينا إضافة أحدهما للآخر

أما عن موقفنا فإننا نتبنى حلا ثالثا ،ونبحث عن جوهر البلاغة ؛ليس في الأسلوبية
ولا في الحجاج ،ولكن في منطقة محددة هي تقاطع بينهما . بعبارة أخرى ينحو باتجاه
البلاغة كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب "2

ويعتبر العمري هذا الطموح الذي تريد بلوغه البلاغة أمرا طبيعيا لأنها ترغب في
استرجاع الأراضي التي فقدت منها ،وأخذتها ميادين عاشت على ميراث البلاغة .

ثم يتجه العمري إلى التراث العربي ليبرر شرعية وجود البلاغة العامة
،ويؤصلها ؛ يقول:" فلبلاغة العربية ،إذن، مهدان كبيران أنتجا مسارين كبيرين
:مسار البديع يغذيه الشعر ،ومسار البيان تغذيه الخطابة ،ونظرا للتداخل الكبير بين
الشعر والخطابة في التراث العربي ،فقد ظل المساران متداخلين وملتبسين رغم
الجهود الكبيرة النيرة التي ساهم بها الفلاسفة وهم يقرؤون بلاغة أرسطو
وشعريته."3

1 Olivier reboule , la rhétorique ,presses universitaire de France ,1^{er} ed ,1984,p:32.

2 Olivier reboule , la rhétorique ,presses universitaire de France ,1^{er} ed ,1984,p:32.

3 محمد العمري ،البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ،أفريقيا الشرق ، 2012 :29.

فالعمري يرى بأن البلاغة العربية تنطلق من الملاحظات الأولى حول الخصوصية الشعرية والجمالية التي لا حظها العرب، ثم قارنوا بينها وبين النص القرآني، وهذا الأمر قامت بأعبائه الدراسات البديعية، ويوجد طرف ثان كان يبحث في سبل المعرفة والإقناع ويمثله تيار البيان، من الجاحظ إلى ابن وهب الكاتب، ونلاحظ كذلك تداخل ما هو شعري مع ما هو خطابي على مستوى النص المنجز سواء كان شعريا أو نثريا، وهذا ما لفت انتباه البلاغيين، خاصة منهم من تأثروا بالتيار الأرسطي، وأهم شخصية تمت الإشارة إليها هي شخصية حازم لما يقول: "ومعرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يصل إليه بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك وهو علم البلاغة"¹

فالبلاغة هي العلم الكلي الجامع، وما يجمعه هو صناعتي الشعر والخطابة لقوله: "لما كان علم البلاغة مشتملا على صناعتي الشعر والخطابة وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخيل والإقناع ... وكان القصد في التخيل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده"²

فالبلاغة تجمع بين فعاليات الحجاج والتخيل إذ يبدو اللقاء بينهما على مستوى:

- المواضيع والمعاني .

- غراض (التأثير)

وفترقان في خصوصيات تحفظ لكل استراتيجياته الخطابية، في عنصر التخيل والإقناع، وسيشير القرطاجني إلى التداخل بين الأمرين، وفي ذلك يقول العمري: "فالشعر مبني على التخيل، وقد يستعمل مكونات الإقناع الخطابي ضمن

¹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق الحبيب بن خوجة، دار الغرب الاسلامي، ط2 1981: 226.

² المرجع نفسه: ص: 19.

مفهوم وخلفيات

هيمنة العنصر الذاتي. وعكس ذلك حال الخطابة التي تتبني على العناصر الإقناعية وتدخل العناصر التخيلية في خدمتها¹

وبهذا ينبني مفهوم البلاغة والبلاغة العامة عند العمري على لقاء عنصري التخيل والتداول، ويقوم ببناء شرعية وجود هذه البلاغة وأحقية تطبيقها بالحوار بين الغربي الحديث والتراث العربي، من أجل ترسيخ هذا النموذج الذي يرى فيه العمري مجالاً يسمح باستعادة البلاغة لمكانتها التي كانت عليها واستعادة الأراضي التي فقدتها منذ تحنيط البلاغة.

:/

ذوي الأهداف والمقاصد

المعلنة والضمنية، وحددنا مفهوم البلاغة عنده والأس المعتمدة لبنائها، سيكون من الضروري الإمام بمراحل هذا المشروع لمعرفة المفاصل التي تتمحور عليها قراءتنا، كذلك تحديدها لمراحل هذا المشروع هو تحديد للمرجعيات المعتمد عليها، ومعرفة التغييرات الطارئة على النظرية النقدية والبلاغية الغربية والعربية وتفاعل العمري معها.

- :

دخل العمري عالم الدراسات البلاغية الجديدة والنقدية من باب الإقناع ودراسة آليات الحجاج، وقد بدأنا بهذا الاهتمام متجاوزين بذلك فترة تأثره بمندور، أو دراسته له لأنه لا يدخل ضمن مشروعه البلاغي، لأن العمري قدم موضوعاً للتخرج ثرية إلى الواقعية الاشتراكية وقد أفاد العمري من موضوعه :
هذا ضرورة المعرفة الشاملة المحيطة بالمجال الأدبي والنقدي وكذا مناهج الدراسة الأدبية، لكن فيما بعد توسعت آفاق العمري بين الترجمة والكتابة والتدريس إلى أن

¹ محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، أفريقيا الشرق، المغرب، 2012، 57.

وصل إلى البحث في البلاغة العربية، نتيجة الاحتكاك بما هو غربي واضطلاعه على التراث العربي؛ إذ يقول: "وكان من ثمرات هذا الاحتكاك كتاب: في بلاغة الخطاب الإقناعي، الذي أردت أن أنبه فيه إلى البعد الإقناعي للبلاغة العربية، هذا البعد الذي كان حاضرا، عند الجاحظ على وجه الخصوص، ثم نسي مع هيمنة صياغة السكاكي للبلاغة العربية. وقد أعجبت كثيرا في هذه المرحلة بعمل بيرلمان Perelman وتيتيكا Tyteca لعمقه وبساطته"¹

ثم يبين العمري بأنه في هذه المرحلة اهتم بنص الخطابة العربية في كتابه: بلاغة الخطاب الإقناعي، هذا العمل الذي بدأه ببيان أهمية الجانب الإقناعي في لغة العربية، ومسألة إهماله من طرف البلاغيين المتأخرين، خاصة علماء الإعجاز، وإن كان هذا الأمر يحتاج إلى مناقشة لأننا نجد الرمانى والباقلاني يشير كل منهما إلى قضية الاحتجاج، وصحة البرهان مع حسن البيان، بل نجد الجاحظ يشير لهذا الأمر في حجج النبوة وإثباتها، والعمري في عمله هذا يتخذ من الرؤية الأرسطية إطارا يتناول من خلاله قضية الإقناع في البلاغة العربية، ويقول في ذلك: "ثم رأيت الدارسين الغربيين المحدثين الذين لهم باع في هذا المجال يستنتجون بأراء أرسطو، بل ويعتبرونها حديثة ومناسبة للمجتمعات الحالية. فزاد اقتنا بإمكان تأطير اجتهادات البلاغيين العرب بالإطار العام للنظرية الأرسطية"²

ونجد العمري، في اعتماده على ما هو أرسطي في قراءة التراث البلاغي، يعتمد على القراءة الغربية لأرسطو، وبالضبط شايم بيرلمان وتيتيكا في كتابهما: مصنف في الحجاج، ويعتبر العمري من أوائل المعتمدين على هذا المرجع الذي أشاع تسمية البلاغة الجديدة على الحجاج، والعمري أصدر دراسته هذه في سنة 1986م، "وتأتي أهميته من جهتين:

- الأولى أنه أول كتاب ينشره العمري بعد التحاقه للتدريس بالجامعة.

¹ <http://medelomari.perso.sfr.fr/entree.htm>

² محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2002، 9.

- الثانية أنه كتاب طموح كما يعكس ذلك عنوانه الطويل بالنظر إلى حجمه الصغير .

ومما يلفت الانتباه أن المؤلف أثبت في ذلك الوقت المبكر ،ضمن قائمة المصادر والمراجع ،كتابين لـ: برلمان Perelman هما مصنف في الحجج وامبراطورية البلاغة¹

هذه الإشارات التي أحصاها اليملاحي فوجدها سبع مرات ،و بعد ذاته يبين أهمية رؤية بيرلمان للناحية الإقناعية في البلاغة ويرى ضرورة تسليط الضوء على جانب الإقناع في بلاغتنا العربية ونصوصنا ،إذن المرحلة الإقناعية من المشروع البلاغي للعمري تضمنت دراسة الجانب الإقناعي في البلاغة العربية كنظرية وفي الكلام البليغ كنص متحقق بصفة الإقناعية أو الحجج .

وعند الاطلاع على فحوى كتابه في بلاغة الخطاب الإقناعي ،وعنوانه الفرعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ،نجد حديثه في الفصل الأول عن الموضوع ،والمنهج يخصص لمعنى الخطابة عند الغرب والعرب ،وتفريقها عن الشعر ،باعتباره معاناة فردية ،واعتبار الخطابة فعالية مشتركة تأثيرية ،هذا ما لا يمنع تقاطعهما² .

ثم يتكلم عن أسس بلاغة الخطاب الإقناعي ؛من براهين وأسلوب وترتيب أجزاء القول ،ويلاحظ بأنه في كل حضارة يغلب عنصر معين من هذه للخطابة العربية ،غلب عليها عنصر الأسلوب ،ثم يمضي للحديث عن أنواع الحجج على طريقة أرسطو ،وقراءة برلمان له ،مقسما إياها إلى حجج جاهزة أو مصطنعة ،ويلاحظ عليها إتباعها لثلاثية الإيطوسات الأرسطية المعروفة³ .

¹ محمد اليملاحي ،أسئلة الفكر البلاغي في المغرب مقارنة لمشروع محمد العمري ،ضمن كتاب البلاغة والخطاب ،إعداد وتنسيق 2014 1 :251.

² ينظر : في بلاغة الخطاب الإقناعي ،أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء المغرب ، 2002 : 16 19.

³ ينظر المرجع نفسه :ص : 27 .

مفهوم وخلفيات

وقراءة العمري لنص الخطابة العربية لم يلغ الظروف الملازمة لنشأتها أو ما سماه بالمقام، وتحديد مواضيعها ؛ إذ يقسمها إلى خطابة دينية ،خطابة سياسية ،وخطابة اجتماعية ،ولكل منها خصائص وأضرب تتفرع عنها ليدخل في تحديد الجزئيات التي يحل من خلالها نص الخطبة ،بين :المقام والحجج والأسلوب ،وعلى ضوءها يقدم عملا تطبيقيا فذا يدرس فيه خطبا للرسول صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر والحجاج بن يوسف كاشفا عن آليات الإقناع في الخطابة العربية والتأطير النظري الذي تنبه له اتجاه البيان البلاغي فيما يخص عناصر البرهان .

وهذا الكتاب ليس نهاية عهد العمري بالإقناع فسنجد اهتمامه بالعنصر الإقناعي لكنه سيعطيه حجمه الطبيعي ضمن البلاغة العامة التي تحوي التخيل بجانب التداول والإقناع ضمن منطقة مشتركة ،خاصة في كتابه البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ،ونجد كذلك للإقناع مكانته في البلاغة العربية أصولها وامتداداتها عليه لرصد قراءة العمري للبلاغة العربية باعتباره مشروعاً مهتماً بهذه الرؤية .

ثانيا :المرحلة الثانية :

تأتي هذه المرحلة ضمن عمل العمري على الخطاب الشعري واهتمامه بالجانب الصوتي معلنا كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية ،يقول في ذلك : "دخلت في مشروع إعادة صياغة البلاغة العربية انطلاقاً من تصور لساني بنائي يراعي البعد التاريخي ،مبتدئاً بالمستوى الصوتي الذي كان يعاني من الإهمال رغم كونه يفسر ،في نظري ،خمسا وسبعين في المائة (75%) من جمالية القصيدة العربية القديمة . وقد نشر هذا العمل الذي اقتضى انجازه أكثر من ثماني سنوات في ثلاثة كتب :

1- تحليل الخطاب الشعري :البنية الصوتية .

2- اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم .

3- الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية.¹

هنا نلاحظ بأن النص المستهدف ليس الخطابة، بل هو نص الشعر، ويتم التركيز فيه على الجانب الصوتي الذي رأى بأنه مهمش في نظرة البلاغيين ودراساتهم .

ويقوم العمري باستثمار المعارف اللغوية خاصة منها الصوتية من تراثنا العربي، ويدخلها في حوار مع النص الشعري، لتساهم في تفسيره وتعليل اختياره، كل لرؤية البنيوية والطرح اللساني الحديث، هذا ما يفتح الباب على مصراعيه لمعرفة القدرات الوصفية التي تمتلكها البلاغة العربية والتي ينبغي تسخيرها في قراءة وتحليل الخطاب .

فقد أراد له العمري "أن يكون مساهمة في تحقيق الحاجة إليه تتأكد: مشروع تاريخ للأشكال الأدبية. وعلامة هذا التاريخ وشرطه تقاطع البنيوي والتاريخي، وتجاوب الإبداعي (الشعري) والوصفي ()"²

وهذا الأمر يضع البلاغة العربية كترسانة إجرائية تسخر لتأريخ الأشكال في الشعر .

والأسئلة التي طرحها العمري كانت تصب في صميم عمل المؤرخ، لكن ليس أي مؤرخ للأدب؛ بل هو المهتم بالسؤال الرئيس حول أشكال الشعر، ثم السؤال حول اهتمامات البلاغيين بالمقوم الصوتي الإيقاعي القائم على الوزن والتوازن.³ لأن الاهتمام بهذه القضايا في رأي العمري هو كشف لبنية هذه البلاغة، وإشارة إلى الأجزاء الغائبة/الحاضرة فيها، والتي عاملتها القراءات التراثية المتتابعة معاملة الغائب ولم تهتم بها .

¹ <http://medelomari.perso.sfr.fr/entree.htm>

² محمد العمري، الموازنات الصوتية، أفريقيا الشرق، ...، ص: 5.

³ المرجع نفسه: ص: 09 .

وقراءة العمري للموازنات الصوتية أعاد من خلالها الاعتبار لكتب البديع، مثل المنزوع البديع للسجلماسي، وأعاد سنان الخفاجي، والملاحظ على عمله هذا، أنه كان بداية جادة للاهتمام بالاتجاهات البلاغية، خاصة في فصله: (موقع الموازنات الصوتية في الاتجاهات البلاغية)، الذي اهتم فيه باتجاه الجاحظ وابن وهب الكاتب، ثم ابن سنان الخفاجي، والجرجا والباقلاني ليربط النتائج مع مفاهيم التخيل والمحاكاة عند الفلاسفة كابن سينا¹.

أما الكتاب الأخير، فقد كان توسيعا للفصل الثاني من الكتب الثاني، ويقول عنه: "أما الكتاب الثالث فيدخل في إطار قراءة جديدة لتاريخ الفكر البلاغي"² عاد النظر في الاتجاهات المعروضة سلفا، ودعم عمله بالتطبيق على النص الشعري، من مراحل مختلفة، وأدمج عنصر الدلالة مدققا بين المصطلحات البلاغية، ومعتدا على مفاهيم الكثافة الصوتية، الفضاء (الصوتي أو البصري) و التفاعل بين الأصوات و الدلالة، معرفا الموازنات الصوتية بكونها: "تفاعل عنصرين صوتيين أو أكثر في فضاء"³

هذا العمل الذي يساهم في كشف عديد من المفاهيم الصوتية، التي تشكل درس البلاغ العربي، وتضعه أمام استراتيجيات التطبيق بالوقوف أمام النص الشعري ومساءلة إمكاناته الصوتية المالية وعلاقتها بالدلالة، ويتم من خلال تفاعله مع بقية المستويات البنائية للنص، لأن الاهتمام بالجانب الإيقاعي يكشف عن اتجاهات الشعر العربي، بين اتجاه يعتمد على التراكم الصوتي، واتجاه يعتمد التفاعل بين الصوت والدلالة وينحو منحى تحليليا فلسفيا، ويوجد المذهب الوسط الذي يصفه بالتكامل، ويجعله للنخبة العربية غير المتفلسفة.

¹ ينظر: محمد العمري، الموازنات الصوتية، ص ص: 47 - 132.

² <http://medelomari.perso.sfr.fr/entree.htm>.

³ محمد العمري، اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي، أفريقيا الشرق....، ص: 137.

هذا التفكير الذي يصل بين التاريخ الشعري، والتفسير البلاغي، ويساهم من جهة في كشف المغيب من بلاغتنا العربية، هو ما سيتيح للعمري الانطلاق في مشروع إعادة قراءة البلاغة العربية في كتابه البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، والذي سنتخذه عمادا في دراسة قضية رؤية البلاغة العربية بعيون البلاغة الجديدة، متخذين من مشروع العمري نموذجا لذلك، دون تضييع أو فصل الكتاب عن كامل المشروع لأن أعمال العمري لا تسمح بهذا الفصل الشنيع الذي لا يراعي مبادئ البحث العلمي في المشاريع .

المرحلة الثالثة : أصول البلاغة وتأريخها بين النسق والتلقي .

كان كتاب (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها)

العمري إليها بعد طول بحث في البلاغة العربية، وتنقيب عن أصولها ومحاولة معرفة الخلفيات التي بنت الدرس .

وكان يرى العمري بأن عمله ضروري؛ لأن الدراسات التي كانت تمر به وهي قراءات تجزيئية للبلاغة أو اختزالية تحاول أن تختزل البلاغة في رؤية السكاكي أو في أحيان أخرى تقتصر على قراءة القزويني للسكاكي ومن جاء بعده، مقصية الروافد والاتجاهات الأخرى، هذا الأمر دعا العمري إلى ضرورة التحرك من أجل التأريخ للبلاغة العربية، ليقوم بعمل الجمع بين ما هو نسقي بنيوي وما من صميم نظرية التلقي التاريخية عن ياقوس، منطلقا بذلك إلى اكتشاف المناطق المجهولة والمنسية من بلاغتنا العربية .

يقول في ذلك محمد العمري: "كتاب البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، هو في الواقع امتداد لكتيب صغير سابق هو: الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية. والأخير جزء من المشروع العام في دراسة: البنية الصوتية في الشعر العربي فخلال انجاز الجزء التاريخي من ذلك المشروع وجدت نفس

تصنف البلاغة العربية [...] ثم جاءت ظروف محايدة رجحت التاريخ على البحث في موضوع الدلالة ذلك بعد تزايد الاهتمام بالتلقي في الثمانينات¹

ونجد بأن عمل العمري هذا، يتسم بقدر من الشمولية، ومحاولة الجمع قدر المستطاع، ليكون مؤلفه مسحا كليا للدرس البلاغي العربي، مما جعل مشروعه هذا يكون مؤهلا لتنطلق منه دراسات تحمل عناوين فصوله وتوسعها ضمن مشاريع بحث في الدراسات العليا.²

لن نوسع القول في هذا العمل الأخير للعمري لأننا سنركز دراستنا لرؤية العمري للبلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة هذا المؤلف دون إهمال ما يتصل به لأنها تنبع من منبع واحد.

/ :

ما يرمي إليه العمري من خلال مشروعه، ليس فقط تاريخ البلاغة العربية بطريقة روتينية تتبع المحطات التاريخية، أو معرفة أهم اللحظات في درسها، بل يتجاوز هذا المقصد الداخلي الضيق ليوسعه إلى تاريخ البلاغة العالمية، ومن المهم أن نذكر عبارة العمري في مدخله العام حول التأريخ في البلاغة العربية أصولها وامتداداتها إذ يستهل عمله ببيان أن كتابة تاريخ للبلاغة العربية مسألة ملحة لاعتبارين عام وخاص؛ أما الأول فلأن الدراسات المنجزة غير كافية أو أنها جزئية، أما الاعتبار الخاص وهو اعتبار منهجي يختص بتغير ظروف القراءة وتغير السؤال الأدبي، ثم يردف قائلا: "وقصارى ما يطمح إليه (عمله) أن يكون خطوة في السعي لكتابة تاريخ شامل للبلاغة العربية"³

¹ : محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط1 2013

253 :

<http://medelomari.perso.sfr.fr/entree.htm>

² ينظر :

³ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط2 2010 :9.

ثم يحدد المسار الذي يسير فيه من أجل مقصده مذكرا بأن التيارات النقدية الحديثة "ترى إمكانية إعادة قراءة البلاغة على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة"¹ ويضع العمري أعماله ضمن هذا الإطار .

إذن مشروع العمري يهدف إلى تأريخ البلاغة العربية تأريخا يحافظ على الأصول التي بنيت عليها ولا يهتم فقط بالتسلسل التاريخي المتتابع لأن هناك من التيارات والاتجاهات التي تنشأ متوازية ومتابعتها تحتم اعتماد مفاهيم كالنسق والبنية ... وغيرها من المفاهيم التي سنتوقف عندها لنكشف استثمار العمري لها ،كذلك من المهم أن نشير إلى أن ما يرمي إليه العمري هو قراءة هذه البلاغة ضمن التيارات المعاصرة وفي ضوءها ، وذلك لإغنائها وكشف المغيب منها ، ونجد عند العمري غرضا تعليميا يريد الوصول إليه رغبة منه في تغيير طرق تدريس البلاغة التي أصبحت قديمة وتكلست عقول المعلمين والطلبة من جراء تكرارها واجترار الشواهد المعتادة في أبواب البلاغة ،ويظهر الهدف التعليمي من خلال الخطاطات والتشجيرات والخرائط المفاهيمية التي يسخرها العمري في سبيل الإفهام ،" ويلاحظ أن الأستاذ العمري يولي عناية خاصة لهذه الوسيلة ، إذ يعتمد عليها كثيرا في تقريب عرفية إلى القارئ [...] غير أن الخطاطات تحضر بكثافة في كتاب البلاغة العربية إذ يصل مجموعها إلى خمسة وثلاثين جدولا"²

وهذه التقنيات البيداغوجية تفتح المجال للحديث عن مقصد آخر للعمري وهو : الحصول على تاريخ علائقي ونسقي للبلاغة العربية حيث لا تقف الشخصيات والمؤلفات بعيدة عن بعضها البعض كتلك الجزر المتناثرة دون نظام يحفظ نسقها ،مع أن تاريخ البلاغة يشهد بعكس ذلك وتكفي قراءة الظروف المحيطة بنشأته لفهم هذا النسق الذي ينتظمها .

¹ المرجع نفسه :ص :11.

² محمد اليملاحي ،أسئلة الفكر البلاغي في المغرب ،ضمن :البلاغة والخطاب ،منشورات الإختلاف ، الجزائر ،ط1
2014 : 255.

لكن العمري يسطر لعمله مقاصد عالمية يهدف من خلالها إلى إعادة بار للبلاغة العربية ضمن بلاغات العالم ، وأن تلتفت الدراسات الحديثة لموقع بلاغتنا وخاصة قراءة العرب لأرسطو ومنهم ابن رشد ، وإعطاؤهم المفاهيم الجديدة وتأويلهم لعمل أرسطو وتكييفه مع وجهة النظر العربية ، ليصبح الإنجاز العربي أحد إمكانات البلاغة التي تتيحها خطابة أرسطو أو شعريته ، لأن الدراسات الغربية تتجاهل المنجز العربي مع احتفاء العرب بالمنجز الغربي ، ولا تعي الدراسات الغربية وفي أحيان الدراسات العربية أن هناك حلقة مفقودة ضمن تاريخ البلاغة في العالم ، وإعادة هذه الحلقة تجيب عن عدة أسئلة يطرحها المتن الأرسطي وما يليه أرسطو دخل مشروحا بعقلية عربية إلى الغرب ، فلماذا تجاهل هذا الأمر ؟

يقول العمري في هذا الصدد : "المطلوب الآن في الواقع ، إذا توضحّت المنجزات البلاغية العربية ، بقدر كاف ، أن نحاول فتح موقع لنا في تاريخ البلاغة العالمية . أن نخرج من ذلك التاريخ الذي يقفز من أرسطو إلى الشكلايين الروس ، أو من البلاغة العربية القديمة إلى البلاغة العربية الحديثة . فنقدمنا لـ قراءة الفلاسفة العرب لأرسطو وصولا إلى مفهوم التغيير عند ابن رشد ، هي ورقة في يد الدارسين الذين سيؤولون الموضوع فيما بعد : وهم على علم بالبلاغة العربية ، ليعلموا أن هناك حلقة مغيبة ، وأن هناك تاريخا غير عقلاني مبتور للبلاغة العالمية ."¹

التنقيب عن البلاغة العربية ، وعن أسرارها ، وتعالقاتها الخارجية يسمح بانضمامها لتكميل تاريخ البلاغة العالمي فيما يخص النقطة المشتركة بيننا وبين ب وهي قراءة أرسطو ، أما ما يتعلق فلا يمكن أن نجد مكانا يتسع له في تاريخ البلاغة العالمية خاصة ما يتعلق عندنا ببلاغة القرآن الكريم وإعجازه أو دراسة الشعر العربي واستخلاص القوانين البلاغية منه ، أو تأسيس الاختيارات الشعرية على أسس بلاغية .

¹ : محمد العمري ، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب ، ط1 2013

ومحمد العمري يضع منجزه البلاغة العربية أصولها وامتداداتها بين
بعدين:بيداغوجي تحليلي وقد سبق الحديث عنه ، وآخر تأويلي "يساهم في ربط
المشاريع والمنجزات والكشف عن خلفياتها (أو تفسيرها)واستكشاف مساراتها

1،

هذا البعد الأخير ، هو ما أراد العمري كذلك الوصول إليه ؛أي كتابة تاريخ
للبلغة العربية أو دراسة مشاريعها بالبحث الشامل عن الأصول والربط بين
المنجزات وإقامة العلاقات واختيار المشاريع وقراءتها في ضوء معطيات عصرها
والتفريق بين المشروع الذي يحمل هما نسقيا وبين عمل تراكمي .

2- مرتكزات المشروع ومقوماته :

هي الأسس والمنطلقات التي بنى
العمري عليها مشروعه ،والسبل التي اتخذها وسلكتها للكشف عن المغيب والمجهول
من بلاغتنا العربية .

أ/ البحث من الداخل وتوسيع شبكة :

ينطلق العمري من التراث العربي البلاغي ليفحص مناطقه ويتحسس
مكامن القوة فيه ، ويبحث عن الأسئلة البلاغية التي تمكن من الحصول على مشروع
بلاغي محدد النسق والمقاصد ،ونجد عملية البحث من الداخل أو ما سماه بالاكشاف
من الداخل في بحثه عن أصول ومنابت البلاغة العربية ،وربط العلاقات بين هذه
الأصول ،ثم في امتدادات المشاريع البلاغية الكبرى .

ومن الأهمية بمكان أن نعرف :ما المقصود بالنسق عند العمري ؟ وما هي
الطريقة التي اتبعها في تحديد الخيوط المتحكمة في أصول البلاغة العربية ، وتعيين
ابعها وروافدها ؟

¹ محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء المغرب ،ط2 2010 :6.

- أولا :تحديد النسق :

يحدد النسق باعتباره : "مركب من عناصر مختلفة تضبطها علاقة قائمة فيما بينها"¹ ونلاحظ التشابه القائم بين النسق والبنية وإن كان النسق من مضامين البنية ومرتكزاتها لأنه النظام الذي يحكم عناصرها ،هذا ما نجده عند بشير تاوريريت عندما يقول : "إن البنية هي نسق من العناصر أو الوحدات المنتظمة فيما بينها تنظيما داخليا"²

وإذا توجهنا للنسق عند العمري وجدناه منطلقا نظريا أخذه من البنيوية وسخره كأداة إجرائية تمكنه من رصد الخيوط التي تحرك المشاريع البلاغية والتي هلهلها لأن تكون محورا لدراسة اتجاه معين ،وهذا نتلمسه في حديثه عن السياق الذي نشأت فيه الدراسات البلاغية أو الظروف العلمية الفكرية التي أحاطت بها : "لقد تقوى مفهوم النسق والبنية في البحث العلمي العربي منذ البداية ،عندما غلب القياس على الرواية .القياس الذي يقوم على استقراء الظواهر واستخراج نظامها الخفي الذي يترجمه الاطراد"³

فالعمري في بحثه عن المشاريع والمنجزات سيقم ويركز بحثه على الأنساق والبنية واستخراج الأنظمة التي تتحكم في المشاريع والمنجزات ؛باعتبار أن البحث العلمي العربي لجأ إلى القياس مرسخا فكرة النسق التي ترجمها علماء اللغة وغيرهم تحت مسمى الأسرار أو السر كما نجدها عند ابن جني(ت392هـ) الأنباري ،ثم يلاحظ انتقال الهم النسقي ومشاعل وجود نظام يحكم الدرس البلاغي في أعمال البلاغيين "فالهم النسقي كان حاضرا في أعمال البلاغيين العرب"⁴

فالعمري سيبحث عن المؤلفات والمشاريع التي تحقق معيار الفكر النسقي،وتتنظم أفكارها ضمن نظام يحكمها ،وهذا ما سيجعله يقصي أعمالا بلاغية

¹ paul aron ,denis saint-jacques et alain viala , le dictionnaire du littéraire ,puf,2eme ed ,2010,p:753.

² بشير تاوريريت ،محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر ،دار الفجر للطباعة والنشر ،الجزائر ،ط1 2006 : 13.

³ محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء المغرب ،ط2 2010 : 15.

⁴ المرجع نفسه :ص: 15.

مفهوم وخلفيات

بحجة عدم توفر النسق والمقصد، لكن هل كشف العمري كل الأنساق التي تقف وراء الأعمال البلاغية واتجاهاتها؟

لأننا نلاحظ وجود أعمال لم تعط موقعها من تاريخ البلاغة العربية، فمثلا

يحمله من هموم بلاغية نصية صميمة تعبر عن اتجاه البلاغة النصية التي تهتم بالنص وتنوع في التعامل مع نماذجه هذا التناسي غير مبرر، وإن كان له ما يبرره فهو طبيعة انتقاء العمري التي شابها الاعتماد على المركزيات بحجة توفر النسق فيها، يتبع هذا كذلك تهميشه للمثل السائر لابن الأثير مع ما يمثله من مشاغل البلاغة التطبيقية التي كان فن الكتابة والإنشاء مصدرا لها .

يصرح العمري بأن من بين أهم مرتكزات عمله في تاريخ البلاغة العربية استخراج أنساق المؤلفات، ومن ثم تحديد المشاريع التي تمثلها بعد أن رأي انتزاع المقولات البلاغية وتجزئتها بعيدا عن نسقها من طرف الدارسين الذين لم يفهموا حقيقة الارتباط بين الدرس البلاغي والظروف المولدة له والعلاقات الكامنة بين جزئياته فيقول: "وبدأ يزعجني ما أسمع في الندوات العلمية من استشهادات بنصوص منتزعة من النسق، لا نعدم في المؤلف الذي أخذت منه ما ينقضها أو يخالفها مخالفة صريحة. ولذلك كان من بين همومي الموجهة حين تصديت لإعادة قراءة تاريخ البلاغة العربية استخراج أنساق المؤلفات في حوار بين المشاريع

1،

إذن فتحديد النسق هو المعيار الذي يؤهل العمل البلاغي لأن يكون مشروعا في نظر العمري، وهي رؤية ينجح العمل بها، لكنها تعتمد على نوعية القراءة والرؤية التي يتوجه بها الواحد نحو مؤلف معين فهناك من تتكشف له الأنساق المتحكمة بفعل معرفته بالخلفيات والظروف المولدة للعمل البلاغي وهناك من يرى في أعمال بعض البلاغيين مجرد تراكم وروايات، كحال العمري مع العمدة لابن

¹ عمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط2 2010 : 16.

رشيق القيرواني، فلا نستغرب أن يطلع علينا دارس آخر يؤرخ للبلاغة العربية يضع
دة ابن رشيق في مركز الدرس البلاغي ويكشف عن نسق لم يره العمري أو لم
تكن وجهة العمري تتفق مع مسار نسق صاحب العمدة .

- ثانيا :اختيار المشروع :

إذن فاختيار العمري للمشاريع البلاغية قائم على وجود النسق من عدمه
،فبعد أن بين منابت البلاغة العربية وعوامل نشأتها الأولية الداخلية منها ()
الاختيارات الشعرية والنقد) ،والخارجية (النص والمعيار وأسئلة النص المقدس)
يلجأ إلى اختيار المشاريع الكبرى التي مثلت محطات مركزية في تاريخ البلاغة
العربية ،والتي يمكننا بالاعتماد عليها في ضوء الوافد الجديد الغربي يمكننا أن نبني
بلاغة عربية عامة والمساهمة في وصل الحلقة المفقودة من تاريخ البلاغة العالمية .

واختيار العمري للمشاريع أو ما أطلق عليه اسم "

"¹ قائم كذلك على التفريق بين المشروع الذي يمثل المقاصد والمنطلقات التي
يجب أن يكون عليها عمل البلاغي في بنائه المعرفي ، والمنجز وهو ما تحقق فعلا
وعيانا ووصل إلينا ، إذ يقول العمري : " لقد قادني البحث في موقع الموازنات
الصوتية من الرؤية البلاغية [...] إلى تكوين تصور عام عن مسارات البلاغة
العربية وخلفياتها الفكرية والأيدولوجية ، كما قادني إلى اكتشاف الفروق بين
المشاريع والمنجزات وما يؤدي إليه ذلك من تضارب بين منطوق نصوص من
2"

فمن بين دعائم اختيار الأعمال البلاغية عند العمري تحقق المنطلقات

¹ محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء المغرب ، ط2 2010 : 277 .
² المرجع نفسه : ص :15 .

مفهوم وخلفيات

ولهذا نجد العمري قد اختار دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، ثم سر الفصاحة ليختم الحديث عن الامتدادات بمنهاج البلغاء لحازم القرطاجني لأن كل واحد من هذه المشاريع كان له منطلقات نظرية ومقاصد وضعها وعمل على تحقيقها

لكن يجب أن نتنبه إلى أن نظرة العمري لبعض الأعمال البلاغية وقراءته لها قد توصف بالإجحاف؛ خاصة ما يتعلق بتصنيف السجلماسي والمراكشي ضمن تيار البديعيات مع أصول البلاغة الأولى خاصة ما أطلق عليه النقد التطبيقي الناشئ عن الخصومات بين القدماء والمحدثين والتي تطورت وأصبحت على شاکلة الدرس البديعي الذي يصمه العمري بالتركرارية والتراكم دون توفر النسق ولذلك لا يدخل ضمن نطاق اهتماماته في الحديث عن المشاريع الكبرى في تاريخ البلاغة العربية، ويقول العمري: "إن هذا الجهد الذي بذله البديعيون لم يتجاوز التصنيف إلى التفسير فهم وإن عايشوا الجدل حول سر الفصاحة وأسرار البلاغة فإنهم لم يهتموا بكشف السر المختفي وراء كل الصور، [...]؛ ولهذا كانت عملية التجنيس نفسها بدون روح، لم تختلف كثيرا عن عملية النظم والتحنيط"¹

هذا هو موقف العمري من مؤلفات البديع، والتي تمثل في رأينا اتجاها مهما ينبغي الكشف عن مقاصده وخلفياته واستراتيجيات عمله، وفي ذلك نجد صنيع محمد مفتاح الذي درس كلا من الروض المربع والمنزع البديع في كتابه التلقي والتأويل وهو المتمم لمجهول البيان السابق عليه.

يقول محمد مفتاح في دراسته للمنزع البديع: "ومن يرجع إلى الكتاب يدرك مجهودا جبارا في القراءة وفي التصنيف وفي الترتيب وفي تقديم قوانين للتأليف يسير

¹ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط2 2010 : 64.

على هديها الناثر والناظم للإقناع والإمتاع، كما كان يتغيا قوانين للتأويل تعصم من الهذر والقول في المخاطبات بغير علم¹

والرجل يصرح في عنوان عمله، بأنها مقارنة تهدف لكشف الأنساق، والعمري كذلك جعل من توفر النسق معيارا لاختياره المشاريع البلاغية، إذن إقصاء العمري لهذه الأعمال قد يكون للمعنى القدحي الذي اكتسبه معنى البديع في خرة، أو لأن السكاكي جعله تابعا، أو لأن العمري جمع كل الدرس البلاغي البديعي في عملية تعميم شاملة ولم يهتم به، أو ليجعله بابا من الأبواب التي يمكن أن تطرق في المستقبل من الدارسين.

مع أن محمد مفتاح يصرح بأنه قد وجد بهذه المؤلفات ما هو موجود في رس البلاغي الجديد، و يقول: "هكذا قرأنا أدبيات في البلاغة الجديدة وفي نظرياتها من إبدالية وتشبيهية فاعتقدنا أنها من بنات أفكار البلاغيين المعاصرين، ولكننا لم نلبث أن وجدنا ابن البناء يذكر الاستعارة التناسبية الإبدالية والاستعارة التشبيهية"²

ويعرج على السجلмасي الذي اعتمد المقاربة الأرسطية في معالجته للبديع في البلاغة العربية وقد كان هدف السجلмасي أن يقوم بإحصاء: "قوانين أساليب النظم التي تشتمل عليها الصناعة الموضوعية لعلم البيان"³

فالرجل يصرح بالهدف والمقصد، ويزيد مفتاح على ذلك، بأن هذا التيار البلاغي البديعي تأثر بما هو أرسطي، وتوافقته مع ما نجده عند الغرب، راجع إلى وحدة الطبيعة البشرية، وهنا نفهم سر اختلاف موقف العمري عن موقف أن العمري لم يضع مسألة الكونية، والكلية الفطرية، وقراءة النسق، والسياسي المرافق للأعمال البلاغية ضمن منطلقاته، وإن اهتم بالسياق الفكري المذهبي، وهو الذي مكنه من فهم ابن سنان الخفاجي، فلو سخر قراءة مماثلة

¹ محمد مفتاح، التلقي والتأويل مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3 2009 :61.

² المرجع نفسه: 82.

³ المنزوع البديع في تجنب أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، الرباط المغرب، ط1 1980 :180.

مفهوم وخلفيات

وموسعة للبديعيات المتأثرة بنظرية المقولات الأرسطية لخرج بنتيجة مغايرة ،ولتمكنا من رؤية مشاريع أخرى تنضم إلى النماذج الثلاث التي اختارها في الـ الثاني من الكتاب الذي نحن بصدد اتخاذه وثيقة لاكتشاف قراءة البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة بعد أن حاولنا تبيان العناصر الأصلية فيها والتي تؤهلها للوقوف جنباً إلى جنب مع الدرس البلاغي الجديد .

/ :

وقوف على شبكة العلاقات الداخلية التي قام العمري بنسجها وتحديد نسقها وعلى أساسها اختار المسارات الكبرى التي سيدرسها ،نأتي إلى السبل التي استعان بها لرؤية البلاغة العربية والكشف عن المغيب منها ،هذه السبل التي أتاحتها له الدرس المعاصر الجديد ،والعمري تمكن من هـ

- :

المقصود هنا بالقراءة ،هو تلقي العمري للوافد الجديد ،وطريقة فهمه وتأويله،ومن ثم استخدامه وتوظيفه في التنقيب عن روافد البلاغة العربية ،وكشف المغيب منها .

المغيب والمنسي من بلاغتنا العربية ونصوصنا النثرية والخطبة منها على وجه التحديد ،"ويستعين العمري في عملياته البحثية هذه بجهاز مفاهيمي [...] يجمع إلى القديم وعياً جيداً بالبلاغة المعاصرة ،وإحساساً مبكراً ببلاغة الحجاج"¹

¹ محمد سالم محمد الأمين الطلبة ،الحجاج في البلاغة المعاصرة ،دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان ،ط1 2008 :255.

إن قراءة العمري خاصة في بعدها التأويلي الذي ينتفع بالنصوص لا من أجل فهمها، بل لتجاوز ذلك إلى فهمها¹ إن قراءته لما كان ينتجه الغرب خاصة مع الدراسات الأولى التي اهتمت ببلاغة الحجاج وحصرت إعادة مكانة البلاغة فيها وهو الاتجاه المنطقي والفلسفي الذي قادة شايم بيرلمان، قد حدثت في وقت مبكر حين كان النقد العربي المعاصر مفتونا بالبنوية والبنوية التكوينية وفي حالات نجه كان لا يزال يعمل بالاتجاهات السياقية والفنية، "ومما يلفت الانتباه في ذلك الوقت المبكر، ضمن قائمة المصادر والمراجع، كتابين لبرلمان هما: مصد "وإمبراطورية البلاغة" وقد أحال المؤلف، في متن الكتاب، على هذين الكتابين 71: 77 78 128 130".²

إن قراءة العمري للمنجز الحجاجي الغربي فتحت أمامه آفاقا جديدة لتحليل الخطاب العربي لاكتشاف آليات إنجازه، وكانت الخطابة الميدان الذي عمل عليه في مؤلفه الأول: في بلاغة الخطاب الإقناعي، والملفت للنظر هو استيعاب العمري للنظرة الحجاجية البلاغية الغربية وعدم تطبيقها مباشرة على النص العربي إلا بعد المرور على خصوصيات البيئة التي أنجزت هذا الخطاب، وكذلك فحص رأي البلاغة العربية وإن كان غير ظاهر في عمله بشكل جلي، فالعمري عندما يقرأ الأعمال البلاغية الغربية يحاول إجراء عملية تأويل لمضامينها ولا يسارع لتطبيقها على النص العربي مباشرة ولهذا كان تحليله لنص الخطابة في القسم التطبيقي لعمله خاضعا للرؤية العربية أولا ثم يستعين بالخطاطة الأرسطية عبر برلمان، فالرجل لم يأتي بال قالب الحجاجي الجديد ويطبقه بشكل تعسفي على النصوص العربية، وإنما استدعى كل الخلفيات التي تقف وراء النص وتقف وراء تحليل القدماء له .

"Mu" وتأثره بها في مسألة البلاغة

rhétorique générale واستفادته من كيبدي فارغا kibedi varga

خلال كتابه البلاغة والأدب، فلو رجعنا مثلا إلى قراءة العمري لتيار جماعة مو فإننا

¹ ينظر: محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب، ضمن البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق محمد مشبال، دار الأمان الرباط 2014 1: 248.

² المرجع نفسه، ص: 251.

نجد قراءته لمشروعهم كانت قراءة تعمل بالتوازي مع الوعي بما هو موجود في التراث العربي، فيذكر اتجاههم ضمن التيارات الكبرى للبلاغة الحديثة باعتبار الجماعة تهتم بالصور البديعية أو التيار الشعري البديعي ثم يشير إلى أن هذه الصور (بالمفهوم الذي قصده ابن المعتز)¹، وهناك قراءة لا تعتمد عنصر النظرة المتوازية أو المقارنة، إنما تعمل على بناء نموذج بلاغي طبيعي؛ يحترم الخصوصيات لعربية للمنجز اللغوي ومميزات الدرس البلاغي العربي ويعمل على إتمام الناقص منه بالاستفادة مما هو غربي بما أن البلاغة العربية حلقة مهمة لاستكمال البلاغة العامة العالمية، وهنا نجد العمري يقدم مشروع البلاغة العامة من خلال قراءته لهنريش بليث و كيبدي فارغا، خاصة .

ومن الضروري التساؤل، عن منهج العمري في قراءته للوafd الجديد القادم من الغرب؟ فالرجل كان متشبعا بالتراث العربي، ليس في طور دراساته الجامعية، بل من قبل ذلك، من أيام الكتاب الأولى، ولهذا فقرأته للمعطيات البلاغية والنقدية الجديدة تمت باحترام الخصوصية التي يتميز بها التراث العربي، وكذلك كانت تبحث في الدراسات الغربية بعيون عربية، تمتلك خلفيات تمكنها من استكشاف الجديد والاستفادة منه، وفهم القديم في ضوءه، وكان البحث في جذور الدرسين العربي والغربي يمنع من تغليب رؤية أحدهما على الآخر، أو تقييده، مع أن العمري يصر على السير وفق المسار الأرسطي²، متتبعا أعلام الفكر العربي في قراءتهم المذهلة لمنجزاته (فن الشعر والخطابة)، لكنه يسير على هذا الطريق محترما خصوصية المتن العربي، وخصوصية العقلية العربية ذات البعد الإسلامي .

هو المحور الذي أقام العمري عليه منهجه، في قراءة الدرس البلاغي والنقدي الجديد، حوار بين التراث والحداثة، ويرفض العمري أن يكون لمسيرته العلمية مساران، بل يؤكد على أن "المسار واحد أوجد، وهو البحث عن

¹ ينظر: محمد العمري، أسئلة البلاغة، أفريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص: 29.

² ينظر: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 284.

مفهوم وخلفيات

بلاغة عربية حديثة من خلال الحوار بين التراث العربي والمناهج والنظريات الأدبية الحديثة.¹

هذا الحوار الذي يجريه العمري في مشروعه، يكتسب شرعية التجديد والحدثة من مطالب المشاريع التراثية، ويكتسب التأصيل من العلاقات التي تبني بين الجديد والقديم، لأننا عندما نمحص النظر في قضايا البلاغة، سنجدتها تشترك م بلاغات أخرى، لأنها إنجاز إنساني، يجمع بين علوم الإنسان وعلوم اللسان، ومما لا سبيل لإنكاره، أن القدماء أشاروا من خلال حديثهم عن القوانين الكلية للصناعة الشعرية أو الخطابية لمثل هذا الأمر، والواجب علينا أن نسعى للتحقق، أو لتحقيق

- ثانياً :

"الترجمة تعني الفهم والتأويل معا، وهذا يتضمن نقل نص من لغة طبيعية²" هذا الأمر يمارسه كل مترجم؛ فالنقل من لغة إلى أخرى تجري في خضمه فعاليات الفهم والتأويل، ولكل مترجم آفاقه وخلفياته التي تتم من خلالها عملية

وإذا رجعنا إلى أعمال العمري ضمن مشروعه نجد استهداف بالترجمة عمليين هاميين هما :

- بنية اللغة الشعرية لجان كوهن، وكانت الترجمة بالاشتراك مع محمد الولي .
- البلاغة والأسلوبية لهنريش بليث .

وكان عمله في ترجمة هذين العمليين متوازياً مع بحثه البلاغي، بل إن ترجمته كانت تستهدف التنقيب عن فهم الغرب للبلاغة، أو توضيح العلاقة بين ميادين مثل الشعرية والأسلوبية بالبلاغة .

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص: 284.

² Paul aron Kdenis saint jacques alain viala Le dictionnaire du littéraire ;puf France 2eme éd 2010 ,p:775.

فاهتمامنا بالترجمة كمرتكز خارجي ،في بناء مشروع البلاغي ،هو كشف عن المساءلات التي أراد العمري طرحها ،وإيجاد حلول لها على مستوى الدرسين النقديين العربي والغربي،ونعترف بإمكانية تناول الترجمة عند العمري موضوعا منفصلا ،يعمل على الكشف عن آليات الرجل ،وخلفيات فهمه وتأويله ومقاصده بالموازاة مع أسئلة البلاغة العربية ،لكننا ههنا نريد أن نصل إلى إجابات عن أسئلة من قبيل :

كيف اختار العمري أعمالا بعينها دون غيرها وقرر ترجمتها ؟

ما الذي خرج به العمري من ترجمته لبنية اللغة الشعرية ،والبلاغة والأسلوبية ؟ وما أثر ترجمته وفهمه للعملين على بحثه في البلاغة العربية ؟

يبين بأن ما دفعه لترجمة عمل هنريش بليث هو ذلك التشتت تعيشه الدراسات العربية النقدية في المستوى الجامعي، بين سيميائيات وشعرية وأسلوبية وغيرها ، من المقاييس التي تتناثر تتناثر النجوم في السماء ،إلا أن للنجوم نظاما يحكم تحركاتها ،ويربط علاقات تناظراتها مع الكواكب ،وهذا ما لا نجده بين هذه المجالات العلمية في الجامعة ،هذا من جهة ،ومن جهة ثانية وجد فيه العمري نموذجا يحاور النظريات القديمة والحديثة ويفتح باب الاجتهاد والاقترح¹.

وترجمة العمري لهذا العمل أدخلته ضمن أجواء بناء البلاغة العامة ،التي سنجد الدعوة لها ،ولمقومات بنائها ضمن أعمال : البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ،و أسئلة البلاغة ، ويقول في ملخص ترجمته : "ينضوي هذا البحث ضمن مشروع كبير لبناء بلاغة عامة جديدة تستوعب إنجازات البلاغة القديمة وتستفيد من اجتهادات الأسلوبية الحديثة ،محاولة تجوز جوانب النقص فيهما باقتراح نموذج يقوم على نظرية الانزياح في التركيب والدلالة والتداول"²

¹ هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية ،تر محمد العمري ،أفريقيا الشرق ،المغرب ،1999 ،:09.
² المرجع نفسه ، ص: 11.

إن فهم العمري لمقاصد هنريش بليث البلاغة العربية العامة، واستحضار المغيب منها، مما جعل ترجمة العمري تكون قراءة، وفهما، وتأويلا يحصل دائما، باستحضار البلاغة العربية، فمثلا عندما يتحدث ليث عن كون البلاغة القديمة فكر نسقي يعمل على الحفاظ على قوانين ينتج حسبها الخطاب، يجعل العمري هذا الأمر قابلا للنقاش في البلاغة العربية؛ لأن هناك تيارا بلاغيا يقوم على دراسة النصوص واستخراج مكانها وإمكاناتها البلاغية والجمالية.¹

جمة محورا ثانيا بني من خلاله العمري مشروعه ونظر في ضوئه إلى البلاغة العربية، لكنه لم يحاكي النموذج الغربي، بل سعى لفهم خصوصيات الدرس البلاغي العربي، والاستفادة من الاتجاهات الغربية قدر ما تسمح به الظروف، وبنية النصوص المنتجة، والمكونات النظرية، والآليات التطبيقية للجهاز البلاغي الواصف.

وقد كان العمري يفكر في غيره من الدارسين، عندما كان يتوجه لترجمة عمل معين، لإيمانه بأن الدرس الجديد (باعتباره عدة وأداة منهجية²) ليتمكن الدارسون من فهم الحاضر، ليس بأعين الماضي، ولا بأعين الآخر وأهوائه فق ما تمليه الحقيقة التي يتضمنها التراث، والضرورة التي توجبها مستلزمات

3- خلفيات القراءة وموجهاتها وسؤال المنهج :

لكل مشروع خلفيات تقف وراء بنائه، وموجهات تسير خطوته المنهج هو الخريطة التي يتحدد من خلالها خطوط الطول، والعرض

¹ المرجع نفسه، ص: 23.

² ينظر : محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 284.

مفهوم وخلفيات

التي سيتموقع من خلالها هذا العمل ،كذلك نحن مع العمري سنكتشف عن الخلفيات،والموجهات ،وسنتطرق لمسألة المنهج الذي اتخذه العمري عمدة في عمله .

ولن نتكلم عن التراث العربي ،باعتباره خلفية ؛لأن العمري كانت انطلاقة من التراث ،لكن لو اقتصر الرجل على التراث لما استطاع أن يشكل أسئلته، التي قاده نحو بناء هذا المشروع ،فمسألة اعتماد التراث كخلفية، أمر لا مفر منه ،لكنها خلفية ،كان الرجل مضطرا لدعمها بأفكار وافدة، لاستكمال الحلقات المفقودة .

تنتمي أعمال العمري إلى تيار الدراسات البلاغية التي تريد الكشف عن الدرس البلاغي العربي، بالاستعانة بالنظريات الغربية ،دون قولبة أو تعسف أو نوبان في الآخر ، فالعمري على وعي بما خلفه السابقون من العرب واللاحقون والأمر بالمثل مع القديم والجديد الغربي¹

لكن تبرز الخلفيات الغربية التي وجهت نظر العمري وقادته نحو اتخاذ منهج بعينه دون آخر فنتج من ذلك نظرة العمري إلى المسائل البلاغية والتاريخ البلاغي تشكل رؤيته الخاصة دون غيره من الباحثين ،وكان على رأس الخلفيات التي قادت العمري منذ أعماله الأولى حتى عمله الذي نركز عليه وهو :البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،كانت البنيوية من أهم الخلفيات التي وجهت رؤيته ومنهجه في البحث والتنظيم ،ونجد التداولية والحجاج من أهم الجزئيات التي حضرت عند العمري بالإضافة إلى إدراجه لرؤية التلقي التاريخي في قراءة الأعمال غية ويحضر إلى جانب ذلك تيارات نقدية وبلاغية معاصرة أسندت مشروعه .

أ/الخلفيات الغربية:

- أولا :البنيوية :

تعرف البنيوية (Structuralisme) على أنها تيار /منهج /طريقة في البحث ناتجة عن تظافر عدة تيارات من الشكلانيين الروس ومجموعة براغ

¹ ينظر :محمد سالم محمد الأمين الطلبة ،الحجاج في البلاغة المعاصرة ،دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 2008 : 243 .

والأنثروبولوجيا واللسانيات البنيوية وهذه التيارات وجدت سندا لها في أعمال فرديناند دي سوسير.¹

كذلك هي "نظرية نقدية مكتملة الآليات [...] اتخذت من اللغة أساسا لها في البروز على الساحة النقدية ،ليس اللغة كأداة للتواصل والتعبير ،بل هي هنا غاية في حد ذاتها، لا تحيلك إلا على معجمها الداخلي كنظام من العلامات"²

وتحظر كلمة النظام/النسق في كل حديث عن البنيوية باعتبار البنية نقلا عن بياجى (Piaget) لا بد أن تتصف بالشمولية (اتساق وتناسق البنية داخليا) والتحول (تؤثر وتتأثر) ، وذاتية الانضباط (عدم اعتمادها على مرجع خارجي)³

إن فكرة النسق هي المحور الذي تدور عليه البنية والبنيوية ،وهذا ما تشترك فيه مع فلسفتي ديكرت و كانط ،فهي تعمل على جعل الذات حبيسة سجن النسق ونسقتها هو اللغة وعند العقليين هو العقل⁴ ،فرحلة البحث البنيوي هو رحلى بحث عن النسق واكتشافه أو جمع التصور المشتت تحت طائلة نظام نسقي .

فكرة النسق هذه أخذها محمد العمري واستعان بها في إطار إعادة قراءة شف عن تياراته واتجاهاته وربط العلاقات (وفكرة العلاقة فكرة محورية عند البنيويين) واكتشاف الأدوار التي يؤديها كل اتجاه ضمن نسقه أو ما يفيد به أنساقا أخرى ، لأن البلاغة العربية ليست مجموعة من المؤلفات والأسماء والفنون الكلامية لا صلة بينها عيت في الحي انتسابا ،وفي أحيان نجد أعمالا لا نستطيع تصنيفها ضمن الاهتمام البلاغي لغياب الوعي النسقي .

¹ ينظر : paul aron ,denis saint jacques ;alain viala; Le dictionnaire du littéraire ,puf,2eme ed 2012 p:735.

² بارة عبد الغني ، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، 2005 : 96.

³ ينظر :ميجان الرويلي و سعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب 5 2007 : 71.

⁴ ينظر :بارة عبد الغني ،إشكالية تأصيل الحداثة ،ص:98.

لكل هذا يقول محمد العمري: "ولا شك أن للمعالجة البنيوية اللسانية، جدوى كبيرة في استخراج الأنساق وتفسير الفعالية"¹

فعمل العمري على المشاريع البلاغية التراثية تمكن من تصنيفها وتتبع مساراتها أو ما أسماه بخطوط الطول والعرض كانت البنيوية بمفهوم النسق الذي تحمله هي الموجه في تغليبه على الرؤية، بل إننا نجد الرجل أصبح يبحث لا عن النسق كوصف تتسم به التيارات البلاغية العربية، بل في داخل أعمال البلاغيين وما أحاط بهم من دراسات لغوية ودينية، وهنا يصبح للنسق مفهوم خاص ضمن مشروع العمري فيقول: "لقد تقوى مفهوم النسق والبنية في البحث العلمي العربي منذ البداية، عندما غلب القياس على الرواية. القياس الذي يقوم على استقراء الظواهر واستخراج نظامها الخفي الذي يترجمه الاطراد [...] فإلهم النسق أعمال البلاغيين العرب"²

وعمل العمري في قراءة المؤلفات البلاغية كان يحدهم هم نسقي يسعى دائما لاكتشاف النسق المهيمن على المؤلف وهل لديه حقيقة سؤال بلاغي يقوم على أساسه؟ هو السؤال الذي يكشف من خلاله العمري وجود النسق من عدمه وعد النسق هو التراكمية التي لا تجمع بين أوصالها مقاصد محددة، ونحن إذا حاولنا تأصيل الرؤية النسقية فإننا سنجد الرازي في نهاية الإيجاز يعمل على طريقة العمري مع الفارق في العصر والرؤية والآليات، إذ إن فخر الدين الرازي توجه نحو عملي أول استنباط القوانين العقلية التي يقومان عليها، وفي ذلك نجده يصرح قائلا: "ولما وفقني الله تعالى لمطالعة هذين الكتابين التقطت منهما معاقد فوائدها ومقاصد فرائدها وراعت الترتيب مع التهذيب والتحرير مع التقرير [...] وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية"³.

¹ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2 2010 : 11.

² المرجع نفسه، ص: 15.

³ فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: نصر الله أوغلي، دار صادر بيروت لبنان، ط1 2014 : 25.

ويبني الرازي فيما بعد عمله هذا على مقدمة وجملتين وهذا ما يوحى بالنسق العقلي والمنطقي لعمله ، فالقراءة النسقية نجد لها أصولا في التراث لكنها للأسف لم تمارس بطريقة موسعة وناجحة كما هو الحال عند الرازي أو ابن رشد في قراءته للخطابة .

وهناك أثر ودليل آخر على حضور الرؤية النسقية (البنوية) عند العمري، ذلك من خلال استخدامه للخرائط المفاهيمية والمخططات ، باعتبارها لغة واصفة ميسرة ، وضابطة للعلاقات ، وموضحة للأصول والتعالقات ، ويبرع العمري في ذلك ، معطيا لعمله بعدا بيذاغوجيا ، ويجعل الدرس البلاغي في مساراته "خريطة واضحة المسالك موصولة المواقع . وبهذا تتحول كتابة البلاغة العربية من الإنشائية الموضوعاتية والتاريخية إلى النسقي البنائية والتأويلية"¹

لكن العمري لا يريد أن يجعل من الدرس البلاغي العربي أسيرا داخل أنساقه ، إنما يسعى دائما إلى تبيان علاقاته مع بقية الأنساق (الخارجية) ، عبر عملية تأويلية تحاول الكشف عن العلاقات وتبرير الأصول والمنطلقات ، لأن صاحب المشروع يدرك أهمية دراسة المصادر والملابسات التي أنشأت هذا الدرس ، لكن البلاغة العربية تنتمي إلى نسق الثقافة والحضارة العربية ، وهذه الأخيرة ي العمرى إلى إحلالها محلها الطبيعي والتاريخي في سياق الثقافة العالمية من خلال

- ثانيا : التداولية ونظرية الحجاج :

ليس من العسير إيجاد صلة بين التداولية والبلاغة ، فالدراسات التداولية وسعت أجزاء بعينها من خطابة أرسطو معطية وجها جديدا لها ، لا يناقض البلاغة وإنما يثري جوانبها ، وفي ذلك يقول صلاح فضل : "التداولية العلم الذي يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم ، مما يطلق عليه

¹ محمد اليملاحي ، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب ، ضمن : البلاغة والخطاب ، دار الأمان الرباط ، ط1 2014 : 255.

سياق النص ،ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال¹

لكن الدراسات التداولية لم تقف عند هذا الحد ،بل طورت اتجاهاتها خاصة اللسانية ،والتي تصنف اهتماماتها ضمن البلاغة خاصة ما يتعلق بمواضيع التشبيه

2

أما الحجاج أو بلاغة الإقناع ،فهو

نفسه باعتماد الفعل والتأثير عبر الفعل الكلامي ،خاصة الحجاج اللساني عند ديكرود ،فنظريته "تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم ،وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما ،تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية ،ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها :إننا نتكلم عامة بقصد التأثير"³

حسب ديكرود (Ducrot) يقع بشكل طبيعي ضمن أي

خطاب ،ومحمد العمري انطلق في عمله بلاغة الخطاب الإقناعي من طرح مقارب لهذا الطرح خاصة اعتماده على جزئية اللغة والأسلوب ليبين مكان الحجاج ضمنها.

أما نظرية الحجاج كما يعرضها بيرلمان وتيتيكا في كتابيهما : "مصنف في

الحجاج " فنجد له الأثر الواسع عند العمري في كتابه الأول وحتى في دراساته

التالية ،لكن العمري لم يتخذ الحجاج قالباً يطبقه على النصوص ،بل اتخذ مسلك

بين مسالكة لبناء عمل البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،وفي الحوار الذي نسوقه

أكبر شاهد على ذلك وهو من إنجاز محمد الولي وإدريس جبيري :

1 1992 : 21.

2 ينظر :محمد اليملاحي ،أسئلة الفكر البلا

3 أبو بكر العزاوي ، الحجاج في اللغة ،ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ،عالم الكتب الحديث ،الأردن ،ط1 2010 1 :56.

مفهوم وخلفيات

" أفتم كتابكم: البلاغة العربية ،على مفهومين قرائيين عامين هما : البعد البيداغوجي ،والبعد التأويلي ،فهل استطعتم أن تنجزوا بهذين المفهومين قراءة جديدة وشاملة للبلاغة العربية ؟

هناك بعد حجاجي كذلك في الكتاب ،إلى جانب البعد البيداغوجي والتأويلي،كأنني أبرهن على قضايا مشكوك فيها ،أركز أحيانا على التفاصيل (مثل التركيز على مدخل كتاب مفتاح العلوم) مع خطاطة مجسدة تكو
[..]فالجانب الحجاجي مهم في جعل الحوار بناء "1

هنا نلاحظ استخدام العمري واعتماده على استراتيجيات الحجاج ،في بناء مشروعه ،لكننا لو تفحصنا جيدا فكرته لوجدنا أن للعمري مفهوما خاصا للحجاج ،فكما عرفنا من قبل أديكرو عرض مفهوم الحجاج طياتها كفاءات حجاجية ،ويوجد مفهوم ميشال مايير الذي يقدم الحجاج على أنه:"دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"2 ويضيف صولة بأن الضمني هو السؤال والجواب هو ظاهر الكلام ،ونجد أثر هذا المفهوم الحواري حاضرا عند العمري في خوضه في مسائل البلاغة العربية ورغبته في إقناع الطرف الآخر بصحة وجهة نظره ،فالعمري لم يتخذ الحجاج آلية فاحصة عن قدرات البلاغة العربية الإقناعية ،ووفقا ،بل واستثمره في بناء درسه البلاغي ،لكننا نجد الحجاج،باختلاف اتجاهاته ،يفرق أصحابه بين البرهنة الصارمة ،وبين الد على الإحتمال ،خاصة عند بيرلمان3؛حيث نجد الأولى تشيع في المعالجات العلمية والرياضية الصارمة ،أما الثانية فهي القائمة على الاحتمال ،والعمري اختار أن يعالج موضوعا علميا بطريقة احتمالية ،كذلك فإنه استخدم الحجاج بطريقتين :

• خارجية : من خلال معالجته لتاريخ البلاغة العربية واتجاهاتها والدفاع عن التقسيمات التي أقرها .

1 محمد العمري ،أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، أفريقيا الشرق 2013 :258.

2 عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن ،دار الفارابي، بيروت لبنان، ط2 2007 :39.

3 ينظر :الحسين بنو هاشم ،نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان ،دار الكتاب الجديد ،بيروت لبنان ،ط1 2014 :30 31.

● داخلية: من خلال بحثه وتدقيقه في مسألة الإقناع عند الجاحظ، أو ما سماه بـ: المعرفة والإقناع إذ يقول: "يتنازع البيان عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مفهومين أو وظيفتين :

1- البيان معرفة: الوظيفة الفهمية .

2- البيان إقناع، أو الوظيفة الإقناعية .

الوظيفة الثانية هي الوظيفة الصريحة والوظيفة الأولى هي الوظيفة

1".

ونجد العمري بهذا الأمر يزاوج بين مفهومي الحجاج : باعتباره آلية عتباره علما يدرس الإقناع وتقنياته ، لكنه لا يعلن الخلفية الغربية بشكل صارخ يجعل القارئ يضج من حضور الغربي في أحضان التراث العربي ويعكر صفو رؤيته لمجاري واتجاهات بلاغتنا ،إنما تشرب العمري المفاهيم الغربية وحاورها بما يستند إليه من تراث عربي ليستفيد منها دون أن يتعسف في إرغام البلاغة بالاعتراف بما ليس فيها أو أن تقصي جزءا منها لأن الغرب لا يوجد عندهم أو لم يهتموا به .

ويوضح صنيعة في ما قدمه حول الجاحظ قائلا : "الفصل الذي خصصته للبيان في كتاب البلاغة العربية كان موجها لإبراز البعد الحجاجي في البلاغة العربية من جهة ومحاورة مجموعة من الدارسين الذين كانوا يبحثون عن مصطلحات نقد الشعر في البيان والتبيين "2

ونجد عند العمري استخدامه لمصطلح التداول ،ويقصد به غالبا الخطاب النفعي ،والتأثيري الإقناعي ،ومنه نستطيع القول بأن مفهوم ديكرو للحجاج بأنه ورة لغوية تتوفر في الفعل الكلامي قصد التأثير، أخذ طريقه إلى فكر العمري، وجعله يعتمد هذا التقسيم، ويتجاوز به إلى المزاجية بينهما باعتباره ضرورة حاصلة في الخطابات الإنسانية .

¹ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق المغرب ، ط2 2010 : 195.
² محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، أفريقيا الشرق ،المغرب، 2013 : 285.

بل نجد العمري، بعد بحثه في أنواع الحجاج ،وانتماءاته بين الحجاج التداولي اللساني ،والحجاج البلاغي يتبع الرأي القائل بالدرجات الحجاجية التي تحدد مستوى كل نص ومرتبته في الإقناع من أجل ألا تطغى الرؤية الحجاجية لوحدها على الدرس البلاغي¹.

- نظرية :

قامت هذه النظرية في النصف الثاني من القرن العشرين معلنة الاهتمام بالقارئ / المتلقي، هذا الجزء الذي كان حاضرا / غائبا في النظرية النقدية ،فكل نص يوجه لقارئ ،يهتم به ويكتشفه ،فحضوره كان ضروريا في دورة التواصل الرؤية النقدية التي اهتمت بالنص ،أو بالظروف المحيطة ،غيبته عن حساباتها وبرامجها في التعامل مع العمل الأدبي ،ولذلك قامت هذه النظرية لرد الاعتبار ،وقد تمثلت في عديد الاتجاهات ،يقوم عملها على الاهتمام بالقارئ والتلقي² ، من جماعة برلين إلى مدرسة جنيف ،وكذا المدرسة الفرنسية ، إلا أن مدرسة كونستانس الألمانية ،هي التي تمثل الشرعية المدرسية التي تؤسس طريقها على أعمال منتظمة ،وهذا ما يؤكد أحمد بو حسن قائلا : "تعتبر مدرسة كونستنس الألمانية ،بما قامت به من أبحاث ،والفرضيات النظرية التي وضعتها في نظرية الأساس في جمالية التلقي التي ستعيد للقارئ أو لقطب القارئ اعتباره [...] لقد أعطيت أوصاف كثيرة لما قامت به هذه المدرسة ،فقيل مرة إنها ثورة في تاريخ الأدب الحديث ،وأخرى بأنها وضعت نمط استبدال جديد"³

¹ المرجع نفسه ، ص: 42.

² ينظر : Paul aron Kdenis saint jacques alain viala Le dictionnaire du littéraire ;puf France 2eme éd 2010 ,p641.

³ أحمد بو حسن ، نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث ، ضمن :نظرية التلقي اشكالات وتطبيقات ،مطبعة النجاح الجديدة ، 1993 :26.

١ مع اتجاهين

اثنين، يجمعهما هم واحد، مع اختلاف الأسلوب والطريقة، فجمالية التلقي يتقاسمها اتجاهان :

- نظرية التلقي: تهتم "بالكيفية التي تم بها تلقي النص الأدبي في لحظة تاريخية معينة"¹، ومن الضروري أن تنقب عن خلفيات المتلقين وردود أفعالهم .
- نظرية التأثير: تعتمد على المناهج النظرية والنصية، لاكتشاف استجابات القراء الافتراضيين، الذين بنى النص استجاباتهم مسبقا، ولهذا نجد تسمية أخرى لها، وهي الاستجابة الجمالية .

"وأية نظرية عن الاستجابة الجمالية تكمن جذورها في النص؛ أما أية نظرية عن التلقي فتنشأ من أحكام القارئ"²، أما يجمع هذين الاتجاهين تحت سقف واحد مع اختلاف المشارب والطريقة، هو التركيز على عنصر المتلقي، سواء كان ضمنيا أم كان متلقيا حقيقيا .

فجمالية التلقي تستند إلى التأويل والتاريخ عند هانز روبرت ياوس Hans Robert Jauss، وتستهدف المدونات وترصد تعاقب عمليات التلقي وتغير أفق الانتظار، أو نظرية التأثير الجمالي عند فولفغانغ أيزر Wolfgang Iser. تأثرت بالظاهراتية ونظرية القص، فكان عمله على النصوص السردية والكشف عن استراتيجيات بناء المعنى من نص وما يحتوي عليه من سجل وآليات أو من القارئ من خلال البياضات³.

وإذا رجعنا إلى العمل الذي قدمه ياوس، فإنه قد حاور عديد النماذج التي كانت لها كلمة قبل أن يعلن عن نظريته اتجاه تاريخ الأدب، من اتجاه تاريخاني يؤمن بموضوعية بناء اللحظة التاريخية الماضية، وإعادة بنائها وفقا لشروط عصرها،

¹ عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشور 2007: 143.

² فولفجانج إيسر، فعل القراءة نظرية في الاستجابة الجمالية، تر عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، د ت، ص: 4.

³ ينظر: عبد العزيز طليمات، فعل القراءة: بناء المعنى وبناء الذات، ضمن: نظرية التلقي اشكالات وتطبيقات، مطبعة النجاح الجديدة 1993: 149-165..

إلى تاريخ الفكر الذي يرصد جواهر الأدب وامتعالياته، وغيرها من المقاربات التي كان ينظر إليها يابوس، باعتبارها تخلق هوة بين التلقي الجمالي وسيرورته، وبين العمل التاريخي¹، ولا نستطيع الحديث عن جمالية التلقي عند يابوس دون الإشارة إلى الأصول التي يرجع إليها، والدعائم التي بنى عليها نموذجها في التلقي، فالرجل استفاد مما قدمه الشكلاونيون حول اعتبار التاريخ الأدبي تطورا للأشكال الأدبية، وكذلك مفهوم التغريب الذي كان حجر الزاوية في بناء أفق الانتظار، وكان لفكرة تلاقي الآفاق واندماجها أثر واضح على منجز يابوس، وهي الفكرة التي وردت كذ هانس جيورغ غادامير (Hans-Georg Gadamer)، والتي تؤكد على التفاعل بين الفهم الراهن للقارئ/المؤول، وبين فهم النص الذي ينتمي لحقبة سابقة، ولا وجود لفهم ثابت متعالي، يظهر بشكل بديهي ليفرض رأيه كقيمة ثابتة، بل إنه تعامل وفق

2.

ولقد أخذ العمري بما جاء عند يابوس؛ لأن المدونة البلاغية تغطي حقبا تاريخية ممتدة، وتلقي المنجز البلاغي تغير من فترة لأخرى، وأفق الانتظار يتغير

واعتماد العمري على منطلقات يابوس في القراءة والتلقي التاريخي ساعده على بناء تصور لتطور بعض المواضيع البلاغية كمسألة الاختيارات الشعرية، يقول العمري في ذلك: "لا شك أن للمعالجة البنيوية اللسانية، جدوى كبيرة في استخراج الأنساق [...] غير أننا حاولنا أن نستغل بعض مقترحات جمالية التلقي في بعدها التاريخي"³

فمن بين أهم المفاهيم التي اعتمدت هي مسألة أفق الانتظار، وكيف فهم اللاحق السابق في مجال البلاغة، باعتبار أن أفق الانتظار هو: "النظام المرجعي

¹ ينظر: عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص ص: 153 – 159.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 168.

³ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق المغرب، ط2 2010 : 11.

القابل للتحديد الموضوعي الذي يعد بالنسبة لكل أثر في اللحظة التاريخية التي ظهر فيها ،حصيلة ثلاثة عوامل أساسية :

خبرة الجمهور المسبقة بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه الأثر

شكل ومحتوى آثار سابقة يفترض معرفتها في الأثر الجديد

التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية¹

هذه العوامل التي ذكرها تلعب دورها إذا حصل تطابق بين أفق انتظار والنص الإبداعي ،أما إذا نجح النص في تغيير الأفق أو تعديله ،فبإمكانه أن يعتمد جزئياً عليها ،لكن بطريقة سلبية ،وليس بطريقة إيجابية تعتمد التطابق .

هذا الأفق الذي أعاد العمرى بناءه ،في المجال البلاغي ،وكشف عن تلقي مختلف البلاغيين للأعمال الشعرية ،والأعمال البلاغية للسابقين ،والمعاصرين ،مثل قراءة بيان الجاحظ من طرف ابن وهب ،ومن طرف أبي هلال العسكري ،والرؤية المنطقية الصارمة للأول ،والمحاولة التلقيفية للثاني ، وكذلك كشف من خلاله عن استراتيجية قراءة أصحاب الاختيارات الشعرية ،وتلقي النقاد والبلاغيين لاختياراتهم بعد الفصل بين الرواية التي تعتمد على التراكم ،وبين الاختيار المؤسس على معايير ضمنية ،يقول العمرى في ذلك : "ومن المباحث التي بنيت أساساً ،وبشكل جلي في إطار نظرية التلقي دراسة الاختيارات الشعرية . فعملية الاختيار كانت عملية قرآنية نقدية أعقبها عملية تأويلية لاستخراج الصور البلاغية . اختار أبو تمام من الشعر العربي على أسس غير معلنة . غير أن

وتجانسها،لاشتراكها في خصوصية معينة سهل مهمة القارئ الثاني الذي هو :المرزوقي . هكذا رأى المرزوقي من المفيد أن يكشف السر ،سر الاختيار

¹ هانس روبرت يارس ،نحو جمالية للتلقي ،تر محمد مساعدي ،مطبعة الأفق – فاس ،منشورات الكلية العدد الثاني ،ص:59.

سه، فكتب في ذلك مقدمة نقدية بلاغية بسط فيها الحديث عن عمود الشعر الذي هو أساس البلاغة في الوقت نفسه¹

فالمتمأمل في ما اختاره أبوتمام وما علق به المرزوقي يدرك أفق أبي تمام الذي يروم الخصائص الفنية التي تؤهل الشعر ليكون شعرا وليس همه ذكر أو الحفاظ على والوفاء للنموذج الجاهلي القديم ، أو ما عبر عنه المرزوقي²، ونجد اختيار أبي تمام وأفق تلقيه للشعر المبني على أساسه تدخل فيه اعتبارات عقلية وأخلاقية لم تكن داخلة ضمن اهتمام أصحاب الرواية ، والأسس الضمنية التي كشف المرزوقي عن جملة منها ستعاد طرح أسئلتها في الأسرار عند³، في حين نجد اختيار الجاحظ الشعري في البيان والتبيين يقوم على أفق آخر هم الثورة على النمط الأموي القائم على الفخر والتهديد واستبداله بنمط الإقناع والتسليم .

وقد عكف العمري على استكشاف قراءة البلاغيين العرب وتلقيهم لمحاكاة أرسطو ، وعن الأفق الذي تلقوا من خلاله عمليه : الشعر والخطابة ، وكيف فهموا مسألة المحاكاة وركز على تلقي ابن رشد والقرطاجني لمسألة المحاكاة الشعرية التي حولها من الفعل إلى اللغة وجوانب التصوير ، وهذا الأمر يدخل عند يابوس ضمن تغيير الأفق قائلا : "فالنص الجديد يثير في القارئ طائفة من التوقعات [...] هذه التوقعات يمكنها ، مع توالي القراءات أن تتعرض للتغيير أو التصحيح أو التعديل"⁴

وما حدث عند العرب هو التغيير والتعديل للمفاهيم الأرسطية خاصة المفهوم

على مبدأ السؤال كما نجده عند يابوس ، أين يغدو

السؤال أهم من الجواب ، لأن كل عمل يقدم إجابة عن سؤال ما ، والمتلقي سيبحث عن

¹ محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، أفريقيا الشرق المغرب ، ط2 2010 : 12.

² ينظر : المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لـ 1 2003 : 10.

³ ينظر : محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، أفريقيا الشرق المغرب ، ط2 2010 : 84.

⁴ هانس روبرت يارس ، نحو جمالية للتلقي ، تر محمد مساعدي ، مطبعة الأفق – فاس ، منشورات الكلية العدد الثاني ، ص: 61.

هذا السؤال ، والعمري يصرح بأن "تاريخ البلاغة العربية فعلا تاريخ أسئلة :أسئلة مباشرة وضمنية".¹، والعمري أقام حوارا بين أسئلة التراث وأسئلة للكشف عن المحطات الكبرى في تاريخ البلاغة العربية ،وعن الأسئلة التي طرحها درس البلاغي ،داخليا في الحوار بين البلاغيين وبين منجزاتهم ومشاريعهم ، وخارجيا لما قام الفلاسفة المسلمون بقراءة المنجز البلاغي الأرسطي .

ويربط العمري بين تلقي الأعمال البلاغية والنقدية وبين تأويلها وترجمتها، باعتبار الترجمة نوعا من التأويل ،فتلقي الفلاسفة المسلمين لفن الشعر لأرسطو ،كان حدثا يبين تميز الخلفيات المعرفية والأدبية التي صنعت تلقي العرب، وكشفت عن فهم مغاير لما نعهده اليوم حول فكرة المحاكاة الأرسطية ،ب العمري يوجه اهتمامه للتلخيص باعتباره نوعا من أنواع الترجمة التي تعكس فهم صاحبها وتلقيه للنص ،إما بالتطابق والقبول ،وإما بالتعديل والتغيير والرفض ،وتقديم البديل ،وهذا ما حدث مع ابن رشد وحازم القرطاجني ،لما غيرا مركز المحاكاة من الفعل التمثيلي ،إلى الفعل اللغوي الذي يلعب على أوتار اللغة.²

ب/عربية :

يرتكز عمل العمري ،كذلك ،على الجانب العربي ،خاصة منه التراثي ،والذي اتخذه عمودا لمشروعه ؛لأن الرجل أعاد قراءة التراث البلاغي ،في ضوء المعطيات الحديثة ،ولا نستطيع القول بأن العمري قد لخص الأعمال البلاغية التراثية أو شرحها ؛بل كشف عن الغامض ،وبين المختفي ،وأكمل الناقص منها .

والضروري التطرق للخلفيات الغربية التي تمت من خلالها القراءة الجديدة للبلاغة العربية ، واستناد العمري على التراث لم يجعله تراثيا ، بل ساعده الوافد الغربي على فهم الأول ودعمه للخروج ببناء علمي متمثل في مشروعه .

¹ 107.

² ينظر :المرجع نفسه ،ص:307.

1- تراثية :

يصف العمري مرحلة عمله الأولى في البحث النقدي والبلاغي قائلا : "كانت الجسور شبه منعدمة وقتها بين فئتين من الباحثين في الجامعة المغربية ،فئة تشتغل بالتراث ولا تعير اهتمام للمناهج الحديثة ،إن لم تجهر بمعاداتها ،وفئة ترفع شعار اربة تتراوح بين التنكر والإهمال والملاسة

من بعيد [...] في هذا الظرف أحسنا بالحاجة إلى إيجاد منبر للحوار [...] لقد سعينا من خلال هذه التجربة ،التي كانت مدرسة لنا أيضا ، إلى ردم الهوة المفتعلة بين الباحثين [...] في هذا السياق شرعت في إعادة قراءة التراث الب المعطيات المنهجية الحديثة"¹

إذن فاعتماد العمري على التراث لم يكن تعصبا له، أو تقطيعا لأوصاله وتسفيها لأحلام رجالاته ،بل إعادة اعتبار ،ونلمح اهتمام العمري بالتراث في بداية أعمال تحقيقه ؛ إذ حقق المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل للإفراني ، واهتم باتجاه الإفراني البلاغي وإن لم يدمجه في كتابه البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، أما موقف العمري من المادة التراثية فيمكن النظر إليه من زاويتين :

• الزاوية الأولى : وهي زاوية القبول والاعتماد ،ونجد ذلك في تناوله لمشروع

من هذه المؤلفات التراثية يحمل هما نسقيا ومشروعا في طياته .

• الزاوية الثانية : وهي زاوية الاستبعاد والإقصاء : وهذا ما تعرضت له مشاريع بلاغية وأعمال كنهاية الإيجاز للرازي مثلا ،فالسكاكي الذي اهتم به العمري لم يكن ليفهم الجرجاني لولا الرازي الذي أعاد استخراج الأنساق العقلية والقوانين المنضبطة ،كذلك نجد الرجل يقصي صاحب : "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" يحيى بن حمزة العلوي ،مع أنه

1 : www.medelomeri.com ،المقال تحت عنوان :المشروع العلمي بين المأمول والمتاح .

نموذج لمشروع بلاغي يحمل في طياته اهتماما بالنص وإدراجا للخطابة
يهتم بها¹

وعمل العمري في التراث كانت توجه جزءا لا يستهان به رؤية تراثية ؛
لأنه كان في عديد من المواقع يبحث عن ما يوافق رؤية تراثية بعينها ،كبحثه عن
الاتجاه الاقناعي الذي رسخه الجاحظ أو اتجاه البلاغة العامة الذي بشر به
القرطاجني،هذه الرؤية جعلت العمري يمر على غير قليل من الأعمال دون انتباه
للعناصر المكونة لها ولأبعادها ،وهو ههنا يعترف بمروره على أبي حيان التوحيدي
دون اهتمام كبير بما طرحه الرجل ،ثم لما عاد إليه بعد صياغة مشروعه وإنهائه
اكتشف صواب منطق الرجل وجودة رأيه وسبقه بلاغيا كما كان على ال
الفكري ، يقول العمري في ذلك:" بعد صدور كتاب البلاغة العربية أصولها
وامتداداتها ،وبعد مساهمتي ،جهد المستطاع ،في إبراز البعد التداولي للبلاغة العربية
تنظيرا وتطبيقا ،أعدت اكتشاف المحاورة السابعة من ليالي الإمتاع والمؤانسة لأبي
حيان التوحيدي في المفاضلة بين البلاغة والحساب .أقول أعدت اكتشافها لأنني تلقيتها
،لأنني تلقيتها هذه المرة باندهاش ،وقد مررت بها قبل ذلك [...] دون أن تثير انتباهي
[...] اليوم أنظر إلى مرافعة أبي حيان بدهشة من ظفر بقلادة ذهب في كومة تراب
،وأتأسف لأنني لم أقدرها حق قدرها عند بناء الفصل المخصص للبيان والخطابة من
كتاب البلاغة العربية"²

لا نستطيع أن ننكر جهود العمري في جمع المادة البلاغية ،وصعوبة ذلك
الأمر واضحة لكل من دخل ميدان البحث البلاغي ،وهذا ما جعله يهمل المشاريع
التي ذكرناها والتي لم يتح لنا ذكرها ،كذلك كان العمري يتحرك وفق أسئلة تراثية
() تي يحاول طرحها الجرجاني ،أو المرزوقي حول

¹ ينظر: يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تحقيق الشربيني شريدة ،دار الحديث
القاهرة 1 2010 : 256-271 .

ويلاحظ في هذا الجزء الذي نتخذه كمثال عن معالجة تطبيقية عند العلوي في موضوع التشبيه كيف يهتم بالشرح والمناقشة الدائرة
حول النص ،وهذا ما لانجده في عصره .

² محمد العمري ،البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب ،ضمن ا
2014 1 :16.

الصدق والكذب والتخييل والتداول ،ولكن العمري يعمل على تحيين هذه الأسئلة ووضعها في سياقها الذي يجب أن تكون فيه بحسب طبيعتها البلاغية .

-2 :

كانت الخلفية العربية المعاصرة حاضرة في عمل العمري ،خاصة عمله المحوري البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،لأننا نجد عمليين حفزاه على المضي قدما في مشروعه وهما : البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف ،والتفكير البلاغي عند يحاول نقض العمليين السابقين أو أن يكون بديلا عنهما وفي هذا يقول : " وعلى هذا الأساس فإن عملنا لا ينسخ ،بأي معنى من المعاني ،أي عمل سابق عليه . ولا يعتبر نفسه بديلا يغني عن غيره " ¹

لكن موقفه صريح ،فيما يتعلق بالدور الذي يلعبه كل إنجاز ،"فلكل من هذه اللبئات موقعها في البناء ،لكل من الكتب الثلاثة استراتيجية معلنة وفعالة لا يغني عنها الكتاب الآخر " ²،وهنا يقصد العمري لب المشروع الذي يحمله كل عمل بلاغي يساهم في قراءة البلاغة العربية ، فشوقي ضيف تغلب عليه الرؤية التاريخية الشاملة ،وهو عمل كبير ،يتطلب في الفترة التي أنجز فيها شخصية باحثة في مقام شوقي أو محمود شاكر ، أما عمل حمادي صمود ،فتظهر عليه آثار النسق ،إذ اتخذ من الجاحظ معلما ومرجعا يتحدد من قبله ومن بعده من خلاله .

ثم يوضح سبق شوقي ضيف ضمن ما أسماه بمدرسة التمهيد ،والتي تعرف عليها في أول رحلة بحثه في المكتبة البلاغية ،وكذلك سبق حمادي صمود ،ضمن مرحلة الكتابة من منظور حدائي لساني مع أن الأجواء المحيطة بالدراسات العربية الأدبية في تلك الفترة ،وهي النصف الأخير من السبعينيات ،كانت تشيع فيها الدراسات السوسولوجية /السوسيوإنائية ،ولهذا أحرز صمود سبقا استفاد منه العمري ، وفي ذلك يقول : " ففي إطار هذا المد أنجزنا نحن أيضا مجموعة من أعمالنا

¹ محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،أفريقيا الشرق المغرب ، ط2 2010 : 9.
² 285.

السابقة في البعدين التنظيري والتأريخي مستفيدين من عمل حمادي صمود لتكوين
1» .

وقد استفاد العمري من حمادي صمود في مجال الحديث عن روافد الدرس
غي العربي؛ إذ نجد صمود يتكلم عن عوامل النشأة²
والتقعيد اللغوي والمؤثرات الأجنبية يتطرق العمري إليها لكن بطريقة مغايرة لمنهج
صمود الذي اتخذ من الجاحظ حدثاً يؤرخ من خلاله للبلاغة العربية ويتحدد بعمله كل
الدرس البلاغي، مع أن صمود لم يعترف بالـ

فالعمري من خلال العملين السابقين أخذ فكرة عن وضعية الدرس البلاغي العربي
التأصيلي والتأريخي والدرس الذي يعتمد على المفاهيم الحديثة ومنه انطلق في إنشاء
مشروعه وعمله .

¹ المرجع نفسه، ص: 11.

² ينظر: حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط3 2010، 23-57.

الفصل الثاني

محاورة قراءة العمري ومساءلات الرحلة

، والروافد، والشبكة

1-تحقيق نشأة البلاغة وتصحيح وجهة النظر إلى النقد.

-2

:

1. -الوعي وتطبيق المعيار .
2. -البديع وضرورة إعادة القراءة .
3. -الاختيارات .

ثانيا :اكتشاف من الخارج :

1. - .
2. - .
3. - .
4. -بلاغة الآخر وطبيعة القراءة .

3- شبكة البلاغة و تحديد النماذج:

-أسس الاختيار

- :

أولاً: التخيل والتداول :قراءة جديدة للمنجز الـ

ثانيا:بحث في انسجام النص : قراءة سر الفصاحة .

ثالثا :البلاغة بين علم الأدب والعلم الكلي .

دخل العمري غمار التراث البلاغي العربي، عارضا رمحه يشق به عباب الاتجاهات، ويكسر الرؤية المألوفة حول العديد من القضايا، والبلاغة: درسها، وتقسيماتها، وقراءة كتبها التي وقع الاختيار عليها في المؤلف الذي نصب عليه اهتمامنا في الدراسة، وهو: " البلاغة العربية أصولها وامتداداتها".

وقراءة العمري، كانت لها مرتكزاتها وخلفياتها، والتي سبق لنا أن ذكرناها في الفصل السابق، وفي هذا الفصل سنركز على المحاور الكبرى التي مثلت رحلتها عليه الرحلة التي قام بها، عبر ما يزيد عن عشرة قرون، أو ما يربو ذلك، ونرصد الروافد التي خصها بالذكر، باعتبارها روافد للدرس البلاغي، ونتطرق لخصائص رؤيته لشبكة البلاغة، ونسج علاقاتها، واستخدامنا لمصطلح الرحلة والشبكة، ليس غريبا عن تحاول قراءة التراث البلاغي، وهذا صنيع رولان بارت Roland Barthes الذي جعل قراءته للبلاغة الغربية التقليدية، مقسما عبر الرحلة (تاريخ الدرس البلاغي) والشبكة (بناء الدرس البلاغي ومكوناته وترتيبها)¹، والسؤال الذي يجدر بنا طرحه، قبل ولوج جزئيات هذا الفصل، هو: هل كانت قراءة العمري للبلاغة العربية تهدف إلى كشف تاريخ جديد للبلاغة، أم كانت تهدف إلى رسم معالم درس بلاغي، يراعي كل مكونات الخطاب الإنساني عامة؟

يبدو أن العمري، كان يرصد الهدفين معا، لأن الرجل جعل من البحث في تاريخ البلاغة، وتأسيسه من جديد على ضوء المعطيات المعاصرة، بابا لبناء الدرس البلاغي الذي يدعو إليه، وهذا بالفعل ما حاول تحقيقه في البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، مستضيا بنظرية التلقي، والحجاج، ونسق البنيوية، وكاشفا عن المغيب من الدرس البلاغي.

¹ رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر عمر أوكان، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1 2011.

1- تحقيق نشأة البلاغة وتصحيح وجهة النظر إلى النقد:

لقد ألف القارئ لدراسات النقد والبلاغة، أن يجد عناوين يتناولها الدارسون، تارة باعتبارها أعمالا بلاغية، وتارة أخرى باعتبارها نقدية، دون أن يطرح الأمر إشكالا عنده، وما يقال عن بداية النقد مثلا، هو ذاته ما يقال عن بداية البلاغة، وما يـ يف مثال على ذلك، فنجده يسوق مواقف الشعراء،¹ وكذلك ضمن نشأة الدرس النقدي، بل ويجعل النشاط النقدي عند العرب أقرب للبلاغة منه للنقد الخالص، هذا دون الإشارة إلى الفواصل بينهما.²

وقد لاحظ العمري إقصاء الدارسين؛ إما لما هو بلاغي، أو لما هو نقدي ضمن دراساتهم، وكذلك انتزاع الأعمال البلاغية، ومقاطع منها ووضعها بعيدا عن مقاصد مؤلفيها، ومقاصد المؤلفات وميدانها، ولهذا الأمر جعل القسم الأول من عمله للحديث عن أصول البلاغة العربية، وفصل النقدي عنها، مع احترام نقاط التداخل تفرضها طبيعة اشتغالها على المنجز الواحد، ويقول في هذا الصدد: "قد يغري تداخل البلاغي والنقدي في بعض مراحل الدرس الأدبي العربي القديم بإنكار هوية هذا أو ذاك بقليل من التأويل أو بدونه، وهذا طريق سهل، والأصعب منه والأجدر بالتبني هو اعتماد التطور التاريخي الراصد لأوجه التداخل والتخارج في اتجاه تكون العلوم وتحقيق هويتها"³

فالعمري سيتتبع التطور التاريخي، ويحاول رصد البلاغي والنقدي وتحديد معالم العلمين، بما يتوفران عليه من خصائص، ومميزات، وعلاقات، معتمدا على قراءة نسقية، غالبا ما تكون داخلية حيث تتحاور أنساق المشاريع في المجالين النقدي والبلاغي.

¹ ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط13: 11.
² ينظر: شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط6: 31.
³ البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، 2010: 43.

فالملاحظات الأولى حول النص الإبداعي يمكن أن تستثمر ضمن البلاغي والنقدي معا؛ لأن "البلاغة مكون من مكونات النظرية النقدية، وثمره من ثمرات الملاحظة النقدية الأولية"¹

ثم يحدد العمري المعيار الفاصل بين ما هو بلاغي، وما هو نقدي، معتبرا بأن كل ما يتعلق بلغة النص، وبنيته في بعديها الشعري والتداولي، تستقل به البلاغة، والنقد يتعامل مع الأمور السابقة لكنه يركبها مع مواد أخرى تتعلق بالأجناس الأدبية، وسيرورة تلقيا، وقضايا أخرى.²

وهنا يأتي العمري، لتصنيف مجموعة من الأعمال، بين ما هو نقدي، وما هو بلاغي، ويبين ما هو بلاغي له مقاصد نقدية، ضمن المجال الذي ذكرناه ضمن التداخل الذي توجبه طبيعة اشتغال الميدانيين على هذا المنوال :

أعمال نقدية	أعمال بين النقد والبلاغة	أعمال بلاغية
عيار الشد	منهاج البلغاء الاختيارات الشعرية	البديعيات

ويبين بأن التناول النقدي العربي، كان تطبيقا مفتقرا للنظرية التي يمكن أن تقدمها الرؤية البلاغية، وهذا ما حدث مع أصحاب الاختيارات الشعرية، خاصة عمل المرزوقي مع أبي تمام في الحماسة، فعمل أبي تمام كان مؤسسا على معايير تمكن من خلالها من نقد الشعر، واختيار مجموعة منه دون أخرى، والمرزوقي قام

¹ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، 2010، ص: 43.
² ينظر: المرجع نفسه، ص: 43.

بالكشف عن تلك المعايير واستخلصها من اختيار أبي تمام وهذا عمل يبدأ نقديا وينتهي بلاغيا .

أما حازم فقد قدم مفهوم البلاغة الكلي ومحتواه بلاغي لكنه يتجه نحو صياغة نقدية تفسيرية ، معطيا البلاغة النقدية الت¹ . ثم ينتهي العمري إلى خلاصة جامعة قائلا : " فالوعي بالخصوصية هو البلاغة ، وتمييز الجيد من الرديء عن طريق ذلك الوعي هو النقد "²

معتبرا أن الملاحظات النقدية الأولى هي مهد البلاغة العربية ، موضحا طابع التداخل الذي يسم هذا الفصل ، والذي يمكن تجاوزه بعدم تضيق حدود البلاغة واختزالها ، والذي يلاحظ على كلام العمري ، أنه يعتبر كل اهتمام بمكونات النص التخيلية ، والتداولية يقع ضمن البلاغي ، وما يخرج عن هذا من اهتمام بالأجناس والبيئة الاجتماعية ، والملابسات التاريخية ، ينتمي إلى النقد ، فطبيعة تناو هي التي تحدد الانتماء ، وزاوية النظر هي التي تجعل النقدي ينفصل عن البلاغي في المهمة والطبيعة ، لكن التواصل والتقاطع موجود خاصة إذا اعتبرنا البلاغة علما كليا كما حددها حازم وجعلها العمري بلاغة عامة .

ويمكن إرجاع رؤية العمري لما أورده كيبيدي فارغا (Kibedi varga) حول تداخل أنواع الخطابة الثلاث (القضائية ، الإحتفالية والتشاورية) مع الأنواع الأدبية الثلاث (المأساة ، الملهاة والشعر الغنائي) ، مع ملاحظة الاختلافات الموجودة بينهما كاعتماد الأجناس الأدبية في تحديدها على مواصفات داخلية واعتماد واع الخطابية على مواصفات خارجية³ ، لكن هذا لم يمنع من قيام علاقات بينهما تستدعي بلاغة تتكفل بالنقد الأدبي والتنظير البلاغي .

¹ المرجع نفسه ،ص: 45.

² المرجع نفسه ،ص: 46.

³ ينظر : Kibedi Varga , rhétorique et littérature , didier , paris 1970, pp:84,86.

-2

قام العمري بعملية تأصيلية ، لبيان الدعائم التي قام عليها الدرس البلاغي، وجعل منها خمسة روافد ،تستوعب الموضوع ،منها رافد يعتمد على الاستكشاف من الداخل ،وهو الخاص بالنقد التطبيقي ،والاختيارات الشعرية ؛لأن العملية تمت داخل المنجز اللغوي ،واعتمدت على آلياته للكشف عن الخصوصية البلاغية ،وتفسيرها أو بناء الاختيارات عليها ،وجعل من البحث اللغوي و الدينية حول الإعجاز ،والإقناع والتأثر بالبلاغة اليونانية روافد تعتمد على الاستكشاف من الخارج ،باعتبار أنها تطرح أسئلة خارج الاهتمام البلاغي الصرف، إلا أنها بعلاقتها معه أصبحت إحدى روافده التي دعمته وصبت فيه ¹.

- :
1- الوعي وتطبيق المعيار :

ذا كانت البلاغة هي أول مظهر للوعي اللغوي كما لاحظ ذلك بعض الدارسين المحدثين ،فإن جذور البلاغة موجودة مع أو ما أبداه الإنسان من آراء حول جماليات اللغة واستراتيجياتها الخطابية ، ومن هذا المنطلق اعتبر العمري نشأة لتي أبداه العرب عن الشعر ،واختيارهم لشعر معين دون

ويجعل من موضوع غرابة الشعر عن سائر المنجز اللغوي أول محطة ينبغي الوقوف عندها ،خاصة عند الشعراء أنفسهم ،ويولي أهمية للتفسير الميتافيزيقي الذي قدم لتعليل غرابة الشعر وتأثيره وعجيب صنعه ،"إنه وعي أولي بالطبيعة

¹ ينظر :محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،أفريقيا الشرق ،المغرب ،2010 :21.

الإشكالية للشعر التي ستحاول البلاغة فيما بعد ترجمتها بمفهومين يشكلان وجهين لعملة واحدة: الغرابة والانزياح.¹

وكلام العرب عن شياطين الشعراء، خاصة ما نجده عند أبي زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب²، هو تفسير إلهامي غيبي للصناعة الشعرية، وتأثيرها وهنا نجد الأصول الأولى، التي تنبه لها العرب لأثر الشعر على النفوس، ودخول المكون الإقناعي ضمن الشعري التخيلي، ويعطي العمري نظرة مهذبة لهذا النوع من التفسير، قائلا: "من المسلم أن هذا المنحى الإلهامي قد تهذب تدريجيا حتى صار مجرد تعبير مجازي استعاري عن الفعل الخارق للغة الشعرية"³

وبعد هذه المرحلة الأولى الضاربة في القدم، والتي تسير مع المحطات الأولى للتفكير البشري، الذي يميل وقتئذ إلى نوع من الأسطورية، جاءت مرحلة سار فيها التعليل الإلهامي، جنبا إلى جنب مع فكرة "الشعر صناعة وجهد ومعاناة شخصية" والفكرة تبرز خاصة مع مدرسة عبيد الشعر الذين يبقون على أبواب القوافي ينقحون لحول كامل وذلك لإخراج شعرهم على أحسن حال يستطيع الصمود أمام النظرة النقدية الفاحصة.

ثم يبين العمري بأن صناعة الشعر تنبه القدماء لها وصنفوا مراحلها عبر:

أ/مرحلة الهيكلية الأولى .

4. /

فالمرحلة الأولى يكون فيها النص هيكلًا وخطاطات أولية تحتاج إلى كساء وملء للفراغات وتصحيح للأخطاء وهذا ما تقوم به المرحلة الثانية .

¹ المرجع نفسه، ص: 49.

² ينظر: أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، دار صادر بيروت، ط2 2008 :40.

³ البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، 2010 :52.

⁴ المرجع نفسه، ص: 56.

والبحث عن التفسير الغيبي للصناعة الشعرية وتأثيرها ثم العبور إلى فكرة
اعة الشعر والجهود في نظمه هي مرحلة لم تتجاوز الشاعر إلى الرأي الآخر
، فالشاعر وصل إلى مرحلة أصبح يحتكم فيها إلى الناقد الحصيف الذي يمكن له
معرفة الجيد من الرديء ويميز مستوى الإجابة والإساءة في المنجز اللغوي.

وعملية الاحتكام للآخر، هدفها كشف الخلل الواقع في الشعر، ويلاحظ
العمري بأن الخلل كان مرتبطا غالبا بالجانب الصوتي الموسيقي، مما دعا الخليل إلى
كشف النسق الذي تدور عليها لعبة الشعر وكلماته، وهو العروض والقافية .

والعمري، إذ يركز على هذه المرحلة، بالتحليل، والتقسيم، والتفسير
علاقات، يريد من خلال ذلك بيان النشأة الشعرية التخيلية للبلاغة العربية،
بجانب جزئيات تداولية إقناعية مهمة تتمثل في: التقطن للأثر الذي يتركه النص
الشعري على متلقيه، وتداخل الإقناعي والتخييلي في النص الشعري سيؤهل البلاغة
العربية لأن تكون صالحة لإنشاء فكرة البلاغة العلم الكلي أو البلاغة العامة، أين
يتقاطع الحجاج والتخييل ويؤدي كل منهما دوره في بناء النص وتلقيه، على الوجه
الذي رتب له مقاصده الضمنية والمعلنة .

2- البديع، وضرورة إعادة القراءة :

لقد كانت قراءة العمري لمؤلفات البديع، قراءة يشوبها الجمود، أو غياب النسق والمشروع، مع حضور التراكمية دون نظام يحكمها، وانتقل العمري من الفترة الأولى لظهور الوعي البلاغي واهتمام الشاعر بما يبدهه، ثم لجوئه للحكم الذي يفصل بينه وبين غيره، وانتقل مباشرة إلى مسألة البديع، مركزا اهتمامه على صنيع ابن (296 هـ).

مع أن هذا الأمر يلاحظ عليه تجاوز المرحلة الإسلامية، ومرحلة المخضرمين (بين العباسي والأموي) ، وما نتج عنها من مذهب وآراء في الحياة والفن، وسيعود العمري فيما بعد، ضمن روافد الدرس البلاغي الخارجية ليدقق في معالمه ويبدو أن هنالك صلة وجدها العمري بين الملاحظات البلاغية الأولى، وبين مسألة البديع، فالمسألتان تنتميان إلى نسق واحد وهو : عملية الإبداع الشعري، ومقوماتها، ومذاهبها، وكذلك تلقيها واهتمام النقاد بها .

وتأثر الوعي البلاغي والنقدي بما يحدث على مسد

اتجاهاته أمر لا سبيل لإنكاره، فالتنازع الذي كان واقعا بين المحافظين، والمحدثين (اتجاه البديع)¹، عمل على تنمية رؤية بلاغية ترصد القدرات التعبيرية التي تشكل القاعدة والانزياح، وكان هناك اتجاه يثمن الثبات على القاعدة، والسير على معالمها، ولا يحاول مفارقة أسلوبها، واتجاه يجعل الغرابة والمفارقة والجديد معيارا

وما صنعه عبد الله ابن المعتز هو بيان أن ما يتميز به التيار الشعري الجديد من أساليب البديع قد سبقوا إليه، من طرف الجاهليين والقرآن والحديث، ويقول في ذلك :

¹ ينظر : محمد نجيب البهبيتي، أبو تمام الطائي حياته وحياته شعره، دار الفكر، بيروت لبنان، الفصل الرابع، ص ص : 172-200.

وأحاديث	هذا	"
المتقدمين	وغيرهم	عليه
تقليلهم	البديع ليعلم	
زمانهم	أشعارهم	سبيلهم يسبقوا هذا ولكنه
بعدهم	حبيب	بهذا عنه عليه
	منه	به عليه
هذا	يقول	
يوجد فيها	أحدهم	البيت والبيتين القصيدة
" ¹	يزداد	بيت بديع يُستحسنُ منهم

فمثلما نلاحظ، كان ابن المعتز كغيره من نقاد وبلاغيي عصره، على وعي باتجاهات الشعر وتمكن، من رصد العناصر البارزة، والتي تميز اتجاهها عن غيره، فالبديع كان موجودا في الشعر العربي والقرآن الكريم لكن لم يستكثر منه ولما جاء المحدثون غلب على شعرهم فعرفوا به، وهذا ما أراد الرجل إبرازه لألا يقال: عرف بهم .

وتصنيف ابن المعتز للبديع بين البديع (استعارة، تجنيس والمطابقة ...) ومحاسن الكلام (الالتفات، التعريض والكناية ...) يدخل الدرس البلاغي إلى بداية التصنيف في البديع كوجهة بلاغية تروم رصد الأوجه الجمالية للعبارة اللغوية وطرق آدائها ومقاصدها، لكننا نجد عند ابن المعتز مرتبطة بالحركة الشعرية واتجاهاتها، وهذا ما يعطيها صيغة المشروع، والتواصل مع حركة الإبداع الشعري ومعالجة المسائل النقدية المطروحة خاصة النزاع بين القديم والجديد .

ويرصد العمري تاريخ الدرس البديعي، باعتباره من الروافد التي دعمت البلاغة العربية، ولا حظ أنه مر بمراحل ثلاث :

- المرحلة الأولى : تأليف بديعي تولد عن الخصومات وعالج إشكالاتها.

¹ عبد الله بن المعتز، البديع، تح سميح شمس، دار صادر، بيروت لبنان، ط1 2013 :17.

- المرحلة الثانية: تحرير أبواب البديع واستخراجها والفصل بين مكوناتها .
- المرحلة الثالثة: نظمها وشرحها، أو تحنيطها.¹

وجعل العمري لكل مرحلة علما، أخذه نموذجا يمثلها، فالمرحلة الأولى مثلها ابن المعتز، والمرحلة الثانية مثلها ابن أبي الإصبع المصري (ت654هـ) والذي جعل همه في جمع المادة البديعية وتصحيح حدودها واهتم بالتحليل وربط العلاقات بين صور البديع²، ويضع السجلماسي(ت ق 8هـ) صاحب المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع³ ضمن هذه المرحلة، فبالنسبة للعمري لا يعدو السجلماسي مصنفا، أعاد تنظيم المادة البديعية، وهذا الرأي لا يوافق عليه من ينقب ويقرأ الكتاب قراءة تربطه بالسياق الفلسفي لعصره، والمعارف ا

السجلماسي من آراء حول أساليب البديع واختياراته في تعريف هذه الأساليب ثم التقسيمات التي حقق بها الفروق بين أدق طرق التعبير، أما تطبيقه وتحليله للنصوص من القرآن والشعر فيشهد على رغبة الرجل في استنتاج النصوص بما تحتوية من مؤهلات تعبيرية، ولنا في نوع الالتفاف ضمن نوع الإرصاد الداخل تحت الجنس الخامس وهو الرصف مثال على تحليل النص القرآني وتتبع النوع البديعي وفهم النص من خلال تحليل جزئياته⁴، هذا ناهيك عن الخلفيات التي يحملها المنزع من تأثر بفكرة التخييل والمحاكاة عند أرسطو، صحيح أن الرجل كان يهدف إلى جعل الدرس البديعي (باعتباره اتجاها بلاغيا) يتحكم فيه نظام ونسق عقلي ضابط لجزئياته، فاعتمد على مادة سابقه لكن هذا لاينفي وجود مشروع ومقصد بلاغي أكبر من هذا يرمي إليه .

ويقول العمري عن عمل السجلماسي: "ولهذا كانت عملية التجنيس نفسها دون روح؛ لم تختلف كثيرا عن عملية النظم والتحنيط"⁵

¹ ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2 2010 :62-65.
² ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة مصر، 2012.
³ أبو محمد السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط المغرب، ط1 1980.
⁴ المرجع نفسه، ص: 350-352.
⁵ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 64.

ومن يقارن بين عمل صفي الدين الحلي (ت750هـ) وبين عمل السجلماسي سيلاحظ الهوة بينهما لا محالة .

ثم ينتقل العمري إلى المرحلة الثالثة؛ أين نجد عمليات نظم البديع وشرحه وهنا تغلب على الرؤية البلاغية النظرة التثبينية التي تريد الحفاظ على فنون البديع دون زيادة، بل وتم الفصل بين البديع وبين الحركة الشعرية التي أنشأته، وغداً الدرس البلاغي البديعي مجرد صور متناثرة لا يجمع شملها ضابط نسقي أو نظام يرجعها إلى مبادئ كلية، ويصلها بالنص الإبداعي .

والدرس البديعي البلاغي الذي لم ينل العناية الكافية في مشروع العمري فيما نراه ، يشكل نواة لا يستهان بها في الدرس الإعجازي ،وسيعود العمري إلى الدرس الإعجازي ومباحث القرآن الكريم دون ذكر الصلة بينهما ،فالذي يقرأ صنيع السجلماسي قراءة تأصيلية سيرجعه إلى ما أنجزه الرماني في رسالته "النكت"¹، خاصة ما يتعلق بالأجناس الكبرى ،والاهتمام بالصور باعتبارها لب العمل الأدبي ومظهر الجمالية وكذلك تعتبر عاملاً مسانداً لتحقيق الأثر الإقناعي يدخل ضمن الاهتمامات المعاصرة للبلاغة العامة عند جماعة مو Groupe MU ،فالتيار البلاغي الجديد للجماعة يعتمد على تصنيف الأوجه البلاغية " les figures" ، واستثمارها في الكشف عن استراتيجيات النص الخطابية والشعرية التخيلية "فالبلاغة معرفة الطرق والأساليب اللغوية المميزة للأدب"².

واستثمار هذا الجانب في قراءة النصوص الإبداعية ،وتأسيس جانب من البلاغة ،يهتم بالأساليب التي تتيحها اللغة لصناعة الأثر الجمالي يعزز موقع بقية الاتجاهات ،التي تبحث في الحجاج والسرد والشعرية .

¹ علي بن عبد

دار المعرف ،القاهرة مصر ،ط6 2012.

² Groupe MU ,rhétorique générale ,éd le seuil,paris ,1982,p:25.

3- الاختيارات وبلاغة الرصد:

يتعرض العمري للاختيارات الشعرية، ضمن الرافد الأول للدرس البلاغي العربي وهو "النقد التطبيقي"، متخذا من الحماسة لأبي تمام نموذجا يعكس المعايير المعتمدة في تلقي النص الشعري واختياره، والمقاربة التي قدمها العمري د على رؤية توجهها نظرية التلقي كما يعرضها هانز روبرت ياوس Hans robert jauss، ويقوم العمري في البداية بتصنيف أنواع القراء أو المتلقين، ويقسمهم :

1. " القارئ العادي المستهلك (المتلقي الأول) ()

2. ()

3. والقارئ المبدع الذي يتفاعل مع العمل الأدبي فينتج بدوره، معارضا للمقروء

" 1 .

فالناقد جزء من عملية التلقي، ونجد في التراث العربي نماذج من التأليف تعتمد طريقة الاختيار والرواية للشعر وتضعه بين أيدي القراء، وهؤلاء الذين يقومون بعملية الاختيار يؤسسون عملهم على معايير، فهم نقاد تطبيقيون، وينطبق عليهم اسم النقد بمفهومه القديم باعتباره تمييز الصحيح من المزيف بين الدنانير .

ينطلق العمري في هذه الجزئية من مشروعه من الفصل بين الرواية والاختيار، باعتبار أن الرواية تسعى للحفاظ على التراث وتوثيقه وجعله مركزا، أما الاختيار فيجعل القيم الفنية التي تكتشفها الذات المتخيرة همه المركزي، ولا يهتم المتخير بكمال النصوص أو نسبتها بل ما يهمه هو قيمتها الفنية والمضمونية التي أهلتها لتجذب انتباهه وتتفاعل مع ذوقه وذوق معاصريه ممن ينتمون إلى تياره .²

¹ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2 2010 : 68.

² ينظر : المرجع نفسه، ص ص : 71 73 .

والحماسة لأبي تمام تمثل هذا النوع من التأليف ،فعمله ينتمي لحركة تجديدية ،تعتمد على مفهوم التفاعل بين الأخلاقي ،والفني ،والفكري ،واعتمادا على هذه الجزئيات الثلاث ،أمكن العمري تصنيف توجهات تاريخ الاختيار الشعري القديم :¹

الاهتمام الموضوع في	المزاوجة بين الموضوع	الاهتمام بالصورة في
- () : -ابن داود في:(الزهرة) ومؤلفات كثيرة في حلبة الكميت ومراتع	- () : في حين تميل الوحشيات نحو الاهتمام أكثر .	- () : -التمائيل () : -التشبيهات () : -الخالديان في : الأشباه .

(421هـ) المقومات التي بنى أبو تمام عليها اختياره ،ليخرج بعمود الشعر أو المقومات الأسلوبية والتداولية للخطاب الشعري كما استنبطها المرزوقي من تلقي أبي تمام للنص الشعري القديم ،فيقول : "إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ،وجزالة اللفظ واستقامته ،والإصابة في الوصف – ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال ،وشوارد الأبيات – في التشبيه ،والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ،ومناسبة المستعار منه للمستعار له ،ومشاكله اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية منافرة بينهما ،فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ،ولكل باب منها معيار"²

¹ محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص :76.

² أبو علي المرزوقي ،شرح ديوان الحماسة ،تح غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 2003 :10.

فمعايير عمود الشعر ومقوماته ذات هم بلاغي يبحث في ما يجب توفره عند المتلقي/الناقد، وعند المبدع، فالأول ليختار الأجود بذوقه، والثاني ليقول الشعر المستجاد بشهوته¹.

البلاغة التي أراد المرزوقي تحقيق جزء منها، تهتم بشروط الاختيار ومقوماته وتعمل على كشف هذه المقومات التي تتوفر عند المتلقي، والرجل يفتح بابا على مسألة التلقي الشعري، والرؤية التي يمكن للمتلقي تقديمها بعد قراءة النص وتذوقه، فيأتي الناقد للبحث عن المعايير الضمنية التي توفرت لاختيار عناصر بعينها والتركيز عليها دون غيرها.

وهذا ما نجده عند لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) في: "السحر"²؛ عندما بنى اختياراته الشعرية على معياري: التفوق في الصناعة الشعرية والتخييل، ومعيار الجري على النمط المعتاد والسائد، و"هب أن متذوقا - مرهف - أراد أن يختار لابنه أو لبعض الناس عددا من القصائد، فما هي المعايير التي يعتمد عليها في الاختيار؟"³

لقد كان اعتماد لسان الدين على هذين المعيارين، بمثابة إجابة عن السؤال سالف الذكر، وقد خص المعيار الأول باسم السد "التخييل والتشبيه، وأحل الاستعارة بالمحل النبیه [...] وأعرق في باب الشعر أتم"⁴

وحاول لسان الدين جهده تطبيق هذا المعيار في اختياراته عبر أغراض المدح والنسيب والوصف والحكم، وهنا نلتمس الأسس التي يبني عليها أصحاب اختيارات الشعرية، فلسان الدين اعتبر صور البلاغة وإغراقها في الشعرية معيارا

1 ينظر: إحسان عباس، تاريخ ا

2 لسان الدين بن الخطيب، السحر والشعر، تح كونتننته فيرير، بدايات للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1 2006 .

3 احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 640.

4 لسان الدين بن الخطيب، : 12.

:

نقديا نابعا من النص الشعري تحت رقابة بلاغية تؤدي خدمة للفحص النقدي وتساعد على إعطاء القيمة .

- ثانيا : :

عمل العمري على اكتشاف روافد الدرس البلاغي ،خارج الاهتمام بالنص الابداعي ،في مجالات ليست مقطوعة الصلة به ،بل تتلاحم مباحثها لتشارك في صناعة إمبراطورية البلاغة التي تستكشف النص وتنظر له ،فكان اهتمام العمري بالبحث اللغوي، والدرس الإعجازي ،ونظرية اليونانية .

-1 :

لقد كانت عملية جمع اللغة ،وتقنين قواعدها تتخذ طريقها الجاد ،خوفا من ضياع صحة اللسان العربي ،وتنامي ظاهرة اللحن ،جراء التمازج بين الشعوب المختلفة ،بعد الفتوحات الإسلامية ، خاصة "وأ هذا الاختلاط أثر أيما تأثير في العربية التي صارت في أفواه الأجيال الحضرية الجديدة على غير ما كانت عليه قبل هذا العصر"¹

وقد قام بأعباء هذه المهمة رجال ؛منهم من عمل على جمع المادة اللغوية (216هـ)وأبي عمرو بن العلاء (ت154هـ) ،ومنهم من اهتم بالبحث عن القوانين التي تحكم نظام الكلام العربي مفرداته (الجانب الصرفي)وتراكيبه(الجانب النحوي)،وكان العملان يدوران حول محور القياس أو إيجاد القوانين المطردة التي تحكم اللغة بمستوياتها ،وقد لاحظ العمري وجود صراع بين ما اعتبره النحويون مركزا وبين ما اعتبروه هامشا²؛أي بين النص الشائع الذي يقاس عليه ،وبين الحالات الخارجة عنه والتي تعامل معها اللغويون والنحاة باعتبار

¹ عبد الرحمن حاج صالح ،السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ،مؤلف للنشر ،الجزائر ،2007 ، 25.
² ينظر :محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص: 90 93.

جزء منها تحت مفهوم المجاز باعتباره "طرق الكلام ومآخذه"¹، وتحت مفهوم الضرورة الشعرية أو التوسع، ويبدو أن للعمري موقفا من مسألة الوحدة التي مارسنها الخلافة الإسلامية خاصة في العصرين الأموي والعباسي الأول²، مما جعله يعتبر القواعد المستنبطة معيارا جديدا، والدلائل التاريخية/اللغوية، والدراسات التقنيية تشهد بأن اللغة تم تقنينها بالاعتماد على الشائع وعلى مبدأ الوحدة التي يلحق بها كل ما عداها تحت تسمية الشاذ، وهذا أمر طبيعي في كل عمل استقرائي يعتمد

3.

ويتكلم العمري عن استفادة الدرس البلاغي مما اعتبره اللغويون والنحاة استثناء عن القاعدة (المجاز والضرورة) قائلا: "قد يبدو غريبا أن تتولد البلاغة، أو مكون من مكوناتها، في مهد النحو وهو نقيضها، أي المعيار الذي تنزاح عنه. ولكن الذي وقع تاريخيا هو أن الظواهر البلاغية وقفت، في وقت مبكر، في وجه الصرامة العلمية التي نعت بها القياس النحوي واطراد القواعد، فأوقفت ذلك القياس الصارم عند حدوده، تحمّل في يدها اليمنى نص القرآن الكريم وفي يدها اليسرى ديوان الشعر العربي، تعطل بهما وصول القياس إلى نهايته"⁴.

والفكرة القائلة بأن النحو هو المعيار، واتباع قوانينه في اللغة العلمية أو الاستخدام العادي يشكل المرجع الذي تنزاح عنه اللغة الشعرية نجدها عند كوهن (Jean Cohen) الذي يجعل من الخضوع للنحو، اتباعا لمعيار اللغة وابتعادا عن درجات الشعرية خاصة إذا كان للنحو علاقة وطيدة بالجانب المعنوي.⁵

ويلج العمري الجزء الأول، مما اعتبر خروجا عن القاعدة والقياس واستفاد منه الدرس البلاغي، وهو ما يخص مجاز القرآن، والناظر في المجاز الذي خصه العمري بالدراسة يجده بعيدا عن المفهوم الكلامي، والذي طور مع المعتزلة

¹ عبد الله ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تخ سعد بن نجدت عمر، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق سوريا، ط1 2011 :49.

² ينظر: محمد العمري، المرجع نفسه، ص:89.

³ ينظر: عبد الرحمن حاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص: 251-333.

⁴ محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق - 2013 :113.

⁵ ينظر: جون كوين، بناء لغة الشعر، تر أحمد درويش، دار المعارف، القاهرة مصر، ط3 1993 :132-133.

والأشاعرة ورأيناه ماثلا في اتجاهات البلاغة المختلفة، إذ "يمثل مجاز القرآن عملية الغرابة المنهجية الأولى التي ستسمح باستخراج مجموعة من المقولات البلاغية بقدر ما نستخرج متنا من الأمثلة التي ستكون لاحقا موضوعا للتأمل البلاغي ثم التسمية والتعريف"¹

فأبو عبيدة (ت210هـ) جعل من كلمة مجاز مرادفا للتفسير، والمعنى، والتأويل، والغريب...²، ويجتمع معناها على الطرق والأساليب اللغوية الممكنة التي اتخذها القرآن الكريم للتعبير عن مقاصده؛ من تقديم، وتأخير، وحذف، واختصار، وغيرها من الطرق التعبيرية، والعمري قام بعملية حصر لأشكال المجاز عند أبي عبيدة، فوجدها تتركز في أشكال خمس، يقول في ذلك: "بعد عملية استقصاء للأمثلة الدالة (بغض النظر عن الشروح المعجمية عن طريق المرادف أو التفسير) بدا لنا أن إشكالات المجاز عند أبي عبيدة تندرج في الخانات التالية:

- 1-تداخل الضمائر وتبادلها المواقع .
- 2-اختلاف أوجه الإعراب .
- 3-استعمال اللفظ في غير موقعه المتوقع ومخالفة ظاهر القول .
- 4-الزيادة والنقصان في تركيب الكلام .
- 5- "3

ولا يكتفي العمري بعملية الرصد والتصنيف، بل يوجه عنايته لانتقاء الأمثلة الدالة على النقاط التي اكتشفها، بل يتجه همه نحو تصنيف مجاز أبي عبيدة بين: مجازات ذات صلة بالتطور التاريخي للغة، أو مشكلات عولجت بتوحيد المصحف، وبين مجازات نصية، تفسح المجال واسعا للتأويل، هذا القسم الأخير يتوزع عبر مستويين:

¹ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:94.
² ينظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن، تح محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1: 21: 2: 157.
³ محمد العمري، المرجع نفسه، ص:97.

- مستوى البحث في دلالات التقديم والتأخير، الحذف والتكرار... وهو ما سيه به السكاكي ضمن علم المعاني .
- مستوى نقل الدلالة وتجاوزها لظاهر العبارة اللغوية، وهذا ما سيتم معالجته عند السكاكي تحت مسمى علم البيان¹.

ولم يكن المجاز هو المصطلح الوحيد الذي استخدمه اللغويون، فيما خرج عن قياس العربية، واطراد قوانينها، بل نجد الضرورة الشعرية حاضرة ضمن اهتماماتهم، وكانت الإشكالية المطروحة هي بين اعتبار الضرورة مزية، وبين اعتبارها عيباً، وما يشكل منعطفاً في مسيرة دراسة الضرورة الشعرية هو التقاؤها مع المجاز، والصلة القائمة بينهما تجمعها فكرة القاعدة النحوية باعتبارها الحقيقة التي يعتمدها البلاغيون معياراً لانزياح القول الشعري².

"من هذا الحوار حول القاعدة النحوية والضرورة الشعرية والحقيقة الدينية والمجاز تغذت المباحث البلاغية فتحولت من مجرد ذكر صور الاستعارة والتشبيه وغيرهما ضمن صور البديع ومحاسن الكلام إلى مجال النقاش الدقيق في بنية المجاز ووظيفته كما نجد عند الجرجاني مع تحديد وتدقيق للمفاهيم"³.

ويبدو أن صراع الضرورة والقاعدة النحوية عند النحاة هو ذاته صراع المجاز والحقيقة عند علماء الشرع، وهو صراع يمثل إشكالية المركز والهامش أو القاعدة والاستثناء، وهذا ما سيقود للصراع حول قضية المجاز عند المعتزلة والظاهرية.

والعمري في قراءته هذه لأصل من أصول الدرس البلاغي، يقيم آراءه على الموروث البلاغي الشكلاكي الذي يعتبر الخروج عن القاعدة النحوية هو لب الشعرية، فالشعر يكسر الرتابة التي يحياها العالم واللغة باعتبارها مجالاً له⁴ هل نجد في شعرنا العربي كسر رتابة اللغة هو نفسه كسر رتابة القاعدة اللغوية؟

¹ ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 107.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 129.

³ المرجع نفسه، ص: 129.

⁴ ينظر: فكتور إيرليخ، الشكلاكية الروسية، تر: محمد الولي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 2000 : 19.

لا نستطيع الجزم مطلقاً بهذا الأمر، لأننا غالباً ما نجد القاعدة النحوية تفرض هيمنتها، مع وجود جانب التغريب، والانزياح الذي يحصل برعاية القاعدة النحوية، كما أثبت ذلك الجرجاني في الدلائل، وهنا يتوجب علينا ألا نغلب المفاهيم الغربية على نصوصنا العربية لأن الغربيين ينطلقون من لغاتهم لصناعة نظرياتهم، فلا يستقيم الأمر إذا حاولنا تطبيقها دون مراعاة لتاريخ لغتنا والتراث الذي تحمله.

-2 :

كان نزول القرآن الكريم أهم حدث شهدته اللغة العربية في تاريخها، وقد استرعى اهتمام المؤمنين بالدعوة الإسلامية، والمنكرين لها، فكان طرازاً فريداً من نوعه؛ في التشريع، والإخبار عن الغيوب، والترغيب والترهيب، وكانت بلاغته وطريقة نظمه تدخل سامعه في حيرة من أمره، بين الشعر والسحر، وما هو إلا قرآن مبين، واهتم المسلمون به وعملوا على تفهمه، والاقتراب من معانيه ومقاصده، ثم جاءت الفترة التي دخلت فيها العناصر الأجنبية إلى الخلافة الإسلامية، من نصارى ويهود وصابئة... مع ما حملوه من فلسفة ومباحثات لاهوتية، فطرحت إعجاز القرآن الكريم، وطريقة إثبات النبوة، وتصارعت الفرق الإسلامية حول قضية¹، "وستستفيد البلاغة العربية من لك فائدة كبرى وستكون بيئة المعتزلة خاصة والمتكلمين عامة إحدى البيئات الرئيسية التي ينشأ في ظلها التفكير البلاغي ويترعرع."²

ونجد العمري ينصب اهتمامه على الجانب التطبيقي من هـ الكلامية، و"يتلخص الجانب التطبيقي من الكلام حول القرآن الكريم في الالتزامين التاليين :

• الدفاع عن النص القرآني ودفع الشبهات عنه (التنزيه).

¹ ينظر: حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط3 2010 :35 وما يليها .
² حمادي صمود، المرجع نفسه، ص:35.

• بيان وجه الإعجاز (المزية) ¹.

بالدفاع عن القرآن الكريم ومواجهة المشككين في الوحي، وهنا نجد ابن قتيبة(ت) من سيمثل هذا الاتجاه، أما الجانب الثاني فيمثل الصراع بين الفرق الإسلامية وتوجهاتهم في تبرير وجه المزية ووجه إعجاز القرآن الكريم .

ويتحدث العمري عن الاتجاه الذي ينتمي إليه ابن قتيبة، باعتباره يهدف إلى الرد على طعون المشككين وبيان انسجام النص القرآني وحسن اتساقه، ويلاحظ بأن هذا التيار لم يجد امتدادا في البلاغة العربية، وهو بذلك يمهد للقارئ إقصاء هذا التيار من الجزء الثاني في مشروعه، مع أننا نجد ممثلين له بعد ابن قتيبة؛ كالخطيب (431هـ) في كتابه: "درة التنزيل وغرة التأويل"²، الذي خصصه لمعرفة أسرار استخدام المفردات وحروف المعاني ضمن المتشابه، ويقدم تعليقات ترتبط بانسجام النص القرآني وتوفر المقصدية الدقيقة في بيانه، وجمال الدين السيوطي (911) خاصة في مؤلفه الذي أسماه: "أسرار ترتيب القرآن"³، الذي بحث فيه عن الانسجام الحاصل بين السور القرآنية في تتابعها كما هي موجودة في المصحف الشريف، ومما لا شك فيه أن هذا العمل نابع عن إشكال طرح قبل السيوطي، وهو هل يوجد انسجام بين مقاصد السور القرآنية لتكون على هذا الترتيب؟

ويمكننا أن نصنف قراءة العمري لصنيع ابن قتيبة إلى محورين :

- محور القضايا المرافقة للإعجاز القرآني ذي الاهتمام البلاغي : وهنا يخص العمري الأسئلة الكلامية التي يرد عليها ابن قتيبة، وكذلك ما ادعي في القرآن الكريم والتناقض والتشابه ⁴.
- ر القضايا البلاغية : وأهم سؤال عالجه ابن قتيبة هو المجاز، الذي يخصه بالتعريف التالي: "طرق الكلام وماأخذه"¹، ويرد على من ادعى بأن

¹ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:141.

² الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2 2012 .

³ جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، تح عبد القادر عطا و مرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة، 2002.

⁴ ينظر: عبد الله بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح سعد بن نجدت عمر، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق سوريا، ط1 2011 .59: 101.

المجاز كذب ،ويحاول ابن قتيبة أن يتوسط في تعامله مع المجاز ،فالظاهرة موجودة لكن استعمالها ليس دليلا على الكذب ،ومن هذا الموقف سيدي سيأتي بعده الوصول إلى نتيجة في مسألة المجاز (خاصة فيما يتعلق بالذات الإلهية) مفادها أن ما وقع هذا الموقع من المجازات إنما هي : "تعبيرات مجازية عن حقائق إلهية"²

أما الجزء الثاني فيخصصه العمري لبيان وجه الإعجاز ، وهنا نجد أعلام بع الهجري في دراسات الإعجاز القرآني ؛ أمثال الباقلائي (ت403هـ) (386هـ) والخطابي (ت388هـ) ،ولكل طريقته وخطته في بيان وجه إعجاز القرآن الكريم، بين القول بالصرفة ،أو الإخبار عما كان وما سيكون ،أو من جهة بلاغته³ ، لكنهم يجتمعون حول مسألة إمكانية إثبات النص ذاته ،وقد كان للأسئلة الكلامية نصيب في توجيه الدرس البلاغي من خلال هذا الأصل ، ولم تمر عليه بردا وسلاما "بل لقد ثارت أسئلة اعتقادية لتحديد ما هو كلام الله الذي ينبغي أن نرصد فيه الإعجاز :هل هو كلام الله القديم ،أم كلام الله لوق في حروف منظومة ؟ وسيكون هذا الاعتبار موجها لنموذجين بلاغيين كبيرين"⁴

ويظهر هذان الاتجاهان من خلال :ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) مع التيار الأول،و الجرجاني مع التيار الثاني .لكننا إذا رجعنا إلى الخطابي وجدناه ينتمي كذلك لتيار ابن قتيبة لأنه سيرد على الطاعنين في القرآن الكريم ،وليس أدل على ذلك من قوله حول ما ادعاه خصوم القرآن : "وأما ما عابوه من التكرار"⁵،وهذا يجعلنا نقول بأن التيارين كانا على تماس وتفاعل دائمين والفصل بينهما بحثيا لا يعني انفصالهما على أرض الواقع تاريخيا .

¹ عبد الله ابن قتيبة ،تأويل مشكل القرآن ، ، ص:49.
² نصر حامد أبو زيد ،إشكاليات القراءة وآليات التأويل ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء -
³ ينظر :أبو سليمان الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ،ضمن ثنا
دار المعارف ،القاهرة - 6 : 22 24 .
⁴ محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص:163.
⁵ الخطابي ،بيان إعجاز القرآن ،ص:52.

:

ثم يتكلم العمري عن المراحل التي مر بها الدرس الإعجازي ،من محاولة رصد المزية ووجه الإعجاز إلى تنظيم الأوجه البلاغية التي تمكن الباحث من معرفة الإعجاز ومواضعه ، وذلك يتم¹ حين قام بجمع أقسام البلاغة ودلل عليها ،متخذاً إياها معياراً لبلاغة القرآن الكريم وإعجازه .

ليصل العمري في دراسته لهذا الأصل إلى أن مباحث البلاغة العربية استفادت من السؤال الاعجازي الذي كان بإمكان البلاغيين أن يستثمروا جزءاً منه في تطوير البلاغة النصية (مع وجود نماذج تمثلها ،لكنها ليست شائعة) ، عوضاً عن الغرق في اقتطاع النصوص من نسقها العام واتخاذها شواهد لقواعد مقررة مسبقاً .

3-

ينطلق العمري في دراسة أصل آخر من أصول البلاغة العربية ،وهو البيان بين المعرفة والإقناع ،مركزاً على الجاحظ (ت255هـ) ،خاصة مؤلفه البيان والتبيين² باعتباره خلاصة آرائه حول موضوع البيان والإقناع ،لكن العمري يطرح تساؤلات مهمة ،حول إذا كان من جاؤوا بعد العمري قد فهموا البيان والتبيين وواصلوا مشروعه ؟ وكيف كان تلقيهم لهذا

ويوضح بأن مادة الكتاب "لا تخرج عن ثلاثة محاور :

1-وظيفة البيان وقيمه.

2-العملية البيانية وأدواتها.

3-البيان العربي."³

ويبدو أن العلاقة بين المعرفة والبيان والإقناع نجدها عند الجاحظ نفسه،ولكن ليس في البيان والتبيين ،وإنما في الحيوان ؛ عندما يربط بين وجود العالم

¹ ينظر :علي بن عيسى الرماني ،النكت في إعجاز القرآن ، سلام ،دار المعارف ،القاهرة - 6.

² الجاحظ ،البيان والتبيين ،تح عبد السلام هارون ،مكتبة ابن سينا ،القاهرة ،ط1 2010.

³ محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص:193.

والحكمة منه وأن كل مخلوق خلق لحكمة ويختلف نوعان منه في الوعي بهذه الحكمة التي وضعها الله عز وجل ، وهذا ما يصنع الفرق بين الحيوان والإنسان ، فكلاهما دليل على هذه الحكمة إلا أن الحيوان دليل غير مستدل والإنسان دليل مستدل، ويمكن من الاستدلال بالبيان وسبله من: لفظ وخط عقد وإشارة¹.

لكن تركيز العمري على البيان والتبيين ، لم يقص قضية الاستدلال، باعتبارها عملاً سيميائياً ، يلح الجاحظ على حضوره في عملية البيان ، وهذا ما نراه حاضراً في حديث العمري عن بيان الجاحظ ، وإذا أردنا التوسع مقاصد هذا الأخير سنصل إلى امتداد مهم في بلاغتنا العربية ، وهو الامتداد السيميائي الذي يوسع دائرة العمل البلاغي إلى خارج نطاق اللغة ، وهذا ما نجده في الدراسات التي تمتح مما هو تداولي وسيميائي .

ويقتصر العمري من خلال المخطط الذي وضعه لبيان الج² وظيفية البيان (الفهم والإفهام) ، وطرفاً العملية البيانية (الخطابية) من أدلة ومقام ، ثم الدفاع عن البيان العربي وتقاليد العربية كما عرضها الجاحظ من خلال الخطابة ، ويكشف العمري عن مفاصل البيان عند الجاحظ مراعيًا في قراءته البعدين التعليمي والتأويلي (وهذا ما يلاحظ على مشروعه) بقوله : "يتنازع البيان عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مفهومين أو وظيفتين :

1-البيان معرفة :الوظيفة الفهمية .

2-البيان إقناع : أو الوظيفة الإقناعية .

الوظيفة الثانية هي الوظيفة الصريحة والوظيفة الأولى هي الوظيفة الكامنة المتحك

3،،

¹ ينظر : الجاحظ ، الحيوان ، تح يحيى الشامي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت لبنان ، ص:30.

² ينظر :محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص:194.

³ المرجع نفسه ، ص: 195.

ثم يقدم العمري على قراءة تنقيبية، تحاول الوصول إلى خلفيات مشروع الجاحظ ذي العلاقة بالميدان الأصولي، وقد لاحظ توافق مقولاته مع الإمام الشافعي (204هـ)، وكذلك تأثره بالمفهوم الكلامي، الذي يركز على إثبات العقيدة لعقلي، "تأثر بهذين المفهومين وربما بغيرهما وحاول صياغة نسق سميائي في ضوء الهموم المنطقية الإقناعية لعصره التي لا يمكن أن يغيب عنها 1".

ومن يرجع إلى الدرس السيميائي عند بورس (Peirce) يلاحظ بأنه يتكلم عن سيميائيات باعتبارها "تصور متكامل للعالم. ذلك أن الإمساك بهذا العالم باعتباره سلسلة لا متناهية من الأنساق السيميائية، أي باعتباره علامات، يشير إلى استحالة 2".

وهذا ما أراد قوله الجاحظ، وليس بالضرورة أن يتشاكل مع بورس (Peirce) البناء المنطقي لمشروعه، إلا أن المقاصد تقترب من بعضها والمنطلقات لا نعدم الصلة فيما بينها، خاصة فيما يتعلق بقضية الإقناع، فالجاحظ انتقل من البيان إلى الإقناع بالحجة والدليل، وطرح إمكانيات هذا الفعل وأدواته، وكذلك نجد في الثلاثية الأخيرة عند بورس عندما يصل إلى الحجة، مع الفارق في الطابع الجاحظ والذي لا نراه واضحا عند بورس .

ويبرز العمري الجانب الإقناعي عند الجاحظ من خلال حديثه عن الخطيب ومواصفاته وطرق إقناعه والأساليب المتبعة في ذلك، والجاحظ يولي أهمية كبرى لما ورد في صحيفة بشر بن المعتمد، والتي أصبحت طريقة تعليمية 3.

ثم ينتقل العمري إلى قراءة داخل النسق البلاغي العربي، وهي قراءة البلاغيين العرب للجاحظ، وتحدث عن قراءة بالمخالفة والتكميل التي مارسها ابن

¹ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 196.

² سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 1 2005 : 27.

³ ينظر : الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1 : 107.

وهب الكاتب في كتابه البرهان في أوجه البيان¹ – لم يذكرها
– وهي قراءة أبي هلال العسكري(ت 395هـ) للبيان وهي قراءة مكملّة
موافقة تعتمد على استراتيجية الشرح والتوسيع لما ورد عند الجاحظ في البيان
والتبيين، أما ابن وهب فقد أخذ على عاتقه عبء إعادة بناء البيان من جديد بطريقة
عقلية تجعله قريباً إلى النظرية المعرفية منه إلى بلاغة تهتم بالخطاب .

وفي الختام يضع العمري نتائج توصل إليها حول وظائف البيان، فقد تجلت
الوظيفة المعرفية التي تهتم بالإفهام وتوصيل المعلومة، ونجد الوظيفة
التأثيرية(استمالة الآخر)، والتي تقوم إذا كان المخاطب في حالة خلاف مع
اطب، أما الوظيفة الحجاجية، فتقوم إذا كان المتخاطبان في حالة خصام.²

4- بلاغة الآخر وطبيعة القراءة :

في وقت مبكر كان هناك وعي ببلاغة الأمم الأجنبية، وهذا الأمر نجده عند
الجاحظ، وعند أبي هلال العسكري، ونص الجاحظ المنقول بالرواية، تورده عديد
الدراسات ونستأنس به، والقائل: " قيل :
الوصل، وقيل لليونانيّ: :
تصحيح واختيار الكلام، وقيل
: :
البداهة، يَوْمَ الإطالة، وقيل
: :
واللهديّ: :
وانتهاز

3»

أهل الهند:

ونجد كذلك أبا هلال العسكري يتكلم عن بلاغة اليونان والفرس، بل ويقر
مسألة غاية في الأهمية بالنسبة لبلاغي عصره والتي يقررها في كتابه ديوان
المعاني، في فصل تحت عنوان جمل من بلاغات العجم بقوله: "العجم والعرب في

¹ ابن وهب، البرهان في أوجه البيان (نقد النثر)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1980.

² ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 213.

³، البيان والتبيين، ج 1 : 77.

ن اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها

من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى¹

وهذه الشذرات التي سقناها للتحقيق في مسألة معرفة البلاغيين العرب
بالبلاغات الأجنبية، ترسخ فكرة مهمة مفادها : أن ما نجده في البلاغة العربية عن
البلاغات الأخرى (خاصة في القرون الثلاثة الأولى) لا يعدو أن يكون تلميحات أو
لتمثيل ؛ ولا نجد عملا جادا يحوي نسقا متكاملًا عن البلاغة
الأجنبية إلا عند الفلاسفة المسلمين الذين ترجموا لأرسطو ، وكانوا شراحا بامتياز
لمنظومته المعرفية التي تمتد من المنطق عبر الإلهيات والطبيعيات إلى الشعر
والسفسطة والخطابة ، وهذا ما ركز عليه العمري تحت عنوان : القراءة العربية
للبلغة اليونانية².

وقد توجه العمري للثقافة اليونانية دون غيرها لأنها دخلت كنسق تحمله
أعمال مؤلفة خاصة لأرسطو ، و "يمكن رصد أثر الثقافة اليونانية في مجال تحليل
الخطاب عامة من زاويتين :

1- الإطار المنطقي والثقافة الأخلاقية والنفسية : المستوى العام ، أو الإطار .

2- البناء الخاص بكل من الخطابين الشعري والخطابي : المستوى الخاص ، أو
3"

والعمري سيهتم بالجزء الأخير دون إهمال الإطار العام لأن ما هو بلاغي
تم قراءته ضمن هذا الإطار العام ، وقد اعتبر الفلاسفة المسلم
جزءًا من المنظومة المنطقية الأرسطية ، أما كتاب فن الشعر فقد حظي عنده باهتمام
أكبر من اهتمامه بالخطابة ، وكان هم العمري البارز الرد على من يدعي عدم تأثير

¹ أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ج 2 : 89.

² ينظر : محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص : 217.

³ محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص : 219.

كتاب الشعر لأرسطو في البلاغة العربية ،مما استدعى عنده مراجعة مصطلحي
الفهم والتأثير .¹

إن ما فهمه الدارسون خاصة في الفترة التي بدأت الدراسات الحديثة تقتحم
مجال الترجمة ،هو أن التأثر وفهم الآخر تطابق معه ،وعلى هذا الأساس تعاملوا مع
الترجمات العربية والشروح القديمة لأرسطو ،ولما لم يجدوا هذا التطابق اعتبروا أن
أعمال الفلاسفة المسلمين مجرد تأويلات لا تفي بغرض النص الأصلي ،وهنا يتوقف
العمرى للتحقيق في مسألة غاية في الأهمية : "هل هناك نص أصلي عامة ؟ ول هناك
نص أصلي ،خاصة حين يتعلق الأمر بفن الشعر لأرسطو ؟"²

ليصل بعد التمحيص إلى نتيجتين :

• ترجمات فن الشعر لا تعدو أن تكون تأويلات له ،في غياب التواصل مع

• خلل الترتيب بين عناصر الكتاب ،ونقص أجزاء مهمة منها ،وهذا ما يشهد
عليه عبد الرحمن بدوي : "وكتاب أرسطو في الشعر ينتسب إلى ذلك القسم من
الكتب الأرسطية المسمى باسم المؤلفات المستورة [...]ومن خصائص هذا
النوع الإيجاز وعدم الإحكام في التأليف والغموض [...] وإنما الصعوبة
الكبرى هي في النص الباقي لنا :هل هو النص الكامل ؟"³

إذن فمن المفيد إعادة الاعتبار للترجمات والشروح العربية ،وإعادة
فهم استراتيجيتها في استيعاب نظرية أرسطو في الشعر ،وكذلك الخطابة .

ية العربية اقتربت من فن الشعر ،بعد صعوبات من

قبيل :اختلاف المرجعيات والمجال المعرفي ،وأخذت تفهمه من خلال :

1- البحث عن الكليات أو القوانين الكلية التي تجمع صناعة الشعر عند

¹ ينظر :المرجع نفسه ،ص:220.

² المرجع نفسه ،ص:223.

³ أرسطو طاليس ،فن الشعر ،تر عبد الرحمن بدوي ،مكتبة النهضة المصرية ،1953 :38) .

2- الإجراءات التحويلية: نقل المركز من المحاكاة إلى التغيير اللغوي.¹

ويشرح العمري ما قام به الفلاسفة العرب قائلا: "قام الفلاسفة العرب بعملية تحويل لمركز بلاغة أرسطو من خشبة المسرح إلى تركيب اللغة، من التمثيل الدرامي إلى التشبيه والاستعارة والمجاز، وأعادوا تعريف التراجيديا والكوميديا بالمدح والهجاء بعد تجريدهما إلى تحسين وتقبيح، وقايسوا المحاكاة بالتخييل ترجيحاً للأثر على الكيفية. وفي بيئتهم طرحت نظرية الشعر والخطابة بشكل علمي نظري لأول مرة في تاريخ العرب."²

ويجعل العمري عمل ابن رشد في التغيير مقاربا لمصطلح الانزياح في ات الشعرية المعاصرة، والبلاغية الجديدة، ويقترّب من مفهوم هنريش بليت الذي يجعل من: "الصورة البلاغية هي الوحدة اللسانية التي تشكل انزياحا. وبذلك يكون فن العبارة (élocution) نسقا من الانزياحات اللسانية"³، ثم يربط بين نموذج موريس السيميائي وبين مستوياته ويدمج كل مستوى مع انزياحه الخاص به، ثم يحدد العمليات التي تخرق المعيار؛ مثل الزيادة، والنقص، والتعريض، وتبادل الدلائل...⁴

ونجد صلة بين ما يذكره هنريش وبين ما رصدته العمري من عمليات التغيير الواردة عند الفلاسفة العرب خاصة ابن رشد (ت 595هـ)، مثل حديثه الإبدال والتشبيه.⁵

¹ ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 249.

² محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا 2013: 116.

³ هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، تر محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999: 66.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص: 67.

⁵ ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص: 261.

3- شبكة البلاغة و تحديد النماذج:

- أسس الاختيار :

عمل العمري على التحقق من وجود خاصيتي :الاستكشاف كتمهيد يربطها بالأصول ، و بناء النموذج العلمي في المشاريع المختارة و التي تمثل امتدادات البلاغة العربية ،وتجسد طموح أصحابها في بناء قاعدة نظرية ،ونموذج تطبيقي¹، ولهذا نجد عمله في قراءة البلاغة العربية ينصب

اهتمامه على :

3- أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني .

4-

5- مفتاح العلوم للسكاكي و منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم

وفي رأي العمري لهذه الأعمال ما يؤهلها لتمثيل اتجاهات البلاغة العربية ، واعتبارها امتدادات تسهم في بناء النموذج البلاغي المرتقب (البلاغة العامة).

وتكشف القراءة الفاحصة عن الخيوط الجامعة بين الاتجاهات المذكورة سابقا عن بناء متماسك ؛ ينطلق من القاعدة النظرية ،مع مدارج الغرابة عند عن مميزات القول الشعري ،ومعالجة قضية التخييل والصدق والكذب ،ضمن النظرية الأدبية العامة ، وينتقل منها إلى المناسبة التداولية ،ويصل ليتمد إلى مستوى البنية الصوتية والصرفية مع ابن سنان الخفاجي والبحث عن بلاغة التناسب ،ثم يمثل أمامنا نموذج بلاغي معضود بالنحو

¹ ينظر : محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها : 279 .

فنظرة العمري كانت تسير وفق مبدئين : البحث عن الجانب النظري الذي يعضد البلاغة العربية ، وتقديم النماذج التطبيقية والتحقق من آلياتها ، وكان اختياره للأعمال البلاغية ليس بعيدا عن هذين المعيارين .

وقد جعل العمري من النماذج البلاغية المختارة مصبا تلقي فيه الروافد التي سبق التعرّيج عليها حمولتها الاستكشافية ، والتي خاضت غمارها طيلة ما يقارب خمسة قرون متتابعة ، من البحث والاستقصاء في متن العربية ، ومدونتها التخيلية والإقناعية ، لكن السؤال الذي يطرح : هل تمكنت قراءة العمري من حصر كل المشاريع البلاغية (امتدادات البلاغة العربية) في ثلاثة نماذج ؟ ألا توجد نماذج بلاغية خارج قراءة العمري ؟

إن هذه الأسئلة يجيب عنها العمري في خضم حوار مباشر ، بينه وبين محمد الولي ، وإدريس جبري ؛ فيطرحان عليه السؤال في حوارهما : "هناك غائبون في كتابكم : البلاغة العربية ، وغيابهم يثير كثيرا من التساؤلات ويتعلق الأمر على سبيل المثال بابن رشيق والسجلماسي والافراني وابن البناء المراكشي وغيرهم ، هل هناك مبرر لهذا الغياب ؟

() هج الذي اتبعناه ، هو قراءة المشاريع والتركيز على مؤلفات أو مجموعة كتب والاقتصار على المشاريع الأكثر فعالية .¹

فعالية هذه المشاريع المختارة ، تتضمن البناء النظري ، وتحديد المقاصد وقابلية التطبيق والإجراء ، وكذلك كونها نابعة من هم نسقي تمتد جذوره بروافد البلاغة العربية التي سبق للعمري الحديث عنها ، لكن مع هذا الإحكام الشمولي الذي مارسه العمري إلا أننا نجده يستكشف أعمالا أو اتجاهات أخرى خارج ما حدده في فترات لاحقة كما حدث مع أبي حيان التوحيدي .²

¹ محمد العمري ، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة ، ص: 262.

² ينظر : محمد العمري ، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير (ضمن البلاغة والخطاب) ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2014 : 16.

- :

أولاً: التخيل والتدا :قراءة جديدة للمنجز البلاغي عند الجرجاني.

لا يستطيع الباحث في قضية بلاغية ،أن يتجاهل وجود الإمام عبد القاهر

مؤلفيه : " 1 " " 2 ، ويعتبر

هذان الإنجازان مركز انطلاق بالنسبة لاتجاه بلاغي ،ساد بعد القر
الهجري، والذي تزعمه السكاكي ،ولحق به الشراح وأصحاب الهوامش
والحواشي،وكان مؤثرا على العقلية العربية الأدبية والنقدية في العقود التي شهدت
التأثر بالتيارات النقدية الحديثة والمعاصرة ، فالجمود الذي أصاب الدرس البلاغي،
والعكوف على أساليب بعينها وعدم مفارقتها جعل هجوم المستغربين شديدا على
البلاغة العربية ،وجعل الدارسون يرمونها بالجبذ والتأخر وعدم الفاعلية ،لكن
السؤال الذي يطرح نفسه :إذا كان عمل الجرجاني بالمكانة التي وصفناه
عليها،وللسكاكي فضل التقنين والزيادة والفهم ،فماذا حدث لهذا المشروع ؟ كيف قرئ
جاني ؟ وهل أسيء فهم مقاصد الرجل وجزئت نظريته البلاغية وتقاسمتها
الادعاءات (الأسلوبية والدلالية والشعرية ...)؟كيف السبيل لإعادة قراءة الجرجاني؟

يبدو أن السؤال الأخير يعتبر منطلقا لقراءة العمري ، لن نعيد كلام الرجل
في فصول عمله ، لكن أكتفي برسم الاستراتيجيات والآليات التي سخرها العمري في
سبيل تحقيق قراءة جديدة / قديمة للجرجاني ؛جديدة لأنها تستعين بمعطيات الدرس
البلاغي الجديد وأصوله من تداولية وشعرية ، وقديمة لأنها تريد بناء التلقي التاريخي
الذي نشأ فيه عمل الجرجاني وتوافرت شروط فهمه في عصر الرجل .

¹ عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ، تح عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 2001 .

² عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ،شركة القدس للنشر والتوزيع ، ط3 1992 .

ومحمد العمري قسم دراسته لامتداد مشروع الجرجاني إلى قسمين ،حيث قام بقراءة لخطاطة الأسرار والدلائل ،راصدا من خلالها التحولات التي طرأت على العملين ، وما يتوجب أخذه بعين الاعتبار في قراءة هذين العملين ¹.

1- بين غرابة التخيل و مناسبة الكلام للمقاصد:

يبدأ العمري قراءته بأسرار البلاغة ، حيث يبني خطاطة الكتاب على ثلاثة مداخل ، معتمدا على القراءة النسقية التي تروم كشف النظام الذي يحكم المشروع العلمي ، فالمدخل الأول هو المواجهة التي كشف عنها الجرجاني بين المعنى الصحيح والمعنى التخيلي ، وهذا الجزء من عمل الجرجاني يريد من خلاله أن يحل مشكلة السرقات الشعرية ببيان المشترك بين الشعراء ² ، والذي لا يعتبر وجوده عند شاعرين سرقة ، وبين الفردي الخاص الذي يصنع التميز بين شاعر وآخر ،وهنا تتأكد ضرورة فهم الأعمال البلاغية في إطار الانشغالات الأدبية والنقدية لعصرها؛ لأنها تمثل إجابات عن الأسئلة المطروحة آنذاك ، ويأتي المدخل الثاني من كتاب الأسرار، حسب قراءة العمري ، ليكشف عن التراتبية "بين المعنى القريب المأخذ والمعنى البعيد المأخذ" ³ ، مقيما مقارنة بين شتى الصور البلاغية من استعارة وتمثيل واستعارة تمثيلية ،ويبين فضيلة الصور ذات الخاصية العجيبة (التخيلية) ، وبين الصور الساذجة كالتشبيه المرسل ⁴ ، والمعالجة اللسانية العقلية تبرز من خلال هذا المدخل ، لأن الرجل يعالج مسألة الخروج عن الأصل ، وصناعة الحدث الشعري بخصائصه ومميزاته التخيلية خاصة منها العقلية ، و يكشف عمري من خلال المدخل الثالث عن اهتمام الجرجاني بقضية المجاز ، وتقسيمه إلى:

• مجاز مفرد : "كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة

بين الثاني والأول" ⁵

¹ ينظر :محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص :323.

² ينظر : محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص:328.

³ محمد العمري ،المرجع نفسه ،ص:329.

⁴ ينظر :الجرجاني ،أسرار البلاغة ، ص:235.

⁵ المرجع نفسه ،ص:249.

• مجاز في الجملة: "كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل

1"

• لي (الحكمي): وهو الذي يجعله الجرجاني واقعا في الإثبات لا في

المثبت أي لا يقع في المفرد .

وقد ظهر للعمري بأن الجرجاني كان مهتما بالإجابة عن الأسئلة التي طرحتها الخلافات المذهبية ، حول المجاز ؛بين مثبت مفرد فيه ،وبين منكر مفرد في مزيته ، ليحل الجرجاني الأمر برأي وسطي "يقبل التأويل في إطار المعرفة البلاغية مسترشدا بالمعطيات السياقية ا

2"

فالبحث الذي خاضه الجرجاني في الأسرار هو بحث عن مدارج الغرابة ومستوياتها ،باعتبارها مكونات للخطاب الشعري ؛ منها ما يعد معيارا لتقييم العمل الشعري وينبغي أن يتأسس عليه (المعاني الفردية الخاصة) ، ومنها ما يشترك فيه مع الآخرين (المعاني المشتركة العامة) ولا تعتبر مرجعا ضروريا في بناء العمل الشعري ، فكتاب الأسرار "أول كتاب يطرح سؤال الهوية ،هوية الخطاب البليغ ،فإنه كان محكوما بتوجهه إلى الشعر ،ولذلك يصلح أن يسمى حسب تعبيرنا :أسرار بلاغة "3، هذا ما يتفق معه محمد مشبال ، لكنه يعممه على كل الدرس

البلاغي العربي ، وهذا ما لا يوافق عليه محمد العمري ؛ فبالنسبة لمحمد مشبال،البلاغة العربية "علم ألصق بأساليب الشعر وأنسب لطبيعته "4، وهذه الجزئية يقع التوافق حولها بين الرجلين ،لكننا إذا جئنا إلى ما قرره مشبال حول الأسرار لائل خاصة الكتاب الأخير سنجد مفارقة بينه وبين العمري ؛ إذ يقول : "وقد أظهر تأملنا في الخطاب البلاغي الموروث أن علماءنا لم يصدروا في صياغة تصوراتهم عن مقولة الأجناس ؛فقد استأثر بوعيمهم الجمالي جنس أدبي وحيد لم يستطيعوا الفكك منه حتى وهم يستشرفون نصا ملك عليهم مشاعرهم ،فهبوا لبيان دلائل إعجازه

¹ المرجع نفسه ،ص:272.

² محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص:343.

³ محمد العمري ،البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ،أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء المغرب ، ط2 2012 :41.

⁴ محمد مشبال ،البلاغة والأصول ،أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء المغرب ، 2007 :13.

وأسرار بلاغته¹، في حين يجعل العمري الدلائل كتابا يختص بالمناسبة التداولية، ويعتمد على المدونة نفسها التي نجدها في الأسرار لكن بمنظور مغاير وبسؤال آخر غير الذي وجدناه يحرك أسرار البلاغة، لكن هذا لا يلغي تفاعل الجانبين، وهذا ما نجده عند مشبال؛ لأنه يعتبر بلاغة الشعر تستطيع احتواء أجناس أخرى وتغنيها ضمن البلاغات النوعية.

ويرصد العمري انتقال الجرجاني من الغرابة الشعرية إلى المناسبة التداولية، معتبرا دلائل الإعجاز عملا مكملا للأسرار يشترك معه في المنطلق (اعتبار لبلاغة في المعنى) ويختلف معه في المقصود منه؛ بين الغرابة وبين مناسبة المقاصد، كذلك يهيمن على نسق الأسرار التخيل الذي يربطه العمري بالمحاكاة الأرسطية، أو القراءة العربية لمحاكاة أرسطو، ونجد الدلائل يهيمن على نسقه النحو العمري للدلائل عن قراءته للأسرار، فقد رصد²

المداخل الأساسية للكتاب محددات التقسيمات التي تحكم نسقه، بين التقسيم الثنائي الذي وضعه عبد القاهر للمزية (في اللفظ أو في النظم)، ثم تعديل الجرجاني لهذه الخطاطة إلى تقسيم ثلاثي (مزية في اللفظ أو في النظم أو فيهما معا)، ثم يكشف العمري عن مفتاح مهم في التعامل مع دلائل الإعجاز، فالجرجاني كان يتعامل مع اللفظ والمعنى باعتبارهما مادة وصورة، وحصول المزية عند الشاعر والإعجاز في القرآن إنما يقع بالتفاعل الحاصل بينهما، وليس باعتبار المعنى شائعا فيكون مطروحا، فكان الغرض هنا هو التمييز بين المكون النوعي والمكون غير النوعي في³، واهتمام الجرجاني بقضية اللفظ والمعنى وطغيانها على كتابيه، راجع لكونهما "عماد الظاهرة اللغوية وأسس العبارة". وكل كلام عن الكلام، من أي زاوية كان، هو في جوهره تحديد لماهية كل منهما وتحليل للكيفيات التي يتم بها تلاحمهما سواء في مستوى اللفظ المفرد أو في مستوى التركيب⁴

¹ المرجع نفسه، ص: 14.

² ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 347.

³ المرجع نفسه، ص: 354.

⁴ حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط3 2010، ص: 414.

"

يقترضه علم النحو ،وتعمل على قوانينه وأصوله ،وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها"¹

خرج الخطاطة التي بنى على أساسها الجرجاني عملية ،في قراءة تستهدف كشف بنية مشروع الجرجاني وإعادة تشكيل عناصره وفق رؤية جديدة، ومن خلال استكشاف الأنساق التي تحكم الكتابين ، وتحديد المركز والهامش في كل منهما،تمكن من بناء العلاقات بينهما ،وكذلك ربط بين عمل أودعه الجرجاني من نتائج في عملية ، متجاوزا الرازي الذي قام هو كذلك بدور لا بأس به لا ينبغي إغفاله ، وسنشير إلى هذا في العنصر المخصص لامتدادات عمل السكاكي في البلاغة العربية .

2- علاقات التخيل بالتداول:

" " " ثل الإعجاز " يمثلان وجهتين مختلفتين لرؤية الجرجاني البلاغية ، فإن الرجل كانت تقف من ورائه خلفيات مذهبية وجهة العملين أو بالأحرى وجهة اختياراته للعناصر البلاغية فيهما ، فلا يخفى على أحد انتماء الجرجاني الأشعري ، ومناهضته ورده على المعتزلة خاصة فيما يتعلق آلة الكلام وطبيعته خاصة إذا تعلق بصفة من صفات الله عز وجل ،فالمعتزلة كان من فرقها من يقول بأن كلام الله حروف وأصوات أي جسم مادي محسوس " ² ، أما الأشاعرة فيذهبون إلى أن الكلام "صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت"³.

هذا الإشكال الكلامي بين المعتزلة والأشاعرة ،جعل الجرجاني يقصي في عملية المادة الصوتية ،بل يرجع العمري الأمر إلى أن الجرجاني وبلاغي الإعجاز لا حظوا توفر النص البشري على قيمة فنية كبيرة باعتمادها على الجانب الصوتي

¹ عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ، ص:81.

² أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ،تح أحمد جاد ،دار الحديث ،القااهرة مصر ،2009 :114.

³ ابن قيم الجوزية ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ،المكتبة العصرية ،بيروت لبنان ، ط1 2007 :811.

بالقياس إلى النص القرآني¹، بل يتمادى ويقول: "بأن الجرجاني كان ينظر إلى
"2، هنا علينا أن نوضح بأن البلاغة

العربية لا تضمن إعجاز القرآن لأن الله ضمنه لكتابه العزيز والبلاغيون أعملوا
عقولهم وتدبروا أوجه إعجازه صوتا وتركيبا ودلالة

م يأتي العمري ليكشف إنجازا آخر للجرجاني ضمن نسقه العام ، وهو
حديثه عن صورة المعنى ، باعتبارها هيئة قائمة بين اللفظ والمعنى ، ويربطها بمسألة

على هذا الأساس ترتبط بالنظم النحوي ، ويكون معيار جمالياتها ومناسبتها التداولية
لمقاصد الكلام معتبرا من هذه الجهة و"ربط بلاغة الاستعارة وغيرها من صور
التغيير الدلالي بالنظم النحوي يعتبر إنجازا بلاغيا متقدما أو سابقا لعصره ."³

مستثمرا لمفاهيم علم النص ، خاصة ما يتعلق بالتماسك والانسجام ، ليس
فقط على مستوى الجملة ، بل كذلك على مستوى الصورة العامة للنص الشعري ، يقيم
العمري قراءته للجرجاني ، وعمله حول تماسك البيت من خلال : التقسيم والشرط
والتشبيه⁴ سرار قائم على العقلية التي تبحث عن

تأويلات للغرابة ، فإن الدلائل بحث عن تناسب الكلام داخليا من خلال ترابط أجزائه
وتناسبه خارجيا من خلال مناسبته لمقاصد الخطاب ، وهذا يجعله ينحو إلى نثرية
حجاجية إقناعية تركز على الشرط والتشبيهات المقارنة ، وتنحو نماذج الأسرار

صبغة النصوص الحوارية ذات الطابع الحكائي .⁵

كان من بين مرتكزات قراءة العمري ، نظرية التلقي في جانبها التاريخي
الذي عرضناه مع ياوس Jauss ، وفي خضم قراءته للجرجاني ، عاد ليبنى تلقي
الجرجاني التاريخي لنصوص عصره بتقاليدها ومقوماتها المضمونية والفنية ، فلاحظ

¹ ينظر : محمد العمري ، الموازنات الصوتية في الرواية البلاغية والممارسة الشعرية ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب ،
1999 : 106 .

² المرجع نفسه ، ص: 118 .

³ د العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص: 365 .

⁴ ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص: 93 .

⁵ ينظر : محمد العمري ، المرجع السابق ، ص: 372 .

ظهور مفهوم الادعاء عنده ، وتناسي مسألة النقل ، حتى في تحليلات البلاغيين ؛ لأن الساحة الشعرية آنذاك كان أفق انتظار المتلقي حينها موجها نحو تناسي الصور القائمة على التشبيهات القديمة ، بل وجعلها أرضية لبناء صور أعلى منها ، تبليغ أقصاها مع التمثيل والاستعارة التي تتفاعل فيها عناصر اللغة ومرجعيات الألفاظ .

وهذا ما يجر للحديث عن الوظائف الشعرية للصور البلاغية بين الحجاج والتعليم، ويتناول مقالة الجرجاني حول مواقع التمثيل وتأثيره ؛ إذ يقول في هذا الصدد حول أثر التمثيل إذا كان في مقاصد الشعر وأغراضه : "فإن كان مدحا ، كان أبهى وأفخم ، وأنبل في النفوس وأعظم ، وأهز للعطف ، [...] ، وإن كان ذما ، كان مسه أوجع ، وميسمه أذع ، [...] ، وإن كان احتجاجا ، كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر." ¹ ، فالجرجاني يبين أن لصورة التمثيل باعتبارها من أعلى صور البلاغة في تفعيل التخيل دورا حجاجيا يعمل على الإقناع ، فالتمثيل : "هو عقد الصلة بين صورتين ، ليتمكن المخاطب من الاحتجاج وبيان حججه" ² ، وبجانب التمثيل نجد الاستعارة كذلك تقوم بدورها الحجاجي ، "وتعرف الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري ³ ، وأرسطو تكلم عن هذا النوع من الاستعارة مبينا دورها وهنا نلتمس الصلة التي أراد العمري ربطها بين أفكار أرسطو وبين الجرجاني .

ثم يخوض في التحليل الفلسفي الباحث في أعماق التكوين الإنساني وفطريته ، وطريق اكتسابه للمعارف فالجرجاني ، يقول في موقع مهم من كتابه :

له منها يقتضي يفخم
بالتمثيل ، وينبئ ويشرف ويكمل ، وأظهره ،
تخرجها وتأتيها بصريح وتردّها نُعلمها
إياه آخره بشأنه وثقلها به تنقلها

¹ عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص: 85.

² عبد الهادي بن ظافر الشهري ، آليات الحجاج وأدواته ، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج1 ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد - 1 2010 : 139.

³ عمر أوكان ، اللغة والخطاب ، رؤيا للنشر والتوزيع ، ط1 2011 : 218.

يُعلم
يُعلم
فيها جهة

يفضلُ جهة فيه غاية

1،،

فالجرجاني يصرح بأن للتمثيل دورا معرفيا خاصة إخراج الخفي إلى الجلي بالعودة إلى الحس والاستفادة من معطياته اللغوية ، والعمري قسم سبب تعلق معارف الانسان بالتمثيل إلى قسمين :

• لذة المعرفة : وتقترن بما يكتسبه الإنسان من معارف ، وللقضية علاقة

• لطف المفارقة : وهذا مايسنده واقع النظرية الأدبية في زمن الجرجاني .²

وقد عالج الجرجاني الوظيفة الشعرية – معالجة فلسفية تنقب عن الأسباب المعرفية والنفسية ، وهذا ما نراه يتوافق مع الدراسات المعاصرة للاستعارة ودورها المعرفي ، خاصة النظرية التفاعلية التي تعتبر التمثيل والاستعارات سبلا لفهم العالم والتأثير فيه وإنشائه .³

واستخدام مفارقات اللغة التي تمثلها صور البلاغة واستثمار فهمها لبناء المعرفة والمفارقة والغرابة، ما كان الجرجاني ليكشف عن دقائقه لولا النصوص الشعرية التي استعان بها من شعراء عصره أو قريبي العهد منه ؛مثل أبي تمام (ت هـ) وأضرابه من اتجاه البديع .

هكذا كانت قراءة العمري للجرجاني تهدف إلى كشف أنساق مشروعه والبحث في المنجزات الأساسية التي قدمها ، وإعادة النظر في الأصول والمرتكزات التي بنى عليها مشروعه ، وكيف تفاعل الجرجاني مع أسئلة عصره ؛خاصة الأدبية

¹ عبد القاهر الجرجاني ، المرجع سابق ، ص: 93.

² ينظر : محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، 386.

³ ينظر : محمد مفتاح ، مجهول البيان ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب ، ط1 1990 : 49.

والفكرية ، وبناء بلاغة عربية تعتمد على معطيان الدرس البلاغي عند الجرجاني تتطلب التعمق أكثر في مشروع الأسرار والدلائل ، وإضاءة السبل التي تجمع بين العاملين وتمكن من بناء تصور شامل لبلاغة تجمع بين الشعري التخيلي وبين وتحرص على مقاصد الإنسان المعرفية .

ثانياً:

ينطلق العمري في قراءته "سر الفصاحة"¹

(466هـ) ، من اعتبار هذا المؤلف مشروعاً جريئاً لصياغة بلاغة صوتية، حاورت الخلفية المذهبية ،وعبرت عن الممكن انجازه في تأسيس بلاغة²،ويستكشف العمري امتداد مشروع الخفاجي ،من خلال رؤية تقف وراءها معطيات الشعرية المعاصرة ،وأعمال الشكلايين التي سبق ، وأن استثمرها في الموازنات الصوتية ،ونجد مشروع ابن سنان يقترب كثيراً من المعطيات النظرية والتطبيقية للشكلاية الحديثة ،فقد "اهتم ابن سنان بدراسة البنيات اللسانية للشعر مركزاً في تحليله لبنية اللغة الشعرية على البنية الصوتية ،باعتبارها البنية المهيمنة داخل الخطاب الشعري،[...] وهذه البنية هي التي أكدت شاعريتها دراسات الشكلايين الروس ،وصموئيل لفين،وجون مولينو،وكوهين،وميشونيك ،ولوتمان ،وغيرهم؛فالتوازنات الصوتية تلعب دوراً أساسياً في خلق الوظيفة الشعرية في"³ ،بالإضافة إلى حضور الهم النسقي ؛عند ابن سنان من خلال رغبته في أن تكون للبلاغة هيكلية علمية كالنحو والعروض ، ويحاول استكشاف ضوابط هذه يم أسرارها التي تقوم عليها قوانينها وتنضبط جزئياتها، وعند العمري الذي سيستقصي جزئيات العمل ويقوم قراءته على خاصية القراءة الشمولية،واستنتاج الدعائم التي يقيم ابن سنان عمله عليها .

¹ ابن سنان الخفاجي ،سر الفصاحة ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ط1 1982 .

² ينظر :محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص:405 .

³ والخطاب،دار رؤيا للنشر ،القاهرة مصر ،ط1 2011 :187 .

يبدأ ابن سنان مشروعه بالحديث عن وجه الحاجة إلى معرفة الفصاحة لنسبة للعلوم الأدبية، والعلوم الشرعية؛ إذ نجد مدار معرفة الإعجاز يتمحور حولها، سواء كان تحدياً مع العجز دون سلب قدرة، أم كان صرفة على رأي¹، والرجل ههنا يريد أن يعطي موقعا علميا للفصاحة (علم البلاغة) بين بقية العلوم في عصره ببيان وجه الحاجة إليها، مما يوحي بأن الرجل كان يعالج المسألة في إطار جدلي يقف فيه من يرى عدم جدوى هذا العلم، أو تشتت مباحثه لغير غاية ضبط أو تقنين .

ثم يخصص ابن سنان فصلا يتحدث فيه عن الصوت، وعن اللغة، فهو يعطي أهمية كبيرة للجانب الصوتي باعتباره عمود الفصاحة، لكن يلاحظ من خلال الفحص النسقي لبنية عمل ابن سنان، أنه تنازل مرة تلو الأخرى عن مقولة الصوت، باعتباره محور الفصاحة، كلما اقترب من مفهوم البلاغة، وقد أدى به تنازله المتتابع هذا إلى الحديث في نهاية المطاف عن المعنى مجردا، ومحددا له شروطه، وفي ذلك يقول: "هكذا يفسر ابن سنان توسعه من الصوت إلى اللفظ، ومن نعت اللفظ بحسب طبيعته الخاصة (وهي الأفراد) إلى التركيب وهو محكوم"²، ويلاحظ العمري وقوع ابن سنان في

مفارقات حول التشبيه والاستعارة، تبعا للتقسيم الذي وضعه بين المعاني المفردة والألفاظ المؤلفة، مما أدى به إلى تداخل المستويات التي عالج من خلالها الظواهر البلاغية خاصة لما جعل التشبيه من باب المعاني المفردة والاستعارة في باب تأليف الألفاظ، مع أن التصريحية تقوم على مقياس التبديل المفرد كما هو واقع في نماذج التشبيه البليغ المتنازع حول انتمائه³، كذلك كان اقترابه من مفهوم البلاغة باعتبار أن مجالها يلتقي فيه اللفظ المؤلف والمعنى، سببا جعله ينساق للحديث عن المعاني مجردة، وعن الألفاظ (مفردة، ومؤلفة بعيدا عن المعنى)⁴، ثم يمارس العمري قراءة

1 : 13 14.

2 محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 416.

3 : 119.

4 المرجع نفسه، ص: 414.

داخلية بين أنساق المشاريع البلاغية، تجعل هذه الأخيرة تتحاور فيما بينها، ويقوم الدارس المعاصر بقراءة نسقية لا تتجاهل السابق واللاحق في الكشف عن الخطط والمقاصد؛ إذ نجد العمري يحاور منجز ابن سنان البلاغي في ضوء ما قدمه الجرجاني، هذا الأخير الذي تمكن من الخروج من مأزق اللفظ والمعنى (الذي وقع فيه ابن سنان) بفضل فكرة صورة المعنى ومعنى المعنى، وهو مفهوم وسط بين¹، يذكرونا دائما بالوفاق الأشعري في عديد من المحطات، والعمري لم يفصل حديثه عن المشاريع البلاغية أو الامتدادات عن الروافد والخلفيات، فالنزعات المذهبية حاضرة في قراءاته خاصة للجرجاني وابن سنان.

تحت عنوان: "الرؤية البلاغية في المنجز / الصحة والتناسب"²، يدخل العمري المبحث الثاني في قراءته لمشروع ابن سنان الخفاجي، معلنا عن:

● انتماء بلاغة ابن سنان : بلاغة كلاسيكية .

● :

6- () .

7- .

8- .

9- 3 .

واعتمادا على التشابه الحاصل بين مقومات الكلاسيكية الغربية؛ من: عقل، ومحافظة، وتغليب الحسي المسموع على العقلي الغامض، فقد جعل انتماء بلاغة ابن سنان إلى المنجز الكلاسيكي (من ناحية المنطلقات والرؤية، وليس من الناحية التاريخية)، لكننا نلاحظ إقرار العمري بالصلة القائمة بين مشروع سرّ الفصاحة، وما

¹ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: 421.

² المرجع نفسه، ص: 422.

³ المرجع نفسه، ص: 422.

قدّمه قدامة بن جعفر (ت 337هـ) في نقد الشعر؛ حيث اعتبره "حلقة بين تصور قدامة بن جعفر وتوجه حازم القرطاجني"¹

هذا الحكم أطلقه العمري من ناحية اهتمام ابن سنان بالمادة الصوتية، لكنه أغفل اهتمامه بالجانب العقلي والمنطقي، فإذا كان الانتماء إلى الكلاسيكية معياره ()
والمحافظة، فإن قدامة بن جعفر كان مصدره فيها أرسطيا محضا، وعمله ترك أثرا - فيما فعله - إلى ما ذهب إليه أرسطو، عندما

عدّ الاستحالة والتناقض ومخالفة العقل أنواعا للنقد الذي يوجه إلى الشاعر"²
عمل ابن سنان للكلاسيكية لا تحدده المعايير المتأخرة للاتجاه، بل نجدها ذات جذور أرسطية نابعة من الفهم العربي للمنطق الأرسطي والعقلية اليونانية، وهذا أقرب لبلاغة ابن سنان، ويكشف عن مصادر درسه خاصة ما يتعلق بالتناسب والاعتدال، وهذا حرصا على فهم الدرس البلاغي العربي داخليا قبل أن نتجه إلى تصنيف معالمه واتجاهاته خارجيا .

ويذهب العمري إلى قراءة ما جاء به ابن سنان، خاصة على المستوى -
- ، في ضوء ما قدمه ضياء الدين ابن الأثير (ت 637هـ)، مع أن هذا الأخير ينتمي إلى تيار بلاغي مغاير، وذو أصول ومرجعيات مختلفة عن صاحب سرّ الفصاحة، وهذا ما جعله يقول عن

:" إنه به كتابه،

عليها وصفاتها

عنه فيها"³، إلا أن ما يجمع الرجلين هو اهتمامهما بأناقة

الخطاب القائمة على الاعتدال والصواب، وتتجه رؤية العمري للربط بين الجاحظ

¹ المرجع نفسه، ص: 461.

² جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، ط5 1995 : 146.

³ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1999 : 1 24.

وابن سنان من خلال ما قدمه ابن الأثير؛ عندما جعل موضوع علم البيان جامعا بين الفصاحة والبلاغة ، مبتعدا به عن المفهوم الجزئي الذي قدمه السكاكي .¹

وقد برز في قراءة العمري لمشروع ابن سنان ، حوار المشاريع البلاغية أو الدرس البلاغي داخليا ، حيث يستعين الدارس بمشاريع بلاغية عربية لقراءة المشروع قيد الاستكشاف ، مع الاستعانة بالمفاهيم الغربية قدر ما يسمح به نسق البلاغة العربية ، ومفاهيمها .

:البلاغة بين علم الأدب والعلم الكلي:

يدخل العمري الامتداد الثالث من امتدادات البلاغة العربية ، موجهها ناظريه نحو علمين كبيرين في تاريخ الدرس البلاغي العربي ، الأول (أبو يعقوب السكاكي) :² ، يطرح حول عمله سؤال المركز والهامش ، وسؤال المنسي والمغيب ، والثاني (حازم القرطاجني) منسي في الدرس البلاغي كما وصل إلينا ، يطرح حول عمله: "منهاج البلغاء وسراج³ سؤال الهوية ، ويثير إشكالية إحضار الغائب منه ، وإدماجه من جديد بأسلوب يحترم أنساقه وانتماؤه ومقاصده في البلاغة العربية المنشودة .

ويصرح بأن التعمق في تحليل إشكاليات المشروعين لا يجد مكانا له في كتابه: "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها" الذي اعتمدنا عليه في قراءة مشروعه ؛ كنموذج يعكس قراءة البلاغة العربية في ضوء معطيات الدرس الجديد ، ويُرجع ذلك إلى الظروف التي أحاطت بانجاز الامتدادين السابقين ، وهي ظروف خارج نطاق البحث العلمي ؛ كما تصفها عبارته : "في ظروف أقل ما يقال عنها أنها ضد كل طموح، ينحت المرء من نفسه إلى حد التلاشي"⁴ ، هذا ما يجعل العمري يقر بأن ما قدمه حول العلمين (السكاكي وحازم) لا يعدو أن يكون خطة عامة لمشروعيهما ،

¹ ينظر : محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص:461.

² أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، تح عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، 1997 .

³ حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان، ط2 1981

⁴ محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص:466.

وقد وضع العمري الرجلين تحت فصل واحد أطلق عليه تسمية: " البلاغة المعضودة"¹؛ آخذا إياه من كلام القرطاجني في الإضاءة الثالثة من

المعلم (أ) من المنهج الثاني من القسم الثالث (المباني) حيث ي
التي ينبغي أن يرتقي إليها من يريد استقصاء العلل وكشف خفايا النظم: " لمن
طمحت به همته إلى مرقة البلاغة المعضودة بالأصول المنطقية و الحكيمية"²
والجامع بين حازم والسكاكي أنهما يدخلان ضمن دائرة هذا النوع من البلاغة التي
عقلية ومنطقية ، كما هو حال السكاكي الذي وضع بلاغته ضمن
علم الأدب القائم على النحو والمنطق ، هذا ما جعل العمري يجمع بين العاملين تحت
عنوان واحد ؛ لوجود قواسم مشتركة بين الرجلين سواء كانا على وعي بذلك أم لم
يكونا على وعي ، إلا أن التاريخ البلاغي قد جمعهما مرة أخرى ، فالسكاكي أسبغ
فهمه ، وبترت بلاغته ونُسيت مقاصده ، أما حازم فلم يجد محاورا له أو شارحا أو
ملخصا لأن مرجعيته كانت تمثل عصرا أقرب لأجواء القرن الرابع الهجري
وفطاحته ، فأكل الزمن قسمه الأول ، ولما خرج من دور النسيان ، تنازعت
الدراسات كل يدعي انتماءه إلى مجال بحثه ؛ بين الشعرية والنقد والأسلوب ... ومن
يدري إلى أي اتجاه ستنسبه الأجيال القادمة ؟ مع أن الرجل كان صريحا بأن
موضوع كتابه هو علم البلاغة ، إلا أن معظم الدراسات النقدية العربية كانت تسير
حتى أواخر التسعينيات في اتجاه يجعل البلاغة علما قديما وشارف على انتهاء
صلاحيته، وستعوضه آليات جديدة ، لكن الدراسات الغربية كانت تسير في اتجاه

خاضعة تحت طائلة إمبراطورية البلاغة .

والأمر نفسه مع مفتاح العلوم ، إذ لم يناقش السكاكي ، ولم يد
جادة في مفهومه للبلاغة - التي جعلها مبحثا مكملا للنحو يقع على أرضها تحاور
- قائمة على الانتقاد أو التوسيع والربط ، إنما اتجه

¹ المرجع نفسه ، ص: 463.

² حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص: 231.

علماء القرن السابع وما يليه نحو التلخيص الذي بتر صاحبه جلال الدين القزويني(ت739هـ) من خلاله البلاغة عن نسقها العام، وقاموا بشرحه، وتهميشه، ثم نظمه وإعادة شرحه، ويقول العمري في التعليق على عدم تفاعل علماء القرون التي تلت ظهور المفتاح، وجمود درس النحوي وانفصاله عن الحركة الإبداعية: "لو عاد ابن جني إلى الحياة في عصر السكاكي [...] لأدخل أغلب النحاة إلى

[...]

"¹، والسكاكي ليس له يد فيما وصلت إليه البلاغة العربية مع شراح التلخيص، لأن هيمنة النحو والمنطق على عمله جعلت سؤال البلاغة الأساسي والمركزي يغيب عنده وعند شراح التلخيص، مما عرضه لانتقاد العمري بأنه وقع في "عدم المناسبة المنهجية"²، لكن من جهة ثانية يعطي قيمة لعمل السكاكي باعتباره أجرى حوارا كان شبه مستحيل بين النحو والمنطق والشعر، وكانت البلاغة هي الأرض التي احتضنت هذا الحوار، ولم يستطع من جاء بعد السكاكي أن يواصل رؤيته أو حتى ينقدها بطرح البديل أو قراءتها شرحا وتوسيعا لآفاقها.

-1

:

:

/

يسير السكاكي في طريق قراءة عبد القاهر الجرجاني في الأسرار والدلائل ويكشف المخبوء في مشروعه، ويقف على الخط نفسه معه في مسائل اللفظ والمعنى والنظم، ومطابقة الكلام أو مناسبته للمقاصد، و الفرق بينهما يكمن في أن صياغة الجرجاني كانت تجمع ما هو نحوي، ومنطقي، وكلامي/عقائدي وتصوغ من خلاله سؤال البلاغة عنده: "ما الذي يجعل بعض الكلام أحسن من بعض؟"³، ويطغى على مشروعه الطابع الإشكالي، أما السكاكي فقد رفع الحجاب عن مكونات مشروع

¹ محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والق

² محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:483.

³ المرجع نفسه، ص: 473

الجرجاني وقدمها في شكل مقنن محاولا ضبطها (كما صنع الرازي صاحب نهاية الإيجاز) ،"فنيز بالمدرسية ومجافة الذوق الأدبي"¹.

يقول السكاكي ،عارضاً مضمون مشروعته :"

رأيته منه وهي فأودعته

بتمامه وإنه يتم أنواعه

عنها ."² ،هنا يتضح الأمر ،بأن الرجل في مشروعته يبتغي تأسيس علم للأدب،بيدأه بعلم الصرف وما يستتبعه من اشتقاق ،ثم يسير نحو علم النحو الذي يقود نحو علم المعني وضبط التركيب بمناسبته التداولية ، ويتصل هذا بإيراد الصور على المقاصد المناسبة وهو علم البيان ،ومادام هذا العلم تتعلق تراكيبه بالتحكم في صور الكلام ،فلا بد أن يربط بالاستدلال و

معرفة العروض والقوافي لازمة فكان ذكرها عند السكاكي للاستئناس ، هكذا هيكل الرجل مشروعته، "الأدب يساوي عنده ،في نظرنا ،الخطاب السليم الناجع .منهذا المفهوم يتحدث السكاكي عن علم الأدب الذي نراه تصوراً مبكراً لما يسمى حالياً علم"³،ويرى العمري بأن أصحاب هذا الاتجاه البلاغي يلتقون مع السكاكي في

دراسة النص في أبعاده النحوية /التركيبية والأدبية والاجتماعية .⁴

كشف العمري عن مفارقة بين مشروع السكاكي كتصور ممكن التحقق،وبين المنجز في الواقع ؛فالسكاكي ينطق ظاهر مشروعته بأن المعاني والبيان تنتمي لعلم النحو وعلم الحد والاستدلال تنتمي لعلمي البيان والمعاني ،لكن الواقع هو أن كلا من النحو والمنطق يلتقيان في منطقة مشتركة ،تجمع بينهما بعد أن كان النزاع واقعا حول نجاعة أحدهما أمام الآخر .⁵

¹ المرجع نفسه،ص:473.

² أبو يعقوب السكاكي ،مفتاح العلوم ، ص:37.

³ محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص:496.

⁴ ينظر :محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ،ص:50.

⁵ ينظر : محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص:472.

اولية والمنطقية التي تهتم بالسكاكي ووجهة نظره، تمكن العمري من كشف مركز مشروعه؛ إذ "كان السكاكي يبحث عن مكونات: علم الأدب. العلم الذي يصون المتحدث من الخطأ في : مطابقة الكلام لقواعد اللغة أولا ، ثم لأحوال ومقامات المتخاطبين ثانيا ، ثم يعطيه حسنا وقبولا¹". ويجعل البديع قسما ثالثا يمكن الاستغناء عنه لأنه غير نابع من سؤال المناسبة للمقاصد أو المناسبة التداولية ،فهو داخل ضمن نظرية الشعر ،ولا يهتم بظواهر التقديم والتأخير والفروق بينهما ،أي لا نجد حضور مقولة النظم بقوة في نسق مؤلفاته .

السكاكي مفتاح للعلوم اللغوية أو لتفاعل الإنسان مع لغته ؛صوتا ،وصرفا،وتركيبا ،ودلالة عبر مختلف وجوهها ، وتنظيما لاستراتيجيات التخاطب ومقاماته وأحواله .

:

/

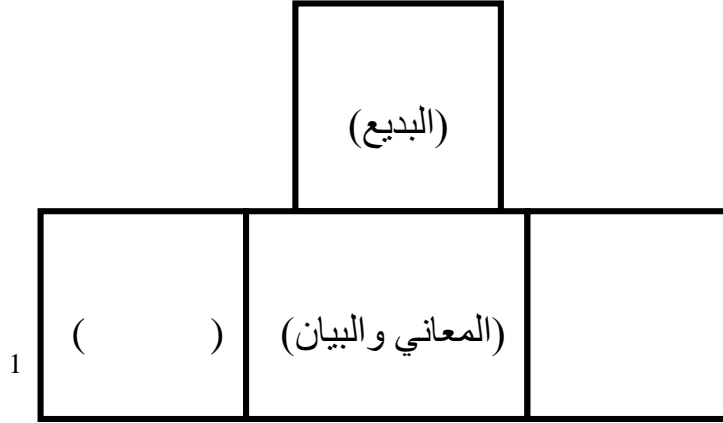
يعرف السكاكي البلاغة بأنها : "بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها²". حيث نجد أثر الجرجاني ، وابن سنان في اعتماده على مفهوم المعاني في البلاغة ، ويتكلم عن خواص التراكيب بما يساوي علم المعاني ، ويتكلم عن إيراد الصور وهذا يتفق مع علم البيان ، "هكذا تحل البلاغة (أي علم المعاني والبيان مدمجين) محل الصدارة ، وتصير العلوم الأخرى مساعدة لها"³، ولم يستطع السكاكي ألا يمر على مفهوم البلاغة ؛لأنه مفهوم مركزي ومحوري ،ومنه سيستفيد أهم شارح له وهو القزويني ،ويأتي بمطابقة الكلام لمقتضى الحال بعد فصاحته .

¹ محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ،ص:46.

² أبو يعقوب السكاكي ،مفتاح العلوم ،ص:526.

³ محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص:472.

ويعتبر العمري مفهوم البلاغة عند السكاكي مرتبطا بميادين الشعر والمنطق والنحو؛ إذ تقع عند تقاطع ثلاثة مباحث متداخلة ومتنافرة في الوقت نفسه، هي النحو والمنطق والشعر [...] وبذلك يمكن تمثيل بلاغة السكاكي التالية:



وقد تبين للعمري وجود اتصال بين علم البيان والاستدلال من خلال كلام السكاكي عن إيراد الدليل بأوجه متعددة ، فالبيان يوجد في منطقة يتفاعل فيها الشعر والمنطق، مما يتيح المجال للحديث عن استخدام الشعري في الإقناع ، والتأثير على المتلقي، وعلم المعاني يقع في المنطقة التي يتفاعل على مستواها النحو والمنطق، ويلجأ العمري إلى القراءة النسقية الداخلية بين السكاكي و ابن أبي الإصبع (654هـ) ، ويرى العمري بأن هذا الأخير لم يهتم بقضايا المقام ومناسبة الكلام للمقاصد التداولية في كتابه: " تحرير التحبير"²، أما السكاكي فقد جعل البديع يتفاعل مع المنطق ممثلا مجال البيان كموقع مميز له ، ومن جهة ثانية يقيم علاقة بين البيان عند الجاحظ وما ورد عند السكاكي ؛ إذ "يلتقي علم المعاني عند السكاكي مع البيان عند الجاحظ ، ويتكامل معه في كون كل واحد منهما يبحث في علاقة الخطاب³، إن فهم علم المعاني باعتباره صورة تعكس اهتمام الجاحظ بالظروف والأحوال كان كفيلا بإعادة الحياة لهذا العلم في الفترة التي تناوله فيها الشراح وزادوه تقنيا عبر صور الحذف والتقديم والتأخير

¹ نفسه، ص: 476.

² ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبين إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 2012 .

³ محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، ص: 45.

والقصر... وغيرها من المباحث التي أصبحت مفرغة من محيطها ومقاماتها ، وظل البيان ضمن كتب الأدب يستأنس به ، إن قراءة التراث حسب رؤية العمري تستتبع معرفة بأنساقه وأصوله ، والإمساك بالروابط التي تصنع شبكة بين الاتجاهات المختلفة لأي ميدان علمي ، خاصة البلاغة ؛ لأن اللاحق ينطلق من نتائج السابق؛ رفضا ونقدا ، أو توسيعا ، أو تقديم البديل .

ليصل العمري إلى أن "أهمية عمله تكمن في اكتشاف منطقة تقاطع النحو والمنطق والشعر ، أي في وصوله شخصيا إلى عاصمة البلاغة . وبذلك خرج من خطاب التنافي بين النحو والمنطق والشعر الذي تاه فيه متى بن يونس والسيرافي وغيرهما ، وكان من حقه أن يقول وجدتها !"¹ ، لكن تغليب النحو والمنطق جعل السكاكي يغيب السؤال البلاغي ، خاصة في مباحث المعاني ؛ عندما لم يطرح سؤال لماذا يكون الحذف ولماذا يكون التقديم ؟ مما أوقعه في عدم مناسبة منهجية يسجلها عليه العمري² ، كذلك أثرت المعالجة النحوية على فصل المشروع عن الحركية الأدبية / الشعرية التي استفادت منها مشاريع الجرجاني وابن المعتز قبله ، وغلبة المعالجة النحوية هو ما جعل العمري (في صيغة أخرى من الكتابة أقرب لبداية المجتهد ونهاية المقتصد) يحكم على بلاغة السكاكي بأنها بلاغة مأسورة لدى النحو³ غة إلى خادمة فاتنة مريية ، ويعمل

الجميع على اختزالها وعدم توسيع الكلام عليها .

-2 :

/ المسار التاريخي للمشروع :

لقد كانت قراءة الفلاسفة لفن الشعر لأرسطو مثمرة من جهتين :

- الجهة الأولى : معرفة مبادئ الصناعة الشعرية عند الآخر ، ومن خلالها إعادة النظر في صناعة الشعر العربي ، ولو على وجه المقارنة ، كما نجد عند

¹ المرجع نفسه ، ص: 46.

² العربية أصولها وامتداداتها ، ص: 483.

³ ينظر : محمد العمري ، أسئلة البلاغة ، ص: 147.

الفارابي عندما تنبه إلى أن "الأقاويل الشعرية: إما أن تتنوع بأوزانها، وإما أن تتنوع بمعانيها"¹، ثم يلاحظ بأن التقسيم القائم على المعنى وجد عند العرب حسب تقسيمهم للأغراض الشعرية في تقاليدهم الأدبية بين فخر ومدح وهجاء، وغيرها من الأغراض التي تتخذ من المعنى عمدة لتقسيمها وتنوع تصنيفاتها، ولا حظ بأن اليونانيين "جعلوا لكل نوع من أنواع الشعر نوعا من أنواع الأوزان، مثل أن أوزان المدائح غير أوزان الأهاجي، وأوزان الأهاجي غير أوزان المضحكات، وكذلك سائرها"²، فالفارابي قارن بين صناعتي الشعر عند العرب وعند اليونان وتفهم الأسس التي يبني عليها القول الشعري ومن ثم حكم على طرق التقسيم والتصنيف .

- الجهة الثانية: العمل على فهم المتن الأرسطي، ومحاولة تطبيقه على النص العربي، بتغيير مركزياته، وتعديل مقولاته بما يتوافق مع النص العربي، وإمكانات اللغة العربية وبلاغتها، وفي هذا الإطار نجد أبا الوليد بن رشد في تلخيصه لفن الشعر لأرسطو؛ حيث فهم المحاكاة باعتبارها تغييرا يجري على مستوى بناء اللغة وعبارتها، وليس بالفعل التمثيلي، ونجد ذلك فصول التي يتكلم فيها عن المحاكاة والتشبيه³
- أن يستعين بالمادة الشعرية العربية؛ من للأعشى أو الاشار للقصص القرآني⁴ في الحديث عن أثر المحاكاة .

في هذا الإطار يتموقع عمل حازم القرطاجني، إذ أعلن رغبته في تدارك النقص الذي رآه الفارابي وابن رشد، للبلوغ إلى معرفة القوانين البلاغية الكلية التي تنتظم الصناعة الشعرية تحتها، "ويعتبر حازم عمله تكميلا لعمل الحكماء الذين تناولوا موضوع الشعرية، وذلك من حيث نظره في الكليات

¹ أبو نصر الفارابي، رسالة في قوانين صناعة الشعراء، تح عبد الرحمن بدوي (ضمن فن الشعر)، مكتبة النهضة المصرية 1953: 151.

² المرجع نفسه، ص: 152.

³ أبو الوليد بن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تح عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، 1953: 222.

⁴ المرجع نفسه، ص: 220.

خصيصا له من حيث توجيه القوانين البلاغية نحو ضبط الخصوصية الشعرية لشعر أمة معينة، أي الشعر العربي¹

فالنظرية البلاغية التي تحوي الكليات الشعرية يمكن أن توسع لتشمل الشعر العربي مع احترام خصوصياته التي لو رآها أرسطو لزداد على ما جاء به ،يقول القرطاجني عن أشعار اليونان وطرقهم في المحاكاة والبناء الشعري : "فأما غير هذه الطرق ، فلم يكن لهم فيها كبير تصرف ، كتشبيه الأشياء بالأشياء ، فإن شعر اليونانيين ليس فيه شيء منه ؛ وإنما وقع في كلامهم التشبيه في الأفعال لا في نوات"²، ومادامت هناك أساليب وطرق لا توجد عند اليونانيين وبالتالي لم يتكلم عنها أرسطو ، فلا بد من الزيادة والتكميل ، ولم لا قراءة المتن الأرسطي بعيون النص العربي بلاغة وإنجازا ، وهذا ما يقرره بقوله : " ولو وجد الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال ، والاضراب في فنون الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى ، وتبحرهم في أصناف المعاني وحسن تصرفهم في وضعها ووضع الألفاظ بإزائها ، وفي إحكام مبانيها واقتتراناتها ولطف التفاتاتهم وتتميماتهم واستطراداتهم ، وحسن مأخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالأقاويل المخيلة كيف شاءوا ، لزداد على ما وضع من القوانين الشعرية ."³

إذا لاحظنا مرتكزات النقد الذي قدمه حازم ، ضمنيا للشعرية الأرسطية ، ندرك بأنها ذات أسس بلاغية لغوية ، تجمع التخيلي مع التداولي الإقناعي ، ولذلك فإن الزيادات التي سيقدمها حازم ضمن منهاجه سيتشارك فيها الشعري والخطابي مع غلبة الأول

/أسئلة البلاغة بين المشروع والمنجز عند حازم :

يفرق العمري كما سبق وأن رأينا مع السكاكي بين المشروع ، باعتباره الهدف المنشود والممكن التحقيق والتصور الذي تبني عليه المقاصد ، وبين المنجز

¹ محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص:486.

² حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص:69.

³ المرجع نفسه ، ص:69.

وهو ما وقع تحقيقه فعليا ، وبالنسبة للمنهاج ، فإن العمري يبدأ قراءة المشروع من موقف حازم الذي يترجمه قوله : "لما كان علم البلاغة مشتملا على صناعاتي الشعر والخطابة وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقا التخييل والإقناع"¹ ، فموضوع البلاغة يتقاسمه الشعر والخطابة ؛ من خلال آليتي التخييل والإقناع ، مع إمكانية تداخلها واستفادة الشعر من الإقناع والخطابة من التخييل ، إن ما يعرضه حازم هو البلاغة الكلية هذا عن المشروع والتصور الذي وضعه في حير الإمكان أما الـ
وضعه في حير الإمكان أما الـ
منهاج البلغاء هو بلاغة الشعر أو الشعرية حسب تعبيره.²

ثم يكشف العمري عن خطة الكتاب وعن العلاقات الموجودة بينها ، فحازم يقسم عمله إلى أربعة أقسام :

- () :
- أصر على أن مواده مستقاة من سر الفصاحة ، مع أن بنية الكتاب لا تعكس رؤية ابن سنان ولا توجهه .
- المعنى : ومن خلاله رصد حازم مصدر المعاني وعلاقاتها وأنواعها ودخولها .
- المباني : وهو القسم المخصص للأوزان وعلاقاتها بالأغراض الشعرية وتأثيراتها .
- الأسلوب : وخصصه لمذاهب الشعراء وجهات القول الشعري وتنوع المعاني .

ومن خلال هذه العناصر الأربعة يمكن الحديث عن المحاكاة في الشعر ، فالتخييل يقع في هذه الأنحاء وبتضافرها ينجز القول الشعري.³

¹ المرجع نفسه ، ص: 19.

² محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص: 487.

³ ينظر ، المرجع السابق ، ص: 488.

ثم يلاحظ العمري وجود علاقة نسقية بين المع
المفقود ،الذي حاول بناءه وبين المباني ،من خلال تعريف حازم للأسلوب
والنظم؛حيث يقول :¹"فالأسلوب هيئة تحصل من التأليفات المعنوية ،والنظم هيئة
تحصل عن التأليفات اللفظية "¹،فالمعاني تتخذ سبلا لها من خلال مقاصد
المتكلمين،وهذه الطرق المتف

الشعرية وتكون النظم من خلالها ،وهكذا "تكون علاقة الأسلوب بالمعاني كعلاقة
2،

ويمكن العمري من نقد خطة حازم ، من خلال النظر إلى الانتقال من
الجملة إلى النص ،فتفريقه بين اللفظ والمعنى ،وبين النظم والأسلوب ،والتفريق بين
مستوى الجملة ومستوى النص مما أدى كذلك إلى تداخل أجزاء المنهاج ،ومسألة
التفريق بين اللفظ والمعنى أوقعت حازم في الإحراج الذي وقع فيه الجرجاني ؛إلا أن
هذا الأخير وجد المخرج من خلال معنى المعنى أو صورة المعنى ،أما القرطاجني
انعكس تفريقه على معالجة عديد الظواهر مثل الغموض ، ويحاول العمري
تضييق الخناق على حازم ؛من خلال محاسبته منهاجيا على عناوينه التي لا حظ
عليها الإطالة وعدم الضبط وإلزامه بخطة معاصرة لا يحاسب -منطقيا -عليها.³

وضمن قراءة المنجز المتحقق فعليا عند حازم القرطاجني ،يشير العمري
إلى قضية الصدق والكذب التي حاول حازم معالجتها ، وهي القضية التي أفضت
مضجع النقاد وأثارت النقع بينهم ، والجرجاني وابن قتيبة من هؤلاء ،إلا أن حازم لا
يرى وجود الكذب بالضرورة في الشعر فالتخييل لا علاقة له بالكذب ، وهو موقف
ند ابن قتيبة عندما يفصل الكذب عن المجاز⁴ ، وأن الشعر موجود بين التقصير
⁵،بالإضافة إلى قضية تداخل

1 .364:

2 محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص:489.

3 محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص:494.

4 ينظر ،ابن قتيبة ،تأويل .145:

5 .80:

الشعري والخطابي في حدود ما يسمح به الغرض المقصود ، و أن كلا من الشعر والخطابة يلتقيان في التأثير والتوجيه.¹

ويشير العمري إلى مسألة هامة في قراءته لحازم ، وهي أن مشروعه لم يلاقي قراءة توسعه أو تشرح مقاصده وتوازره بالتطبيق ، و"لقد وصلت البلاغة مع حازم قمة الوعي بذاتها"²، لأن الرجل حدد ما هية البلاغة التي يريد الوصول إليها ، وما يريد إنجازها وفي أي إطار يتم ذلك ، "غير أن المهمة التي حاول حازم إنجازها في المنهاج مما تنوء به العصبية أولو القوة .ولذلك لم يجرؤ أحد على إعادة قراءة عمله [...] فبقي مشروعه بعيدا عن الوصفة البلاغية التي اقترحها علماء العربية في بداية هذا القرن للمدارس ثم للجامعات العربية"³ أن شروح تلخيص المفتاح تكتسح ساحة الدرس البلاغي ، ويتم تناسي المشاريع البلاغية الكبرى ، مما مهد لعصر جمود البلاغة وأسرها ، إلى أن تم نفض الغبار عنها مع الدراسات المعاصرة .

1 .498:

2 محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، ص:58.

3 المرجع نفسه ، ص:58.

خاتمة

على مشارف النهاية ،تتحدد معالم النتائج المتوصل إليها ،بعد أن خضنا غمار البلاغة العربية ،وقراءة العمري لها ضمن مشروعه ، وكانت أسئلته موجهة لدراسة وإعادة التحقيق في عديد القضايا البلاغية والنقدية ، وقد عمل العمري على رصد اتجاهات الدرس البلاغي والتنقيب عن مشاربه ، متحققا من منجزات البلاغة العربية،عبر مراحل تطورها ، كما أدى بحثه عن المركزيات ،ضمن امتدادات البلاغة إلى بيان الخطاطات العامة التي تنبني عليها الأعمال البلاغية ،والتي غالبا ما تنتزع من سياقها ،وتقرأ لحساب مشاريع أخرى بعيدة عنها .

لقد ثبت من خلال البحث عن روافد النشأة ،وطبيعتها أن البلاغة العربية مبنية على أساس الازدواج بين التخيلي الشعري ،والخطابي التداولي ،وأن الحركية البلاغية النظرية والتطبيقية كانت تسير جنبا إلى جنب مع الحركة الأدبية وتطورها،وكانت تشارك البلاغة هموم العصر المعرفية وتوجهاته العلمية، لم تكن البلاغة ضيفا غير مرغوب فيه ،بل كانت من أسياد البيت ،لها فاعليتها وكلمتها،ومن خلال الدرس البلاغي الجديد ،تمكنت الدراسات العربية من كشف مكونات الحجاج والشعرية وبلاغة الأنواع ، فالاحتكاك بالوافد الجديد أسدى خدمة للبلاغة العربية من أحسن فهمه ،وكان على صلة بالتراث وثيقة ،كما حدث في قراءة الفلاسفة المسلمين للوافد اليوناني ،كما انتهى عمل العمري إلى إلقاء نظرة على تصور مؤسس على معطيات منطقية وتوثيقية في بناء جزء ضاع من النسق البلاغي العربي

الخاص بحازم القرطاجني ،والآليات المتبعة كفيّلة بتصور عديد المنجزات التي من خلالها نتمكن من فهم امتداداتها وتأثيراتها على البلاغة العربية.

وتتكشف النتائج المتوصل إليها كالآتي :

1- كانت البلاغة العربية ملكة فطرية عند العرب ، وتطورت بتفاعلها مع التخيل الشعري والإقناع الخطابي ضمن البيئة الجاهلية ،فاكتسبت من خلال ذلك قابلية لتوسيع هذين المجالين والاشتغال ضمنهما .

-2

بين النص القديم وتلقي القرآن الكريم ، وسؤال مؤهلات كل منهما ضمن

3- كان النقد القائم على الموازنات بين الشعراء عاملا مساعدا على إنكفاء جذوة الوعي البلاغي بمعايير الإجادة ،وانتقل هذا الأمر مع نوعين بلاغيين هما:بلاغة الاختيارات الشعرية ، وبلاغة البديعيات .

4- بفضل بناء خلفية معتبرة في مجال نظرية التلقي تمكن المشروع من رصد بلاغة الاختيارات الشعرية ، ومراكز اهتمامها وتحديد أنواعها ،وطريقة بناء الاختيار داخلها ، وما المعايير التي يتمكن من خلالها أصحابها من اختيار

5- تتبع الدرس البديعي في مشروع العمري ، يؤشر إلى ضرورة مواصلة البحث ضمنه ،لأن البديع يعكس وجهة بلاغية خارج الاعتبارات الكلامية

والإيديولوجية ،وتتلاءم قراءته مع تتبع تطور المذاهب الفنية في الشعر

6- كانت الامتدادات الكبرى اتجاهات عكست الخلفيات التي صدر عنها

أصحابها، بين اتجاه نشأ في بيئة الجدل والإقناع والبحث عن المعرفة

بلاغة البيان والتبيين ، واتجاه صارع من أجل إثبات مقولة عقائدية في

البلاغة فكشف عن سر الفصاحة ،وبين اتجاه حاور السابق وبنى مشروعه

على مناقضته في مقولاته .

7- كان مشروع السكاكي والقرطاجني نموذجا يعكس ضرورة متابعة المشاريع

بالقراءة التي تحترم أنساقها ومقاصدها وبنياتها التي تتأسس عليها علاقاتها .

8- أثمرت قراءة الفلاسفة المسلمين لشعرية أرسطو وخطابته عن نسق فريد من

نوعه في فهم فعاليات البلاغة ،وفهم النص العربي في ضوء الوافد الجديد مع

احترام خصوصيات الأول وتعديل مقولات الثاني

تعكس الكلية والشمولية فيه .

9- روع العمري هو الوصول بالبلاغة العربية لتتصل بالبلاغة

العالمية ؛لأنها تعد حلقة من حلقاتها ،ولا يتم ذلك إلا من خلال إعادة القراءة

والفهم المؤسس علميا ، وتفهم الجديد الوافد ، وإجراء حوار بينهما ،قائم على

10- البلاغة الجديدة لا يمكن حصرها في اتجاه و

معممة تدعي كل واحدة امتلاك الأحقية ،بل نجد بلاغات نوعية ضمن البلاغة

الجديدة والهدف الأسمى هو تأسيس البلاغة العامة التي تدرس شتى أنواع الخطاب؛ اللغوي والمرئي والسمعي ، راصدة التخيلي والإقناعي ، متتبعه العلاقات بينهما واعتماد أحدهم .

11- اعتمد العمري على مقولات بنيوية في الكشف عن أنساق المشاريع البلاغية ، هذا لم يتناقض مع اعتماده على نظرية التلقي لأن كل وصف للأنساق وتفحص لتركيبها ومكوناتها والعلاقات القائمة بينها يستدعي بعد ذلك لزاما تأويلها ، م بينها وبين غيرها عبر تتابع التطور التاريخي .

12- يمتد مشروع العمري عبر ما يزيد عن ثلاثة عقود ، وما دراسة في البلاغة العربية يمتد عبر أربعة عشر قرنا ، ولذلك خلصنا إلى نتيجة مفادها أن جزئيات عمل العمري قابلة للتوسع فيها ، وأخذها كمواضيع للبحث مفردة ، وأن العمل لذي يستهدف قراءة المشروع بأكمله قصادرى جهده إعطاء نظرة عامة عنه لأن التفصيل يؤدي إلى الولوج ضمن كل الإشكاليات التي طرحها العمري ، وهذا يتعذر حتى على صاحب المشروع الذي أقر بأن مشروعه أكبر من عدته ، وأن الرجل نحت من نفسه إلى حد التلاشي .

المصادر

و

المراجع

: _____

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم ، السحار للطباعة ، القاهرة ، ط1 2009 .

:

1- بالعربية :

/ :

:

- النظرية والتاريخ أفريقيا البيضاء البيضاء 2013 .
- العربية أصولها وامتداداتها ، أفريقيا البيضاء البيضاء 2 2010 .
- الجديد بين التخييل فريقيا البيضاء البيضاء 2012 .
- البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب ، ضمن / منشورات ضفاف بيروت ، ط1 2014 .
- وتطبيقي العربية البيضاء إفريقيا البيضاء 2002
- الصوتية الرؤية البلاغية الشعرية ، أفريقيا البيضاء ، 1991 .

/ القديمة (التراث):

- 1- الأمدى أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 5 2006 .
- 2- ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، 1999 .
- 3- :
-الإبانة عن أصول الديانة ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط 1 2003 .
-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، دار الحديث ، القاهرة ، ط 1 2005 .
- 4- ابن أبي الإصبع ، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز قرآن ، تحقيق حنفي محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 2012 .
- 5- الأنباري أبو البركات ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، 2009 .
- أسرار العربية ، تحقيق محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1 1997 .
- 6- الباجي أبو الوليد ، المنهاج في ترتيب الحجاج ، تحقيق عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 3 2002 .
- 7- البغدادي عبد القاهر بن طاهر ، الفرق بين الفرق ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط 1 2005 .
- 8- ان العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ط 4 1997 .

- 9- الباقلائي ، إعجاز القرآن ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5
1998 .
- 10- ابن البناء المراكشي ، الروض المريع في صناعة البديع ، تحقيق رضوان بن
شقران ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ط1 1985 .
- 11- التوحيدي أبو حيان ، الإمتاع والمؤانسة ، دار الكتاب العربي ، بيروت
2005 .
- المقابسات ، تحقيق حسن السندوبي ، مصطفى بابي الحلبي ، القاهرة
1929 .
- 12- أبو منصور ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق مصطفى السقا و
إبراهيم الأبياري ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط3 .
- 13- الجاحظ أبو عثمان ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة ابن
سينا ، القاهرة ، ط1 2010 .
- 14- الجرجاني ركن الدين ، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، تحقيق إبراهيم
شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 2002 .
- 15- الجرجاني عبد القاهر :
- أسرار البلاغة في علم البيان ، تحقيق عبد الحميد هندراوي ، دار الكتب العلمية
بيروت ، ط1 2001 .
- دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد شاكر ، القدس للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط3
1992 .
- الرسالة الشافية ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، تحقيق خلف الله أحمد و
محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط6 2012 .
- 16- الجرجاني علي بن محمد الشريف الحنفي ، كتاب التعريفات ، تحقيق نصر
الدين التونسي ، القدس للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 2007 .
- 17- :
-الخصائص ، تحقيق الشربيني شريدة ، دار الحديث ، القاهرة ، ط1 2007 .

- سر صناعة الإعراب ،تحقيق محمد حسن إسماعيل ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط2 2007 .
- 18- حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن ة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 1989 .
- 19- ابن حزم الأندلسي ،التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية ،تحقيق إحسان عباس ،مكتبة الحياة ،بيروت ، دت.
- 20- الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ،ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ،تحقيق خلف زغلول سلام ، ، دار المعارف ، القاهرة ، ط6 2012 .
- 21- الخطيب القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط1 2003 .
- 22- ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، تحقيق مصطفى الشيخ ،مؤسسة الرسالة 1 2012 .
- 23- الدين ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق نصر الله حاجي مفتي أوغلي ،دار صادر ،بيروت ، ط1 2004 .
- 24- ابن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، 2009 .
- 25- الرماني علي بن عيسى ، النكت في تحقيق خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام ، ، دار المعارف ، القاهرة ، ط6 2012 .
- 26- :
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،تحقيق خليل شيحا ،دار المعرفة ، بيروت ، ط3 2009 .
- 27- جلماسي أبو محمد القاسم ، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تحقيق 1 1980 .

- 28- السكاكي أبويعقوب ، مفتاح العلوم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 1998 .
- 29- ب العلمية ، بيروت ، ط1 1989 .
- 30- سيـبويه أبوبشر ،الكتـاب ،تحقيق عبد السلام هارون ، دار التاريخ ، بيروت ، ط1 2006 .
- 31- ابن سينا الشيخ الرئيس :
-الإشارات والتنبيهات ، تحقيق سليمان دنيا ،دار المعارف ، القاهرة ،ط3 1968 .
-عيون الحكمة ،تحقيق عبد الرحمن بدوي ،دار القلم ، بيروت ،ط2 1980
-الشفاء (الخطابة)، تحقيق محمد سليم سالم ، المطبعة الأميرية ، القاهرة .
-الشفاء (الشعر)، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، 1966 .
- 32- السيوطي جلال الدين :
-أسرار ترتيب القرآن ،تحقيق عبد القادر عطا و مرزوق علي إبراهيم ،دار الفضيلة ،القاهرة، 2002 .
-الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق خالد العطار ،دار الفكر ، بيروت ، 2008 .
-المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق عبد الرحيم محمود ،دار الفكر ،بيروت ، 2007 .
-معتزك الأقران في إعجاز القرآن ،تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب علمية ،بيروت ،ط1 1988 .
- 33- الشاطبي أبو إسحاق ، الموافقات أو عنوان التعريف بأسرار التكليف ،تحقيق حسن ،مكتبة الآداب ، القاهرة ،ط1 2012 .
- 34- الشريف الرضي ،تلخيص البيان في مجازات القرآن ،تحقيق محمد عبد الغني

- 35- الشيباني أبو اليسر ، الرسالة العذراء في موازين البلاغة ، تحقيق يوسف محمد عبد الوهاب ، دار الطلائع ، القاهرة ، 2005 .
- 36- أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي القاهرة .
- 37- العسكري أبو هلال ، كتاب الصناعتين ، الخانجي ، القاهرة ، ط1 1320هـ .
- 38- يحيى بن حمزة ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تحقيق الشربيني شريدة ، دار الحديث ، القاهرة ، ط1 2009 .
- 39- ابن فارس أحمد بن زكرياء ، الصاحبى في فقه اللغة العربية ، تحقيق أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 2007 .
- 40- ابن قتيبة عبد تأويل مشكل القرآن ، مؤسسة الرسالة ناشرون . 2009 1 .
- 41- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1989 .
- 42- القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق عماد زكي البارودي و خيرى سعيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ط10 2012 .
- 43- لقرشي أبو زيد ، جمهرة أشعار العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط2 2008 .
- 44- المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 2003 .
- 45- ابن هشام ، مغني اللبيب ، تحقيق مازن مبارك و محمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت ، 2007 .

/ الحديثة والمعاصرة:

- 1- أدونيس علي أحمد سعيد، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، 2 1989
- 2- أوكان عمر، اللغة والخطاب، رؤيا للنشر، القاهرة، ط1 2011 .
- 3- :
- إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر، الهيئة المصرية العامة
. 2005
- الهرمينوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي، منشورات الإختلاف،
. 2008 1
- 4- بلمليح إدريس، استعارة الباث واستعارة المتلقي، ضمن كتاب نظرية التلقي:
إشكالات وتطبيقات، طبعة كلية الآداب المغرب، 1 1997 .
- 5- بنعبد العالي عبد السلام، الكتابة بيدين، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2009 1 .
- 6- بنكراد سعيد، السميائيات والتأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005
- 7- الدريدي سامية، دراسات في الحجاج، عالم الكتب الحديث إربد، 1 2009
- 8- الراضي رشيد، الحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1 2010
- 9- الزين محمد شوقي، تأويلات وتفكي
. 2002 1
- 10- ي عبد الكريم، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات
. 2007 1
- 11- صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن
السادس، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط3 2010 .
- 12- :
- الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج ضمن كتاب أهم
نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، كلية الآداب منوبة، دت.

- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط1. 2007
- 13- ضيف شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط13 2011 .
- 14- الطلبة محمد سالم محمد الأمين الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1 2008 .
- 15- طه حسين ، من حديث الشعر والنثر، دار المعارف، دت.
- 16- العزاوي أبوبكر، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد 1 2010 .
- 17- امي عبد الله، الخطيئة والتكفير، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط6 2006 .
- 18- :
- أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، ط1 1995
- بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992 .
- 19- الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد بيروت، ط2 2010 .
- 20- :
- الخطاب وخصائص اللغة العربية، دار الأمان، المغرب، ط1 2010 .
- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2 2010 .
- 21- مرتاض عبد المالك، نظرية اللغة العربية، دار البصائر، الجزائر، 2014
- 22- :
- والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب، دار العين، القاهرة، ط1 2010 .
- البلاغة والأصول، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007 .
- بلاغة النادرة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب ، 2006 .
- 23- :

- تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي،
4 2005 .
- في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1 1989 .
- مجهول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1 1990 .
- التلقي والتأويل مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،
3 2009 .
- 24- ناظم حسن، مفاهيم الشعرية، المؤسسة العربية دراسات والنشر، بيروت،
1 2008 .
- 25- يقطين سعيد، السرد العربي مفاهيم وتجليات، دار الأمان، الرباط، ط1
2012 .
- 26- وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد،
1 2008 .
- 27- اليملاحي محمد
- / -
- الجزائر / منشورات ضفاف بيروت ، ط1 2014 .
- /المراجع الأجنبية المترجمة :
- 1- خطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، فريقيا الشرق، المغرب، 2008 .
- بدوي ،مكتبة النهضة
المصرية، القاهرة، 1953 .
- 2- :
- الجمهورية، ترجمة ، دار القلم بيروت دت .
- الخطيب، ترجمة أديب نصور، دار صادر، بيروت، 1966 .

- 3- بارت رولان، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، دار رؤي القاهرة، 2011 .
- 4- ريكور بول: نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2 2006 .
- 5- بليث هنريش: البلاغة والأسلوبية ترجمة محمد العمري، افريقيا الشرق، ط1 1999 .
- 6- سون رومان وموريس هالة، أساسيات اللغة، ترجمة سعيد الغانمي، العربي، بيروت، ط1 2008 .
- 7- جون كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة أحمد درويش، دار المعارف، القاهرة، 1993 3 .
- 8- جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي 2003 3 .
- 9- فولفغانغ إيزر، فعل القراءة ترجمة حميد لحميداني والجلالي الكدية، مكتبة المناهل دت.
- 10- سوا، البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية، ترجمة محمد الولي وعائشة جرير، افريقيا الشرق، 2003 .
- 11- هانز روبرت يابوس، نحو جمالية للتلقي، تر محمد مساعدي، مطبعة الأفق .
- 12- هايدغر مارتن، أصل العمل الفني، ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1 2003 .
- 13- هولب روبرت، نظرية التلقي، ترجمة عز الدين اسماعيل المكتبة الأكاديمية، 2000 .
- 14- طودوروف تزفيطان، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، 1990 2 .

1- باللغة الأجنبية:

- 1- Aron kibedi varga :Rhétorique et littérature. Etudes de structures classiques;Didier,paris,1970.
- 2- Chaim perelman et Lucie Olbrechts- tyteca : Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique, université de bruxel ,5em ed ,2000.
- 3- Groupe Mu, Rhétorique générale ,édition du seuil ,1982.
- 4- Olivier Reboule, La Rhétorique ,puf paris ,2^e édition 1986.

ثانيا :المعاجم

أ/ باللغة العربية:

- 1- جمال الدين أبو الفضل بن منظور ،لسان العرب ،تح عبد الله علي الكبير،محمد أحمد حسب الله،هاشم محمد الشاذلي ،دار المعارف ،القاهرة . 1981
- 2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ،القاموس المحيط ،د تح،دار الفكر،بيروت لبنان ،2010 .

ب/باللغة الأجنبية :

- 1- Alain viala. Paule aron ,denis saint jack,dictionnaie du litteraire ,puf, 2^eed: 2006.

ثالثا :المواقع الإلكترونية :

<http://medelomari.perso.sfr.fr/entree.htm> :

-1

الفهرس

(- - -)..... ❖

❖ : ة العربية في ضوء البلاغة الجديدة

سؤال في النشأة والمفهوم

1- بلاغة جديدة أم بلاغات نوعية؟ سؤال في جديد البلاغة11

2- تاريخ البلاغة العربية ومساءلات الراهن للقديم.....15

3- ة العربية نشأة وتطورا وامتدادا.....18

/ العربية بين الإقناع والإمتاع18

/ لبلاغية الأولى25

ج/تطور البلاغة العربية والانتقال من الملكة الفطرية إلى العلم الواصف :

1. الخلافات العقائدية والجدل الكلامي.....33

2. تطور البحث اللغوي وتأسيس النظرية اللغوية العربية35

3. فهم القرآن الكريم وأسئلة الإعجاز38

4. الحركة الشعرية ومذاهب الفن45

5. الوافد الأجنبي وفهم العرب للبلاغات الأخرى47

4- مفهوم البلاغة بحث في المشترك وتبين للفروق بين الموروث

الجديد.....51

❖ الفصل الأول : مفهوم البلاغة وخلفيات القراءة

.

1- المشروع البلاغي الجديد ، الرحلة والمقاصد.....62-76

أ/ تحقيق في معنى 62

ب/ مفهوم البلاغة والبلاغة العامة مساءلات القديم والجديد 63

69..... /

69..... :

ثانيا : المرحلة الثانية :التصور اللساني البنائي لبلاغة النص الشعري.....72

:المرحلة الثالثة :أصول البلاغة وتأريخها بين النسق والتلقي75

76..... /

2- مرتكزات المشروع ومقوماته79-88

أ/ البحث من الداخل وتوسيع شبكة العلاقات 79

:تحديد النسق 80

ثانيا :اختيار المشروع 82

85..... /

85..... :

88..... : ثانيا :

3- خلفيات القراءة وموجهاتها وسؤال المنهج 105-90.....

91..... أ/ خلفيات غربية

91..... :بنوية

94..... ثانيا :تداولية / حاجية

98..... :نظرية القراءة

103..... ب/خلفيات عربية

103..... :تراثية

105..... : ثانيا :

❖ :

- 110 1- تحقيق نشأة البلاغة وتصحيح وجهة النظر إلى النقد.
- 133-113..... 2-
- 113..... :
- 113..... 1- الوعي وتطبيق المعيار
- 116..... 2- البديع وضرورة إعادة القراءة
- 120..... 3- الاختيارات وبلاغة الرصد
- 123..... **ثانيا :**
- 123..... 1-
- 127..... 2-
- 130..... 3-
- 133..... 4- بلاغة الآخر وطبيعة القراءة
- 162-137..... 3- شبكة البلاغة و تحديد النماذج
- 137..... - أسس الاختيار
- 159-139..... -

أولاً: التخيل والتدا : ديدة للمنجز البلاغي عند

139.....

1- بين غرابة التخيل و مناسبة الكلام للمقاصد.....140

2- علاقات التخيل بالتداول.....143

ثانياً: : 147.....

:البلاغة بين علم الأدب والعلم الكلي.....151

-1

153..... /

155..... /

-2

/المسار التاريخي للمشروع.....157

/أسئلة البلاغة بين المشروع والمنجز.....159

164..... ❖

170..... ❖

باللغة العربية :

تزايد الإهتمام
العربية
وهذا
الأخيرة
نتجه
ليس
اختيار
الغربية
العربية
هذه
الجديدة متخذين
وتحقيقا
: تأليفا
تشهد

نوعية : كيف يمكن

المعطيات الجديدة

التخييلي

عربية

إحيائها

القضايا والاتجاهات البلاغية

هل يمكن

بالخلفية النظرية والآليات التطبيقية

قراءته

وجهت

والخلفيات المعرفية

هذا

وغيرها.

والبنوية ونظرية

نظرية

العربية

باللغة الفرنسية :

Un intérêt croissant dans la period récente dans le domaine de la rhétorique, non seulement dans les études occidentales mais en études arabes contemporaines et ceci nous a fait tourner pour sélectionner l'objet de l'étude de la rhétorique arabe à la lumière de nouvelles études de mise en projet Mohammed el Omari comme un exemple de ce mouvement.

La question fondamentale de notre recherche est : comment pouvons nous ameliorer la rhétorique arabe pour accéder a l'analyse des différents types de discours ? et comment était la lecture contemporaine arabe des recherches de rhétoriques occidentales ? Est-ce que mohamed el omari dans son projet a pu accedes a une rhétorique générale qui s'impose pour etudier les deux types fondamentaux : poétique et oratoire?